القذافي
والقضية الكوردية

دار ئاراس للطباعة والنشر



السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

***

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - شارع گولان - اربيل- كُردستان العراق

القـذافـي

والقضية الكوردية

فلک الدين كاكەيی

اسم الكتاب: القذافي والقضية الكوردية
تأليف: فلك الدين كاكەيی
من منشورات ئاراس رقم: ٧٥٩
التنضيد: سنگر حسين + رضا واحد
تنقيح: أوميد البناء
الإخراج الفني: آراس أكرم
الغلاف: مريم متقيّان
الطبعة الثالثة ٢٠٠٨
رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة في إقليم كردستان بأربيل: ١٥٥٥/٢٠٠٨

مقدمة الطبعة الثالثة

كتبها المؤلف – ٢٠٠٨/٦/١٠ – أربيل

لكتابة وطبع هذا الكتاب تاريخ.

فقد حررت الكتاب اواخر عام ١٩٨٥، بتوقيع (صابر علي أحمد) وهو أسم مستعار لي لعدة سنوات. وطبع ونشر القسم الأول منه في الجبال بالمناطق المحررة من كوردستان العراق في عام ١٩٨٩ وطبع على آلة الطباعة البدائية وجرى تكثيره بجهاز قديم للرونيو.

أعيد طبع هذا القسم في قبرص عام ١٩٩١ وأيضاً بتوقيع (صابر علي أحمد).

واليوم نعيد طبعه بشكل كامل، مع القسمين الأخيرين، وبتوقيعي الصريح (فلك الدين كاكه يي).

فالكتاب يتألف من ثلاثة أقسام:

أولاً:– في القسم الأول نتناول نظرية معمر القذافي، النظرية العالمية الثالثة، لأنها، كما أعتقد، هي المنطلق لموقف القذافي الثابت من القضية الكوردية منذ عام ١٩٧٩، فضلاً عن تأثره بالإتجاه السياسي لجمال عبدالناصر، الذي كان منذ بداية خمسينيات القرن العشرين، يؤيد عدالة القضية الكُردية ويتضامن مع الشعب الكوردي.

ثانياً: في القسم الثاني نتناول العلاقات العربية–الكُردية، ومسار الحركة الكوردية.

ثالثاً: في القسم الثالث اشرح جوانب مختلفة من الثقافة والحضارة الكوردية.

وقد راعيت ان اوجه الكتاب للقاريء الكوردي والقاريء العربي في آن واحد.

ففي القسم الأول أشرح للقاريء الكوردي موضوعاً مطروحاً بأستمرار وهو: لماذا يتضامن القذافي مع القضية الكُردية بشكل ثابت حتى الآن؟ وهنا رأيت ان أوضح للقاريء الكوردي أفكار وسياسة القذافي التي يلخصها (الكتاب الأخضر). لذلك قدمت شرحاً لهذا الكتاب.

أما في القسم الثاني والثالث من الكتاب فقد راعيت وضع القاريء العربي أمام معلومات ووقائع، حول الكورد وقضيتهم، تأريخهم وثقافتهم، قد لايكون مطلعاً عليها، في حين ان القارىء الكوردي يعرفها قليلاً أو كثيراً. والهدف هو توسيع دائرة الفهم والتفاهم العربي لمحنة الكُرد وعدالة مسألتهم.

منذ سنوات راودتني فكرة أن الزمن ربما يكون قد تجاوز المعلومات والوقائع الواردة في الكتاب الذي توقف عند عام ,١٩٨٥ وقد حصلت تطورات كبيرة اقليمياً ودولياً منذ ذلك الحين. إلا إنني واجهت اسئلة كثيرة من المثقفين الكورد عن سر تضامن الرئيس معمر القذافي مع الأمة الكُردية وحقها الكامل في ممارسة حق تقرير المصير واقامة دولتها المستقلة. وقد كرر هذا الموقف مراراً، آخرها عام ٢٠٠٧–٢٠٠٨ اثناء زيارته الأوروبية. بلغ اهتمام القذافي بقضية الأمة الكوردية حدّاً جَعَلَه يُنَضِّلُ هذه القضية على مصلحة بلده، ليبيا.

ففي أواسط التسعينيات، وبينما كانت الجماهيرية الليبية محاصرة دولياً، تعيش ظروفاً اقتصادية صعبة، زارها رئيس الوزراء التركي نجم الدين ارباكان على رأس وفد تركي كبير يضم اكثر من مائة رجل اعمال تركي من مختلف الأصناف بهدف عقد صفقات تجارية واقتصادية بين ليبيا وتركيا، فإن معمر القذافي أثناء اللقاء التلفزيوني المعتاد بينه وارباكان، بادر إلى اثارة القضية الكوردية أمام ضيفه التركي وسأله عبر الشاشة المرئية امام العالم عن وضع الاكراد في تركيا ثم قال له:

«اعطوا حق الاكراد، فهم أمّة، لهم الحق الكامل في تشكيل دولتهم تحت الشمس.»

فغادر رئيس الوزراء التركي طرابلس دون عقد أيه اتفاقيه او صفقة تجارية او إقتصادية.

فيجدر بالقارئ الكردي، كذلك العربي، ان يَلُمَّ بصورة واضحة عن نظرية القذافي ورؤاه و عمق تضامنه القضية التحررية الكردية.

فأتمنى ان يكون نشر الكتاب ملبياً لبعض أجوبة القراء الكورد.

من جهة اخرى لاحظت، انه رغم تطور القضية الكوردية منذ عام ١٩٩١ وبروزها الواضح على المسرح الأقليمي والدولي فإنّ بعض المثقفين والباحثين والساسة العرب، اثناء مناقشاتهم ومساجلاتهم الفضائية والصحفية حول الكورد وحقوقهم وتاريخهم،

مازالوا يقعون في أخطاء ومواقف متناقضة، معبرين عن جهلهم أو تجاهلهم للعديد من حقائق التاريخ والجغرافيا.

فأتمنى أن يكون نشر هذا الكتاب الكامل في صورته الجديدة، بعد تنقيحات بسيطة، مفيداً للمثقفين والباحثين العرب. فالكتاب يستند إلى عشرات المصادر والكتب التأريخية الموثوقة، ويسعى الى تبسيط وتوضيح هذه المعلومات والحقائق بحيث يستوعبها القراء على مختلف مستوياتهم العلمية. فهدفي هو الإفهام وعرض القضية كما هي بغية تعزيز التضامن الأقليمي والدولي مع الأمة الكوردية المغبونة تأريخياً.

والباحث العربي الواسع الإطلاع قد لايجد في هذا الكتاب جديداً بإستثناء بعض التفاصيل عن الثقافة والحضارة الكوردية من وجهة نظر كاتب كُردي.

أما (الكتاب الأخضر) الذي يتضمن مباديء النظرية العالمية الثالثة فقد ترجم الى لغات كثيرة، منها اللغة الكوردية أوائل الثمانينيات.

أتذكر ان الباحث والشاعر الكوردي عبدالرحمن شرفكندي المعروف بـ"مام هژار" قد ترجمه الى الكوردية، إلا انني لم أعثر على نسخة مطبوعة منه، فقد كنت طوال الثمانينيات في سفر وترحال داخل كُردستان المحررة والى بلدان الشرق الأوسط ومصر وليبيا ومختلف الأقطار الأوروبية.

حصلت فيما بعد على نسخة مطبوعة لترجمة كوردية اخرى للكتاب الأخضر، لايذكر أسم المترجم أو تأريخ الطبع والنشر، بل مذكور عليه أسم (اعلام) احد الأحزاب الكُردية التي أصدرته.

ولابد من التذكير بأن كتابي هذا لا يلتزم بنهج أكاديمي صارم، بل يتضمن المواضيع المتسلسلة، مكتوبة باسلوب تقرير صحفي سلس وحُرّ مع تجنب التعقيد، وسأترك التقييم النهائي للقاريء الكريم، علماً ان بعض الكتاب الكورد طرحوا فكرة ترجمته من اللغة العربية الى اللغة الكوردية، وقد أعجبتني الفكرة، سأساعدهم على تنفيذها في اي وقت يشاؤون. وقالوا ان الكتاب ربما يتحول إلى مصدر لتحقيقات الطلاب الجامعيين، الذين يعتمدون، بصورة اساسية، على المصادر الصادرة بالعربية والأنكليزية والكُردية.

زيارات الى ليبيا واللقاء بالقذافي:

اتيحت لي زيارة ليبيا منذ عام ١٩٨٤، وتكررت الزيارات وذلك ضمن وفود الحزب الديمقراطي الكوردستاني. ففي اواخر كانون الأول ١٩٨٥ تسنى لي الأشتراك في وفد عالي المستوى برئاسة أدريس البارزاني (١٩٤٤-١٩٨٧)، الذي كان من أبرز قادة الحزب بعد رحيل الملا مصطفى البارزاني (١٩٠٣-١٩٧٩)، وكانت الزيارة بطلب من معمر القذافي الذي أستضافنا والتقى بنا، حيث تكلم عن تجربته وعن تطور نظرته إلى القضية الكوردية وكيف ان تأييده الشامل لها على صعيد كافة بلدان الشرق الأوسط، قد جلب مواقف دبلوماسية محرجة ومعقدة مع جميع هذه الحكومات التي تحكم بلداناً تضم اجزاء مختلفة من الأمة الكُردية.

كانت الزيارة مثمرة على صعيد تعزيز العلاقات بين الطرفين. ثم توالت زيارات مسعود البارزاني والمسؤولين الكُرد الآخرين. وكان القذافي يستقبل جميع القادة الكُرد دون استثناء أو تمييز بينهم على اساس الفكر السياسي والايديولوجيا، فقد كان يقول ان الذي يهمه هو التضامن مع الكُرد وحثهم على مواصلة الكفاح التحرري ووحدة صفوفهم.

واهم تطور في الموقف التضامني للقذافي هو ماحصل بعد الحرب وسقوط نظام صدام حسين في ٩نيسان ٢٠٠٣، فقد بادر الى الأتصال بالقادة السياسيين الكورد وقال لهم ان الفرصة مواتية، وهي فرصة تاريخية لاتعوض، فعليهم استغلال الفرصة وإعلان تأسيس الدولة الكُردية المستقلة، وهذا حق طبيعي للأمة الكوردية وماعدا ذلك فإن هذه الفرصة النادرة ستضيع منهم وتنتهي دون أن يحصلوا على شيء، أو كما يقال، سيخرجون "بخفي حنين"!

وخصص القذافي في موقعه الألكتروني مقالاً خاصاً بهذا المعنى انتقد فيه القادة الكُرد (نعيد نشر نص هذا المقال ضمن الملاحق الأضافية لهذا الكتاب)[1]، وقد جاءت الأحداث منذ ٢٠٠٣ حتى اليوم تثبت الى حد بعيد، صحة وجهة نظر القذافي بهذا الصدد.

فالأختلافات الراهنة بين حكومة أقليم كوردستان والحكومة العراقية الفدرالية حول

(١) أنظر ملحق رقم (٢)، مقال (وخرج الأكراد من المولد بلا حمص) بقلم: معمر القذافي.

مواضيع وأمور اساسية تثير القلق. اذ منذ عام ٢٠٠٣ لم تتوصلا الى حلول لمسائل مهمة مثل تحديد مصير المناطق المختلفة عليها، وهي مناطق كوردستانية جغرافياً وتأريخياً، إلا ان الفئات السياسية العراقية المتنفذة في بغداد ترفض الأعتراف بهذه الحقائق، وتحاول التمسك "بالأمر الواقع" في هذه المناطق حسب ما نفذه نظام صدام حسين. ان بقاء هذه المشكلة دون حل وتوافق سيظل بؤرة خطرة للتوتر والقلق في البلاد.

وهناك اختلافات عديدة أخرى بين الطرفين الكوردستاني والعراقي حول كيفية أستغلال منابع النفط والغاز والموارد الطبيعية الأخرى، فضلاً عن القلق حول الميزانية وحصة اقليم كوردستان من الميزانية العامة للعراق الفدرالي، وغيرها من المشكلات.

وأعتقد ان امكانيات وفرص حل هذه المسائل موجودة ومتوفرة حتى الآن، أما إذا طال غياب الحل الديمقراطي السلمي فقد تداهم العراق أحداث وتطورات أخرى ليست بالحسبان مما يثير التوتر من جديد. وقد ظل الطرف الكُردستاني متمسكاً بالحل السلمي التفاوضي على اساس الحوار والتفاهم. وقد كتبت مراراً بأن الفرصة مواتية لحل هذه المشكلات من قبل بغداد، الآن، لاسيما ان في كوردستان قيادة معتدلة واعية تتصرف بحكمة وتعقل. اما اذا ضعف أو زال دور هذه القيادة، لأيّ سبب كان، فإن القيادة المقبلة قد تكون متشددة ولا ترضى بأنصاف الحلول التي هي في الواقع حلول مشلولة لا تداوي الجروح!

الكفاح السلمي والحوار:

في مقدمة (الطبعة الثانية) المنشورة في أيلول ١٩٨٩ تحليل وعرض لرؤية مستقبلية عن العالم الجديد الذي لاحت بوادره منذ ذلك العام، وكيف ان العلاقات الدولية الجديدة بعد الحرب الباردة ستتيح فرصة الحوار والحلول السلمية للمشكلات في مناطق التوتر والنزاع ومنها النزاعات المزمنة والمسائل المعقدة مثل المسالة الكُردية المتعلقة بأربعة بلدان مهمة في الشرق الأوسط الأسلامي، وثبت بعد عام ١٩٨٩، خاصة منذ ١٩٩١ إن المسالة الكوردية برزت إلى مقدمة المسائل التحررية في العالم، وأدرك المجتمع الدولي والدول العظمى خاصة، أن لتطور هذه المسألة علاقة وثيقة مع تطور الديمقراطية والحرية في هذه البلدان، وأنه لايمكن إحلال السلام في المنطقة دون حل هذه المسألة.

فأرتفع الصوت الدولي تدريجياً للمطالبة بأعتراف حكومات وأنظمة هذه البلدان بعدالة ومشروعية المسألة والتوجه نحو تطمين الحقوق الوطنية والإجتماعية للشعب الكوردي في كل بلد من هذه البلدان. وجاء التطور النسبي للتجربة الكوردستانية في العراق وسن دستور عراقي دائمي يقر الفدرالية ويعترف بمؤسسات أقليم كوردستان – العراق، تطوراً حديثاً جداً لم تعهده المنطقة. وقد توالى الاهتمام الدولي بتجربة الأقليم في الأدارة والأستقرار والبناء والعمران، بدليل ان العديد من البلدان الأوروبية والأسكندنافية فتحت في أربيل، العاصمة الأقليمية، قنصليات أو ممثليات دبلوماسية وثقافية وتجارية فضلاً عن الولايات المتحدة الأمريكية وايران.

إن هذا الأعتراف الدولي الضمني بكيان أقليم كوردستان ضمن العراق الفدرالي الديمقراطي حقيقة اساسية من حقائق السياسة والعلاقات الدولية في الشرق الأوسط الراهن.

وإذا كان هذا التطور لا يعوض عن إقامة دولة كوردية مستقلة فإنه، من جانب آخر، يبعث الآمال والتطلعات المشروعة في بقية أقاليم كوردستان، ويمهد للتحرر السياسي والأجتماعي الناجزين، على المدى الأبعد.

يذكر أنَّ المقدمة المذكورة للطبعة الثانية، وهي بعنوان (كلمات للجبل الأخضر) دعت الكُرد الى التحول نحو الكفاح السلمي عن طريق الحوار، بدلاً من الإكتفاء بالكفاح المسلح[١].

وكانت المقاومة المسلحة مفروضة على الشعب الكوردي من قبل خصومه وسياسات الأنظمة الدكتاتورية آنذاك، فلم يكن الكُرد يرغبون في القتال مالم يأت الآخرون لمحاربته في عقر داره، فلا يذكر التأريخ مثالاً واحداً عن أن الكورد قد ذهبوا وحاربوا الآخرين خارج حدود مناطقهم الجغرافية والتأريخية، بأستثناء صلاح الدين الأيوبي، هذا الكوردي النابغة العظيم، الذي خرج من كُردستان وأنتقل عبر بلاد الشام ومصر واليمن وشمال أفريقيا وأسس دولة كبيرة وجيشاً منظماً وقف يدافع عن شعوب الشرق

(١) هاجمني بشدة بعض المثقفين الكُرد لدعوتي السلمية الى إعتماد الحوار والكفاح السلمي حتى ان أحدهم أصدر كتاباً عام ١٩٨٩ وصفني بالخائن وبـ(سادات الكُرد)، إشارة الى الرئيس المصري الراحل الذي دعا إسرائيل والعالم الى حل سلمي للقضية الفلسطينية وللمشكلات بين العرب وأسرائيل.

الأسلامي ويحرر المدن والمناطق المحتلة ومنها القدس.

وتمتلىء صفحات التأريخ بأمثلة غزيرة عن تضحيات كوردية مماثلة لما صنعه الأيوبي، حيث شارك الكورد في تطور الثقافة والحضارة في المنطقة وكانوا حاضرين في جميع حقول الحياة العامة في هذه البلدان وساهموا في معارك الشعوب للمقاومة والتحرير. أما ما حصلوا عليه من حكومات وأنظمة بلدان المنطقة فهو النكران والحرمان والقمع بدلاً من الأعتراف بحسن مواقف الكورد في غالب الأحيان. ولازالوا في هذه البلدان الأسلامية محرومين من أبسط مباديء العدالة التي يقتضيها الدين الاسلامي. فليس لأيّ شعب مسلم آخر أي فضل أو ميزة على الشعب الكُردي، فلماذا هذا الأنكار له؟

فالكُرد تشتد وطأة شعورهم بالغبن التأريخي.

ولم يستطع عصر العولة والتعددية وحقوق الانسان وحق الشعوب في تقرير المصير وشيوع الثقافة والعلم وأنتشار الديمقراطية... لم يستطع التخفيف عن الشعور الكوردي بالغبن والحرمان، لأنّ حوالي ٨٠٪ من الكورد في تمام الشرق الأسلامي[١] مازالوا محرومين من أدنى حريات التعبير والرأي والتنظيم والمشاركة الديمقراطية في إدارة شؤون البلدان التي يعيشون فيها، ويؤكد الباحثون على ان المناطق الكوردية في كل مكان (بأستثناء اقليم كوردستان الذي تقدم بعض الشيء مؤخراً) هي من أفقر مناطق أي بلد، حيث تتفشى نسبة أعلى من الفقر والجوع والمرض والبطالة والأمية وفقدان الخدمات العامة والتنمية.

الكورد في شمال أفريقيا:

قبل أن ننهي هذا الحديث نمر مروراً سريعاً على وجود الكورد في عدد من بلدان أفريقيا، خاصة في الشمال. وقد خصصنا ملحقاً إضافياً عن الكورد في ليبيا[٢]، تم تهجيرهم اليها من العراق على يد سلطات الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر للميلاد.

(١) يشكل كورد العراق أقل من ٢٠٪ من مجموع السكان الكورد في الشرق الأوسط.

(٢) أنظر ملحق رقم (٣) عن الكورد في ليبيا.

يذكر ان ظروفاً مختلفة جعلت الكورد يهاجرون أو يرحلون إلى أفريقيا شمالاً وجنوباً، سواء بسبب الحروب والأوضاع الإقتصادية أو ضمن وجودهم في تشكيلات الجيوش الإسلامية منذ العهد الأموي، لاسيما في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي، حيث أنتشر الكُرد في مصر والسودان واليمن وتونس والمغرب والجزائر وغيرها. وتصلنا بين فترة وأخرى أنباء وتقارير عن أكتشاف جالية كوردية هنا وهناك، كما علمنا عن وجودهم في أقليم كردفان في السودان، ومجموعات من العوائل الكوردية في تونس والمغرب والجزائر وحتى في جنوب أفريقيا، خاصة كيب تاون، ومدغشقر وتشاد وغيرها. فالكُرد موزعون أيضاً على الأردن ولبنان وبلدان آسيا الوسطى وأفغانستان وباكستان وغيرها. فوالدة الفقيدة نظير بوتو رئيسة الوزراء الباكستانية السابقة كوردية بالأصل من مدينة كرماشان الكوردية المعروفة في ايران. وفي السودان كاتبة روائية هي (زينب الكُردي) كما افاد مهندس سوداني كُردي...الخ!

اما في بنغازي بليبيا فمازال احد الأحياء يسمى بـ(حي الأكراد).

والآن أترك القارئة والقاريء مع أقسام وفصول الكتاب، وهو الحكم في أي تقييم ورأي حوله، وابداء الأفكار والآراء التي يراها نافعة! والسلام.

مقدمة الطبعة الاولى

١٩٨٩/٩/١ – راژان

كلمات للجبل الأخضر

١

هذا الكتاب (القذافي والقضية الكوردية) كنت قد كتبته أواخر عام ١٩٨٥، وأعد للطبع عام ١٩٨٦. إلاّ أن طبعه تأخر لأسباب...

لكن الزمن لم يعد يسمح بالمزيد من التأخير.وكان مقرراً في حينه أن يصدر الكتاب بفصوله الثلاثة في مجلد واحد، إلاّ ان ظروفاً فنية جعلتني اصدره في عدة اقسام.

وقد انتهزت فرصة الذكرى العشرين لثورة الفاتح الليبية التحررية التي تحل في ايلول ١٩٨٩، كي اسرع في تقديم القسم الاول من الكتاب والذي يضم (المقدمة والفصل الاول من الكتاب) نصاً كما كتب في البداية، مع اضافة مواضيع جديدة وهي:

١– (كلمات للجبل الأخضر)، وهي هذه المداخلة التي اقدمها على شكل تأملات سريعة بطرح معان واستنتاجات اخرى عن النظرة التحررية والانسانية للقذافي ازاء الشعب الكوردي وقضيته، والقضايا الهامة التي يطرحها.

٢– اضافة ما استجد من مواقف القذافي التحررية بعد كتابة مسودة الكتاب عام ١٩٨٥.

٣– اضافة ملحق يضم مقالاً عن القضية الكوردية نشرته صحيفة (المثابة) في طرابلس عام ١٩٨٦.

اذن فهذه المداخلة (كلمات ....) اضافة جديدة، باتت ضرورية نظراً لتأخر طبع الكتاب واستجلاء حقائق جديدة منذ ذلك الوقت...

واما في الذكرى العشرين لثورة الشعب العربي الليبي الصديق للشعب الكوردستاني

وغيره من الشعوب المظلومة، فأود ان انقل، عن لسان كل اولئك الاكراد الذين يودون ايصال صوتهم، التحية والامتنان لهذا الشعب وثورته وقائده الذي جاهد من خلال مواقفه التحررية لتعزيز التضامن والاخوة والصداقة بين الشعبين وسائر شعوب الارض.

ان رسالة التضامن والصداقة رسالة سامية، يتمنى كل انسان وا ع لو يحظى بأدائها.

واما شعوبنا في هذه المنطقة من العالم، فما اشدها حاجة الى التفكير الجدي والتأمل العميق في اوضاعها لتدارك انزلاقها الخطير نحو مستقبل محفوف بنزاعات مأساوية اخرى.

ومن بين هذه الشعوب..عرب واكراد. ينتظر الحاضر والمستقبل من العرب والاكراد وقواهم الواعية الديمقراطية –ولاسيما العربية منها– ان تسرع بحثاً عن أية حلول ديمقراطية وانسانية لأيقاف مسيرة العذاب الكوردي الرهيب وتضميد الجروح والتئامها.

٢

النزعة الانسانية في أية رسالة هي التي تتجاوب مع فطرة الانسان. ومعمر القذافي هو من القادة القلائل الذين اهتموا اهتماماً استثنائياً بالثقافة، الى جانب المشاغل السياسية. وهو مايحمد عليه حقاً. وتصب جهوده الثقافية –بصورة خاصة– في تلك الحركة المستمرة التي تشهدها شعوب العالم الثالث لمواجهة الغرب وسلطته الثقافية. فهو يطرح دعوة للبحث عن هوية ثقافية اصيلة لشعبه ولغيره من الشعوب. وهو في بحثه الدائب يستند الى التراث العربي والتراث الاسلامي والتراث الشعبي الليبي، مثلما يستند الى التراث الانساني الشامل، فلا يطرح نظرة تعصبية ضيقة، بل نظرة أممية شاملة تدعو الى التفاهم بين الشعوب وكافة الفئات والشرائح المظلومة، ومحبي الحرية والسلام والتقدم. لذلك يدافع عن الكورد والارمن والهنود الحمر والزنوج والاقليات المضطهدة على الارض وعن النساء والعمال والجنود، مثلما يدافع عن شعبه وعن القضية التحررية العربية لاسيما الفلسطينية.

نحن البشر المحكومين بالعيش على الارض، هذه السفينة المهددة بعدة وسائل فتاكة

للتدمير، احوج مانكون الى الافكار والنظرات المنفتحة. ان السلام على كوكبنا يستلزم الجهود الجماعية لكافة الشعوب التي عليها ان تتضامن وتتعاون –باحترام حقوق بعضها البعض في ود واخاء وصداقة– حتى تتصدى معاً لمخاطر مشتركة تهدد الجميع: خطر الحرب النووية، والفقر والامية والامراض، وتلوث البيئة والانفجار السكاني على الارض وكيفية استثمار التطور الهائل للعلم والتكنولوجيا وغيرها.

فالندوات والمؤتمرات والملتقيات الفكرية التي نظمها القذافي مباشرة، او غير مباشرة، ساهمت بهذا الشكل او ذاك في التقريب بين قطاعات غير قليلة من المثقفين وحركات التحرر وحركات السلم وممثلي مختلف شعوب الارض، مما يخدم تعزيز وحدة كفاح البشرية.

بعض الاوساط في الغرب، لاسيما في واشنطن، لازالت تستكثر على شعوب العالم الثالث ان ينهض بينها قادة ومثقفون يعتمدون على انفسهم وعلى قدرات الجماهير الشعبية في بلدانهم للتصدي لمشاكل الحياة المعقدة المعاصرة. وما أكثر ما تعرض مثل هؤلاء للأغتيال والمؤامرات مثل لومومبا وعبدالكريم قاسم وعبدالناصر وسوكارنو ولوثر كينغ والندى وغيرهم.

والقذافي هو الزعيم الوحيد الذي يتعرض وهو في منزله الشخصي وفي بلده الى محاولة اغتيال دولية بأحدث الطائرات الحربية، في غير زمن الحرب، تطير عبر بلدان عديدة.ومن المنطقي ان يربط المرء تلك المحاولة الامريكية بالمؤتمر الدولي الواسع الذي عقده القذافي في طرابلس قبل المحاولة بأسابيع. وهو المؤتمر الذي تركزت اعماله فقط في اعلان التأييد والتضامن لقضايا الشعوب العادلة وحرياتها وحقوق الانسان والعدالة والدعوة الى السلام على الارض.

٣

مهما كان موقف هذا او ذاك من (النظرية العالمية الثالثة) فان الكثيرين يحترمون في القذافي والجماهيرية هذا النزوع نحو الاستقلالية الثقافية ومنح حركة الشعب التحررية ايديولوجية تميز الهوية الثقافية للشعب. ويشاهد مثل هذا النزوع الاصيل لدى شعوب وحركات كبيرة في العالم الثالث، كما هو في امريكا اللاتينية والصين وايران وغيرها، مثلما كانت عليه مصر في عهد عبدالناصر، واندونيسيا في عهد سوكارنو والهند في

عهد غاندي ثم نهرو، وما الى ذلك.

ان في كل ذلك درساً وتجربةً للشعب الكوردستاني الذي لم يسع حتى اليوم الى اكتشاف هويته الثقافية، ووضع ايديولوجيته الشعبية التي تمنح القوة المعنوية والزخم الروحي المنشود لحركته. هذا الفراغ هو أحد العوامل الاساسية لأزمة حركته. وتوخياً للدقة نضيف ان للشعب الكوردستاني ثقافة ذات جدور مشتركة مع ثقافات الشعوب المتجاورة. ولكن حركته لم تتقدم أكثر من ذلك، بغية اكتشاف واسترجاع هويته الثقافية الوطنية. واضافة الى العامل الذاتي للمجتمع الكوردي، عامل التخلف الشديد والعزلة، هناك ظروف موضوعية تعرقل حتى الآن ازدهاره الثقافي، وهي عوامل الاضطهاد المكثف والحرمان والغبن التأريخي. هناك، اذن، حلقة محكمة ومغلقة حول هذا الشعب تمنعه من الانطلاق. ولابد من البحث عن سبيل لكسر هذه الحلقة عند نقطة ما.

وتدل تجارب الحياة الانسانية وتأريخ كافة الشعوب بأن هذه النقطة هي اليقظة، اليقظة الوطنية والاجتماعية التي تفجرها يقظة ثقافية عارمة. هذا يصدق بالنسبة للمجتمع الكوردي عموماً، مثلما يصدق خاصة بالنسبة لمنظماته ومؤسساته السياسية والاجتماعية التي ينبغي ان تذوب اغلالها باللهب الساخن المنبعث من الفكرة، من الثقافة. هذا حصار كبير يزداد علواً وينبغي ان يتهدم.

٤

هذا عالم لايرحم. تقدمه هائل وسريع للغاية. مثلما تتزايد شدة وطأة التخلف على الشعوب والقوميات المظلومة في «العالم الثالث»، والتي اطلقنا عليها عام ١٩٧٤ اسم «العالم الرابع». فالكورد، مثل غيره من ابناء «العالم الرابع» المضطهد من قبل جزء من «العالم الثالث» هم في سباق شديد مع الزمن، زمن التطور التكنولوجي والعلمي الذي لاينتظر احداً.

على الكورد ان يفهموا ذلك. لن ينتظرهم العالم وهو يهرول في تقدمه، بينما لازالت العوائل الكوردية تندب «حظوظها» الدامية!... وبينما يعصف تيار التغيير الديمقراطي بأعمدة القلاع التأريخية، فان الكورد بدأوا الآن يدخلون عهد عبودية جديدة، عهد اسار طويل... هذا شعب كامل يوضع في الأسر.. يخصى رجاله وتعقم نساؤه ويباع اطفاله، وتغتصب ارضه وثرواتها.

هذا الشعب ضحية، ضحية نفسه، وضحية الآخرين.. جملة ملابسات تعاونت معاً لتكتب هذه التراجيديا:

– ذاتياً: هو ضحية تخلفه الشديد الذي انعكس –حتى الآن ولمدة أكثر من قرن– على مؤسساته الاجتماعية والسياسية، والبقاء طويلاً في اسار عاداتها وعلاقاتها الاجتماعية المعوقة، وماترتب على ذلك من تمزق داخلي وتشتت، وسذاجة في التعامل مع عالم السياسة، في غابة مظلمة غرسها تأريخ المنطقة.

– ثم هو ضحية الجغرافيا (أو الجيوسياسيا)، وهذا مايكرره كثير من الباحثين.

– وهو ايضاً ضحية الاستبداد الشرقي.. قرون من الاستبداد المركب والحروب الطاحنة.كانت كوردستان في معظم الاحوال ساحة دامية من ساحاتها.

– الشعب الكوردي، ايضاً، ضحية اللاعدالة في هذا العالم.

– واخيراً، فهو ضحية الاستعمار والامبريالية، ضحية النفاق الغربي، خاصةً التقسيم الاخير في الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨)، حيث بلغ المكر والنفاق الغربي ذروته وحتى اليوم، لاسيما النفاق البريطاني.. ثم الامريكي.

ذلك هو الحال حتى الآن.. (١٩٨٩)..

فماذا يحدث بعد اليوم؟ كيف السبيل الى تحرر المجتمع الكوردي من تخلفه؟ هل يمكن ذلك بدون تغيير المجتمعات التي يعيش معها؟ وهل يتم كل ذلك بدون انجاز الاستقلال وتحقيق الديمقراطية واجراء التنمية الشاملة واحترام كرامة الانسان وحقوق الشعوب؟ وهل يمكن تغيير الشروط الجيو–سياسية، أم ان على الكورد ان يبحثوا عن طرق للخلاص ضمن تلك الشروط؟

السير الأصح والأسلم والأقرب الى الامكان هو ان يعيد الكورد النظر جذرياً في أساليب كفاحهم، فيشاركوا إيجابياً وبصورة سلمية في كفاح الجماهير الشعبية للأمم الأخرى التي يعيشون معها لتحقيق عالم متحرر سعيد للجميع،كل في البلد الذي يعيشون فيه؟ ألم يحن الوقت لنبذ الانماط القديمة التي اثبتت عجزها والتوجه نحو الكفاح السياسي الجماهيري؟ أليس العمل للخلاص من الاستبداد المركب هو مفتاح الطريق نحو اجواء ديمقراطية تنفتح فيها ابواب الحوار الاخوي السلمي مع ابناء بقية الشعوب من أجل تحويل الشرق الأوسط الى منطقة سلام ورخاء وتقدم؟

– وماذا دولياً؟

هل «ينتهي» النفاق الغربي ازاء الشعب الكوردستاني وحقوقه؟ وهل ينهض الوجدان النائم عن غفوته «لتعويض» هذا الشعب عن بعض ما فات؟ وهل سجل التاريخ سابقةً كهذه؟

وهل العلاقات الدولية المتغيرة باتجاه الانفتاح، والمجتمع الدولي الجديد الذي يوشك ان يولد، يسمح بتكوين رأي عام دولي وشعبي عام وملزم لرفع الغبن التأريخي عن هذا الشعب؟.. مرة اخرى، هل شاهد التاريخ سابقةً كهذه؟

في جميع الاحوال.. ليس امام الكورد سوى ان يبحثوا عن منافذ للخلاص، ولكنهم يعيشون في عالم يزداد وحدةً وتقارباً.. أجزاؤه تتقارب، وتتوحد شعوبه ودوله في كتل واتحادات كبيرة اقليمية ودولية.

فكيف لهذا الشعب ان يصير، وهو يتحرك باتجاهين متضادين: اتجاه البحث عن هويته وتأكيدها والاعتراف بها، وبمعنى آخر نوع من الاستقلالية الشخصية لقوميته، هذا من جهة ومن جهة اخرى اتجاه التحرك نحو الوحدة والتلاحم مع بقية الشعوب، في عالم تكاد تتلاشى فيه المسافات والحدود والفواصل بين الشعوب والحكومات تحت التأثير الساطع للتكنولوجيا والسرعة الهائلة لانتقال المعلومات، وولادة عصر يمكن تسميته من بعض الجوانب بعصر «وحدة البشرية»، لأنه للمرة الاولى امام كافة سكان الارض مهمات مشتركة ملحة جداً:مثل خطر التسلح والحرب النووية، والفقر والامراض، وتلوث البيئة وآثار التطور العلمي والتقني وغيرها مما سبق ذكره آنفاً؟

الغريب ان القذافي كان يتحسس آلام الكورد كما يشعر بها الكورد انفسهم.وهذا يدل على عمق اهتمامه بهذه القضية، رغم انشغاله الكبير بقضايا اساسية اخرى: وحدة العرب واتحادهم، والقضية الفلسطينية، وقضايا تحررية في كافة القارات..

فلازلت اتذكر كلماته في اول لقاء معه اتيح لي ضمن وفد، قال القذافي:«اشعر ان مستقبل الاكراد مجهول، فليس هناك خيار آخر، اما ان تفرض الامة الكوردية وجودها، او تنتهي».

قال ذلك قبل حوالي اربع سنوات. واليوم فان هذا التحدي يواجهنا بقوة أشد: ان نكون اولا نكون!

كيف نكون؟

هناك مقومات ذاتية عظيمة للبقاء واثبات الوجود: ملايين الكورد، ووعي اجتماعي – سياسي يزداد انتشاراً بين هذه الملايين.. احساس شديد بالغبن والتمييز. وهذه ارضية فكرية لما قد يحدث.

من بين كلماته الاخرى في هذا اللقاء اتذكر ان القذافي اشار الى مهمات اساسية:«ان تقوم حركة ثورية ذات افق جماهيري واسع واهتمام شعبي»، «والتأكيد على أن يكون الدفاع ذاتياً».

الاعتماد على الذات، هذا الدرس الكبير الذي لم نستوعبه حتى الآن، قد اكدت الحياة صحته آلاف المرات. الثورات العظيمة كانت معتمدة على نفسها، على الطاقات الخلاقة للجماهير الشعبية في البلد المعنى، بدءاً من الثورة الفرنسية قبل مئتي عام، ثم ثورة اكتوبر الاشتراكية، حتى الثورة الصينية، وحركة غاندي التحررية في الهند،كذلك ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، وقبلها ثورة يوليو في مصر، والثورة الكوبية، والثورة الاسلامية الايرانية التي هي تجربة قريبة من الكورد، كذلك ثورة الفاتح من ايلول التي يحتفل الشعب الليبي بذكراها العشرين، وغيرها من الثورات، منها ما نجحت باستعمال القوة، ومنها ما اعتمدت اللاعنف والاتكاء على الارادة الجماهيرية كما هي في الهند وايران.

وكم اود لو كنت قادراً حقاً على التبشير بأن المرحلة القادمة من الكفاح التحرري الكوردي، وابتداءً من اليوم، ستكون مرحلة اللاعنف، مرحلة الكفاح السياسي الجماهيري الذي لايسد المنافذ امام الحق المشروع للدفاع عن النفس في حالات التعرض للأبادة. لكن كيف السبيل الى ذلك؟ وماذا نعمل حتى يستقيم مثل هذا الكفاح؟

لوكانت الامور تسوى بالنوايا الطيبة، لكنت اعلن يومياً ما أؤمن به في اعماق وجداني،وهو انني من انصار اللاعنف جسداً وروحاً، رغم ولادتي في محيط لايرحم، سيده الاوحد هو العنف والتعسف، بدءاً من اصغر خلية اجتماعية حتى مؤسسة الدولة والأحزاب، الحاكمة منها والمحكومة، الموافقة والمعارضة، مع الفارق في الموقف الفكري والسياسي. أعتقد بأن الفطرة الانسانية هي مع الدعة والسلام والمحبة. لكن الغابة الكثيفة من الاحقاد والضغائن التي يزرعها الاستبداد الاجتماعي منذ الطفولة هي

سموم تفسد العقل والعاطفة وتشوه الفطرة الانسانية.

ورغم ان الافكار الخيرة بذاتها لاتغير العالم بمجرد إطلاقها، لكن ذلك لايعني الكف عن تكرار مثل هذه الافكار.. بل يتطلب مستقبل الانسان في منطقتنا ان نكثف الدعوة لهذه الافكار والنوايا حتى تتجسد في العمل اليومي.

اذن، ولكي نبقى.. ولكي نكون.. ينبغي ان نبحث عن سبل ايجابية للتعايش على اساس التفاهم والاحترام المتبادل بالوجود والحقوق لكافة الشعوب.

وعلى الكورد ان يكونوا أكثر الناس دعوةً الى الحرية والسلام والاخوة في نفس الوقت الذي يطالبون فيه بحقوقهم القومية المشروعة.

وعلى الكورد ان يكونوا اقوى الناس عملاً من اجل التغيير الاجتماعي والاقتصادي والثقافي في البلدان التي يعيشون فيها..

على الكورد ان يكونوا أكثر الناس حرصاً في كفاحهم مع كفاح اولئك الاشقاء الذين فرض التاريخ والجغرافيا ان نكون معهم.

هذا قدرنا. كل الشعوب المتجاورة شقيقة لنا. وقضايانا لاتحل بمعزل عن قضايا هذه الشعوب.

٥

اسيء فهم القذافي من قبل كثيرين، سواء من العرب أو الكورد أو غيرهم.

فهو –عربياً– قد خدم الكفاح العربي ووجهه الديمقراطي الانساني حين دعا الى حل القضية الكوردية حلاً عادلاً، مما يعزز الاخوة العربية–الكوردية، وكسب ود وصداقة شعب كبير مجاور للعرب (وجزء منه يعيش مع العرب).

واما بعض الكورد فقد حمّلوا الموقف أكثر مما يحتمل، وربما ظن البعض ان القذافي بمواقفه التحررية «مكلف لتحقيق ما ينبغي للكورد انفسهم أن يحققوه». نداءات القذافي حول القضية الكوردية كانت اجراساً للأنتباه، ودعوةً الى الاهتمام العربي والدولي بالقضية. فمنذ أكثر من عشر سنوات والقذافي ينبه بين فترة واخرى الى وجود الكورد وقضيتهم، مباشرةً أو غير مباشرة. مما كان له تأثير مباشر على تحريك القضية، الى جوانب العوامل الذاتية والموضوعية الاخرى المحيطة بها.

فهو كان يطرح ويحرض لصالح القضية. وليس من المنطقي أن يراد منه ما لايطيقه الموقف. كان يثير النقطة الحساسة جداً في القضية، طريق حلها. وتلك هي الرسالة المنشودة من أصدقاء كوردستان.

ولازالت رسالة القذافي لحل القضية تتجاوب مع منطق الحركة والاحداث حتى اليوم، لاسيما على صعيد الاخوة العربية-الكوردية. فلو تحققت افكار القذافي حول القضية من الجانب العربي، ولو كان بمقدور الكورد انفسهم ان يستوعبوا حقائق ظروفهم، لكان بالأمكان تجنب وقوع هذه الكارثة المروعة في كوردستان العراق. فلازالت رسالة القذافي العربية ازاء الكورد تحتفظ بأهميتها بالنسبة لذلك الجزء من الشعب الكوردي الذي يعيش مع الشعب العربي.

وأسيء فهم القذافي من قبل غير العرب وغير الكورد ايضاً. فقد فكر الرجل بواقعية حول مشكلة قائمة. ونظراً لبعض الالتباسات فان الجوهر الواقعي لكل ما قاله قد طمسته صيغ بعض الكلمات. خلال اللقاء الذي اتيح لي قبل بضعة سنوات استطعت ان اسمع منه مباشرةً وهو يتحدث عن موقفه من القضية الكوردية. وادركت الحقيقة التالية:

– القذافي لايؤيد القضية الكوردية، وضرورة حلها، عداءً منه لأي دولة يوجد فيها اكراد. أي: انه لايطرحها من خلال خلافه السياسي مع هذه الدولة أو تلك.

– والقذافي يؤيد القضية حتى ولو كان صديقاً لدولة فيها اكراد...

– فهو، اذن، يؤيد القضية لأنها موجودة، وينشد حلولاً عادلةً لها.

ومن العدل والمنطق ان نفهم كافة مواقف وآراء القذافي على النحو التالي:

١- يعترف بوجود امة كوردية. وان لهذه الأمة قضية تحررية لم تحل بعد.

٢- يرى أن إهمال القضية يزيدها تعقيداً، فهو القائل:

«قد يجد الاكراد انفسهم يقاومون أية دولة تحرم عليهم حقوقهم».

٣- يطرح حلولاً على اساس الاعتراف بوجود وحقوق الكورد كجيران للأمم والشعوب الاخرى في المنطقة وان يجري حل القضية بالتعاون مع هذه الأمم.

٤- ان تكون العلاقات بين الكورد وتلك الشعوب قائمة على الاخاء والتعاون والسلام، ووحدة الكفاح ضد الاستبداد والتخلف ومن اجل التحرر والتقدم.

وأهم نقطة في هذه الآراء هي تلك المتعلقة بحل القضية من خلال التعاون بين شعوب وأمم المنطقة. وهذا نداء موجه للكورد مثلما هو موجه للشعوب الاخرى والحكومات. ومثل هذا الحل هو الذي يقطع الطريق أمام أي تدخل في شؤون المنطقة. وهو تدخل أضر ويضر بهذه الشعوب جميعاً بما فيها الكورد.

٦

القضية الكوردية قضية تحررية وديمقراطية، من خصوصياتها انها ليست قضية الشعب الكوردي وحده، بل هي قضية الديمقراطية لكافة الشعوب التي يعيش الكورد معها، لاسيما وان القضية تبحث عن حل لها ضمن إطار كل بلد يوجد فيه جزء من الشعب الكوردي.

هنا تظهر أهمية ما قاله القذافي عن العلاقات المستقبلية بين الكورد وجيرانهم، والمبنية على التفاهم والتعاون والاخاء.

والمتطلعون الى المستقبل، من أبناء المنطقة، يدركون حقائق الوضع وما ينبغي معالجته قبل غيره، فالشرق الاوسط تمزقه -ومنذ زمن طويل- شروخ عميقة، قومية وتأريخية واجتماعية. أخدود هذه الشروخ يمر في قلب كوردستان.

علينا، نحن ابناء شعوب المنطقة، ان نعمل الآن، نعمل لليوم وللغد، للحاضر وللمستقبل.. لنخلق، ونترك، للأجيال القادمة، خطاً سليماً، نهجاً ومبادىء تنظم كيفية التعايش السلمي الاخوي بين هذه الشعوب بما فيها الكورد.

تلك هي مهمة ملحة امام الجميع.

ان نبدأ اليوم..للتخفيف عن آلام المستقبل، وازالة جذور هذه الآلام.

ان ننطلق من نقطة تحطم هذه الحلقة، هذه الدائرة اللعينة المتكررة للمآسي والفواجع.

وقد لايكون في وسع العالم ان ينتظرنا طويلاً ليستمع الى قصصنا المتكررة عن المآسي والاستغاثة والاستنجاد.

ليس بوسع العالم -وان كان من واجبه- ان يتوقف دوماً ليستمع الى شكاوانا اليومية التي ستزداد اضطراداً اذا لم نتحرك باتجاه الحل السياسي الصحيح لمشاكلنا. فلنتحرك، ولتكن حركتنا سليمة.

هذه دعوة لهذا الجيل، وللجيل الفتي النامي، وكذلك لتلك البراعم المتفتحة من بين ركام الاحباطات والاجهاضات الاليمة لتجارب الكفاح حتى الآن.

ومن العدل ان يبدأ الانسان دوماً من ذاته هو، ان يسأل نفسه اولاً: ماذا عليه؟ وماذا يمكن أن يعمل، ليتقدم خطوة نحو العالم، حتى يتقدم هذا العالم بدوره نحوه؟

فنتساءل: نحن الكورد، نحن الذين نطلب الآخرين، شعوباً وحكومات، لتتفهم مطالبينا وحقوقنا، ونطلب العالم ليتضامن معنا، ما الذي ينبغي علينا لنساعد الآخرين في التقدم باتجاهنا ولصالحنا؟ اذا كانت المبادرة –بحكم الواقع وميزان القوى– هي بيد السلطات المركزية، فهل يعفينا ذلك من مهمات وواجبات ذاتية؟

من إين نبدأ؟

اين هي نقطة الانطلاق بالنسبة للكورد؟

أظن –كما هي في كل حالة إجتماعية وتأريخية في حياة أي شعب آخر– بأن نقطة البداية هو تغيير العقلية، تغيير المفهوم، التصور عن العالم، عن الوضع، محلياً واقليمياً ودولياً..وتكوين صورة واقعية عن حجمنا ودورنا، ومايمكن ان نطالب به، ومايمكن ان نحصل عليه.. فالكورد ليسوا قليلي الشأن الى حد يجعلهم يشعرون بالضعف. مثلما ليسوا كبيري الحجم الى حد قد يجعل البعض يصابون بالدوار والغرور لدى ظهور أية فرصة.

فأين هو موقعنا الطبيعي في هذا العالم المواج الصاخب؟ علينا ان نفكر، ونفكر.. ثم نفكر.. حتى نتفهم جيداً هذا الموقع الطبيعي. هذه هي نقطة البداية.. تغيير الفكر والتصورات القاصرة حالياً، حتى تتكون لدينا صورة واقعية عن وجودنا، دورنا، امكانياتنا، وحقوقنا.. كذلك واجباتنا سواء ازاء انفسنا او ازاء الشعوب الاخرى والعالم.

فالمنطق هو الفكر. فكيف يبدأ؟ ومن أين؟

بداهة.. ذلك هو من صنع مفكرين، واعين، مختصين في شؤون شعبهم بكافة جوانبها. لذلك يذهب بنا التفكير الى اقتراح عقد ندوات فكرية واسعة، او إنشاء مركز او مجلس قومي واسع ومختص. مجلس للمفكرين، للحكماء، يدرس ويحلل ويفرز حقائق التحرك على صعيد القضية، وماينبغى ان تكون علية صورة الكفاح السياسي

حاضراً ومستقبلاً، كذلك مايمكن ان تطالب به الحركة.

والشروط المطلوب توفرها في هؤلاء المفكرين ليست الانتماء السياسي، بل الاختصاص والمعرفة والاطلاع الواسع، الى جانب الالتزام بالقضية والاخلاص والجدية والمثابرة.. وان يهتدي السياسيون بآراء وأفكار هؤلاء الحكماء، وليس العكس.

لست اتحدث عن «جمهورية افلاطون»..ولكن مغزى فلسفة هذه الجمهورية عميق في كل عصر، وعصرنا هذا هو اشد العصور حاجةً الى الحكمة والعقل والمنطق.

واما المحور الذي سيتعين على الكورد ان يركزوا عليه فهو ابتكار الاساليب المناسبة للكفاح السياسي الجماهيري السلمي، وبما يحفظ لهم وجودهم وشخصيتهم القومية ومستقبل أجيالهم.

٧

الدعوة الى السلام ليست مجرد مشاعر عاطفية او أملاً خيالياً، بل هدف واقعي، ضروري، وممكن، ونبيل.

تنطلق الدعوة من استشراف المستقبل، المستقبل القريب حيث تشتد الكثافة السكانية في المنطقة، وتتفاقم المشاكل الاجتماعية، وتتعقد المسائل السياسية والفكرية لاسيما لتزايد التأثير العالمي في الشؤون المحلية. مما يستلزم الاستعداد لحل هذه المشاكل بطرق سلمية، بالحوار الديمقراطي والتفاهم المتبادل لمشاعر وحقوق بعضنا البعض.

فهو سلام يقود الى العدل، وقائم على العدل.

والدعوة لمثل هذا السلام تعني الدعوة ايضاً الى الحرية والديمقراطية. هذه جوانب من الحياة مترابطة عضوياً. فالكفاح من أجل الحلول السلمية جزء من الكفاح الديمقراطي.

فهو عدل نابع من الحرية التي ينتظر الجميع ان تشملهم.

هنا نخاطب الاشقاء العرب (لاسيما ونحن في العراق نشاركهم العيش والمواطنة) ونقول:

داخل الوطن العربي، وفي جواره، وعلى حدوده، لاسيما من الشمال الشرقي والشرق، تعيش أمم وشعوب مختلفة غير عربية اللسان، ومعظمها شعوب إسلامية،

توحدها مع العرب وشائج الدين الاسلامي والتاريخ والثقافة المشتركة،كذلك التكامل الاقتصادي بوجوه كثيرة، فمن المنطق والحكمة ان تتآلف وتتآخى هذه الأمم والشعوب مع بعضها البعض. اذ يوحدها الشيء الكثير. ولايفرقها سوى الاستبداد السائد وضيق الافق والتعصب إضافةً الى تراكمات التحكم الاستعماري.

ومن بين هذه الأمم يبقى الكورد أكثرها تمزقاً وحرماناً، إلاّ ان مصلحتهم الاساسية، مثل غيرهم.. بل أكثر من غيرهم، تكمن في تآلف وتآخي هذه الشعوب على أساس احترام الحقوق الانسانية والاجتماعية وغيرها من الحقوق المشروعة للكورد بما لايهدد وحدة هذه الشعوب بل يزيدها قوةً ومتانةً.

كيف يمكن وضع وصياغة معادلة انسانية كهذه؟

يمكن ذلك.. وهو أمر جليل يستحق الكفاح والتضحية.

وعلى الكورد -قبل غيرهم- ان يناضلوا من أجل تلك الوحدة والتآخي بين هذه الشعوب المتجاورة.. ان يعملوا ذلك مع احتفاظهم المشروع بمطاليبهم العادلة بما لايتناقض مع طموحات واهداف الجماهير الشعبية لبقية الشعوب في التحرر الكامل من الاستغلال والاستبداد.

يمكن للكورد ان يكونوا عامل تفاهم وخير، ورسل محبة وسلام وصداقة سواء بينهم وبين الشعوب الاخرى، او بين كافة هذه الشعوب.

هنا ايضاً -ولازلنا نخاطب الاشقاء العرب-.. هنا تتجلى أهمية المواقف الانسانية ازاء القضية الكوردية، التي وقفها جمال عبدالناصر ومعمر القذافي واحمد بن بللا وغيرهم من كبار القادة والمفكرين والشخصيات الاجتماعية والثقافية البارزة.

هذه الدعوة الى التآخي والوئام والمحبة بين الشعوب ليست آمالاً طوباوية، ليست ترفاً فكرياً، او مجرد افكار مثالية طيبة نابعة من نوايا ورغبات طيبة.. فالأفكار الطيبة طيبة في كل مكان وزمان ان كانت تستجيب لمثل الحق والجمال والعدالة الاجتماعية على الارض. لكن هذه الافكار تغدو اليوم، وستغدو غداً، ضرورية... اشد ماتكون عليه الضرورة التأريخية. فليس امام شعوبنا سوى خيار واحد صحيح (من بين خيارات اخرى غير صحيحة غير واقعية، بل مدمرة وكارثية) هذا الخيار هو ان نتعلم جميعاً كيف نتعايش معاً ونتفاهم ونتعاضد من أجل خير ومستقبل بلداننا.

ثم.. فالدعوة الى الحل السلمي لمشاكلنا ليست بمعنى التسليم بنتائج الاضطهاد، او «التزكية» للتدمير الرهيب الذي تعرضت له الشخصية القومية الكوردية انساناً ومجتمعاً وثقافة وارضاً.

في الوقت نفسه ينبغي تجاوز عقدة الهلعين والمتطيرين الذين يقولون بأن التحول الى الكفاح السياسي هو دليل ضعف أو استسلام او تفريط بالتضحيات.. كلا! ان هذا التحول لايعني التنكر لتلك التضحيات الجسيمة التي قدمها الكورد حتى الان. بل ان تلك التضحيات هي التي خلقت ارضية ملائمة للحاضر والمستقبل. فاننا نبحث عن باب جديد أسلم واصح وأقرب الى التحقيق من اجل بلوغ الاهداف الانسانية التي كانت تنشدها تلك التضحيات النبيلة، تضحيات مئات آلاف الكورد البسطاء الكادحين، من استشهدوا وجرحوا او تشردوا وفقدوا كل ما يملكون. فاحتراماً لهؤلاء وللقضية كلها وللشعب كله، واحتراماً للأنسان، سيواصل الواعون اليقظى السير على هذا الدرب.

هناك، اذن، امكانيات لتحول الحركة نحو اساليب سياسية في الكفاح، والبحث عن حلول سياسية للقضية. لكن مثل هذا التحول ليس سهلاً. وطريقه ايضاً ليس مفروشاً بالورد. لأنه يتطلب جهداً مكثفاً لتغيير نمط التفكير القديم السائد لدى قطاع كبير من الحركة نفسها. كما يستلزم جهداً أكبر لأستقطاب تعاطف حوله واقناع -واقتناع- الاشقاء بذلك. وان اوساطاً امبريالية وشوفينية عديدة ستواصل التدخل في الشؤون الداخلية للكورد تحريضاً وتضليلاً لأجهاض مسعاهم. لأن هناك اوساطاً تظل مصالحها مناقضة لكل شكل من الكفاح. لأنها في الجوهر مناقضة لحل القضية.

٨

على الاقل جزء من القضية الكوردية.. الحريات العامة وحقوق الانسان الاجتماعية والثقافية والفردية والحقوق القومية الديمقراطية، صار كل ذلك مشكلة عامة للبشرية، مشكلة دولية. التدخل بشأنها لم يعد يعتبر تدخلاً في الشؤون الداخلية.

ونشأ -الى حد ما- رأي عام دولي تضامناً، او لنقل تعاطفاً، مع القضية في جوانبها الانسانية العامة. علينا ان نحافظ عليه وان نطوره.

يقول مثل كوردي قديم: لايكفي الف صديق. اما عدو واحد فهو كثير.

فليس من الحكمة لشعب صغير محروم ان يبحث عن اعداء لقضيته بدلاً من البحث

عن أصدقاء وحلفاء او متعاطفين على الاقل.

إلاّ أن التضامن الخارجي مهما كان قوياً لن يكون بديلاً عن الساحة الداخلية، وقوة الكفاح السياسي الشعبي على ارض الوطن. اذ كلما كان الاخير راسخاً ومتماسكاً كلّما جاء التضامن الدولي فعالاً. واما التضامن مع حركة خامدة فلا يلبث ان يخمد هو الآخر دون ان يخلف اثراً يذكر، ثم ان كسب ذلك التضامن هي وسيلة وعامل مساعد، وليس هدفاً بذاته. فالهدف الأساسي هو الانتصار في ارض الواقع، في حضن الوطن.

تلك بديهيات معروفة. نسردها من باب التذكير ليس الا. اذ يخشى ان ينام بعض الاكراد على احلام وردية مستهلمة من الاهتمام الدولي نسبياً بالقضية، او يبرروا عجزهم بانتظار تطور ذلك الاهتمام.

وعلينا ان نستوعب حقيقة جديدة في العلاقات الدولية، وهي ان هذه العلاقات في تغير دائم وبسرعة تزداد وتيرتها، تتغير معها حتى مفاهيم مصطلحات ومسائل سياسية كانت حتى الامس القريب تعتبر في حكم البديهيات. هذا ينطبق على الاهتمامات الدولية ايضاً. فالأهتمام الذي يولى لقضية ما خلال هذا الاسبوع قد يفقد حرارته بعد اسبوع أو شهر.

واما ما يسود فهو سياسة الامر الواقع.

يبقى الاهتمام بماهو موجود، حي، متنام، قادر على التأثير.

عليك اذن، ان تكون دوماً.. ان تملأ العيون دوماً، كما يقال. أن تحرك وتثير، وتلفت الانتباه. ان تكون بذاتك، ومن اجل ذاتك، اعتماداً على طاقاتك، على جماهير شعبك.

تلك ايضاً بديهيات معروفة. لكن التذكير بها ليس مضراً.

ومرة اخرى.. الفكر. هذا هو الذي يستحضره التذكير المستمر.

فنعود الى أهمية التغيير في نمط التفكير..حتى نكاد نهتف بالأنسان الواعي اليقظان:

أن.. اصح!

ارفع الستائر. افتح النوافذ. دع النور يغمر الغرفة.

بيوتنا ملأى برائحة نتنة..وظلمة. فليتغير الهواء.

هكذا ظلمة العيش مع الاستبداد. انه يسمم فينا أعمق الآبار..وبمقدار ما يبدو هذا الامل طوباوياً، أو رغبة ذاتية كما يراها هذا او ذاك من الاحبة.. فانها رغبة اصيلة، واقعية، ممكنة وصارت ضرورية.

انما ليست رغبة سهلة التحقيق.. بل شاقة، تمتص جهداً وعرقاً.

ليس أمامنا خيار آخر. اما المكوث في ظلمة غرفة نتنة او الخروج الى الهواء الطلق. فأيهما نعمل: هل نهدم الغرفة بجدرانها وسقفها بحثاً عن هواء نظيف؟ أم نسعى لرفع الستائر وجلب النور وتنظيف الغرفة؟

أليس الثاني اسهل وأكثر واقعية؟

– قاع البحر العميق لايهمه تلاطم الامواج على سطح الماء، مثلما لاينخدع بالهدوء المؤقت الذي يسبق العاصفة. والاسماك بالفطرة تغوص نحو القاع حين تتلاطم الامواج، وتطفو حتى اقرب مستوى الى السطح اثناء هدوء العاصفة..

هذه وغيرها من الافكار جالت بذهني يوماً وأنا على ضفة البحر الابيض المتوسط، بينما كان الصيادون ينشرون شباكهم في البحر، وآخرون يكسرون احجار القاع بحثاً عن الديدان، وباخرة عملاقة تهدر من بعيد..

ربما يتساءل القارىء: ما علاقة هذه الخواطر الذاتية المضطربة بأصل الموضوع الذي ظل جدياً وصارماً حتى ما قبل هذه السطور؟!

أقول: ثمة علاقة وثيقة.. علاقة البحر بضفافه، وعلاقة القلب بعروقه.

فالكون ليس اجزاءً متناثرة او منعزلة... بل وحدة واحدة...

هكذا حياة الشعوب ايضاً.. وموقع كل انسان فيها.

والكفاح يتطلب قدراً واسعاً من العاطفة والحب والرومانسية الى جانب الجّدية والتحليل الصارم وقسوة الاحكام.

قدر من الرومانسية في الكفاح ضروري...

قدر من الحب، من العشق للناس، للحرية، للمثل العليا... العشق للوطن وجمال ارضه وطيوره واشجاره.. ورعشة من ذلك الاحساس الغامض الذي يعتصر قلب الانسان حين يمر ببقعة عاش فيها يوماً، او قرية سكنها، او ملعب تلهى فيه.. او مقبرة تضم رفات اعزائه المفقودين.

بدون هذه الجرعة من الحلم يصعب للنضال أن يكون صادقاً. والبشرية اليوم تحتاج الى الحلم، الى الرؤى والمثل والحكمة..

اما ان يتحول النضال فقط الى جدول جاف خشن من العمل اليومي الروتيني، والمصالح الصغيرة او الكبيرة والتهالك عليها، فأنه مرض مدمر، آفة فتاكة بالروح والعقل.

فانا أحب السلام لشعبي. وأحب شعبي يحيا في سلام ورخاء. وتلك هي احلامي.

٩

المبادرة الاساسية هي بأيدي الشعوب الأكبر ومؤسساتها السائدة. ومثلما عليها، فكذلك على الكورد، ان يتحركوا.. ويغيروا مؤسساتهم باتجاه الحل السياسي. ليس ذلك امراً سهلاً، لكنه ضروري خاصةً بالنسبة للكورد الذين سيتعين عليهم الكفاح لإقناع الآخرين بحقيقة وجودهم وعدالة مطلبهم. هذا التحول يستحق التضحية.

على الكورد مجابهة الواقع بكل تفاصيله.. والاّ يخشوا من التضحية بتصورات وافكار قديمة تعجز عن تفسير تعقيدات الوضع الجديد. هذه التضحيات تفتح آفاق المستقبل. في الكفاح عموماً يضحي الانسان بالروح والمال. واما الجهد المطلوب للتحول نحو الكفاح السلمي فيتطلب هو الآخر تضحيات كبيرة، منها ايضاً التضحية بالمواقع والمكاسب الاجتماعية. هذا ايضاً فداء، ربما يصعب ذلك على البعض أكثر مما يصعب الموت.

لكنه فداء لابد منه حتى يستقيم الدرب نحو الخلاص.

فان لم نتدارك، فاننا وقبل ان نصل عام ١٩٩٥ نكون قد فاتتنا فرص تاريخية أخرى[١].

(١) كتبنا ذلك صيف ١٩٨٩.

١٠

هل تكونت لدى العالم صورة واقعية عن قضيتنا؟

او هل تكونت لديه صورة قريبة عما نتصوره نحن عن انفسنا؟

كيف يرانا العالم؟ كيف يتفهمنا؟ سواء اقرب الشعوب الينا او ابعدها؟

هذه ايضاً معضلة.

اذ نخطئ ان تصورنا بأن العالم يفهمنا كما نفكر نحن، او كما نريده ان يرانا.

الصورة عنا متعددة الجوانب. وكأية قضية اخرى.. يراها الناس من زوايا مختلفة، يمكن اجمالها في ثلاث صور:

١- من ينكر او يتجاهل القضية، سواء لعدم اهتمامه بها، او لإنها لم تصله كما ينبغي وربما لإنها لاتعنيه في شيء، او لإنه يعاديها اصلاً ويحاربها.

٢- من تكونت لديه صورة مشوشة مضطربة عنها. فيتناولها في أطر ضيقة، او يمطرها بانتقادات شديدة مع اهتمامه بها. هناك ايضاً من يتعاطف معها كقضية لكنها لم تصله بوضوح. وهذا قصور ذاتي من الحركة نفسها.

٣- صورة واضحة ومحددة... تكونت لدى قطاع هام من الرأي العام الاقليمي والعالمي، لاسيما الرأي العام الشعبي. انه قطاع هام لكنه ليس واسعاً بعد. انه ثقل هام في الواقع، وذو وزن خطير، بدأ من حيث كان ينبغي ان يبدأ.. بدأ من اعلى فئات الوسط الثقافي وعياً وشعوراً بالمسؤولية ازاء مصير البشرية. وهذا يستحق منا اهتماماً جدياً، ومن حقنا ان ننتظر اتساع وتعمق هذا التعاطف.

هذا القطاع يرى القضية إيجابية، ويتناولها من الزاوية الايجابية. ونعني بها تلك الزاوية التي تنسجم ومطامحنا وعدالة قضيتنا.

هناك اذن رقعة إيجابية في وسط الرأي العام الاقليمي والعالمي.

يعتمد اتساعها ورسوخها ايضاً على المواقع الفعلية للحركة، وصحة وصواب نهج فصائلها وقواها وأساليبها الكفاحية المشروعة والمقبولة، ونشاطها لتحسين هذه الصورة. وبالذات من خلال تعزيز وجودها الذاتي على ارض الوطن وتنظيم نفسها على أسس عصرية عقلانية وديمقراطية.

يهمنا، كقضية، تعميق وترسيخ الصورة الاخيرة عنا. وهو ماينبغي متابعته ومراقبته دوماً لإغنائه وتطويره وتحسينه.

ماهي أطر هذه الصورة؟

كيف يرانا هذا الجزء الهام من الرأي العام؟

سنتخذ نماذج من نصوص بعض الوثائق الصادرة مؤخراً عن ندوات ولجان عالمية بحثت في القضية الكوردية واصدرت قرارات ونداءات حولها.

هذه النصوص تتضمن خلاصة لأهم ما جاء في كافة كلمات ومواقف التضامن معنا حتى الآن، نعتمد فيها على وثيقتين هامتين:

١- وثيقة صادرة عن كونفرانس (بريمن) في المانيا الفدرالية في ١٤-١٦/٤/١٩٨٩ والتي اصدرها ووقعها مئات الشخصيات البرلمانية والاجتماعية والثقافية البارزة والمنظمات والحركات الجماهيرية والسلمية والانسانية من مختلف بلدان العالم لاسيما معظم اقطار اوروپا الغربية اضافةً الى مصر والهند ودول افريقية وامريكية لاتينية واستراليا وغيرها.

٢- البيان التأسيسي للجنة العالمية للتضامن مع الشعب الكوردي التي تشكلت مؤخراً ووجهت رسالة الى الأمين العام للأمم المتحدة بتوقيع شخصيات اجتماعية وثقافية بارزة من (١٧) بلداً من ضمن البلدان الموقعة على الوثيقة الاولى، من بينها مصر والهند وزائير وغيرها كبلدان من العالم الثالث.

والوثيقتان تركزان على الوضع في كوردستان العراق مع إشارة الى الاجزاء الاخرى لاسيما كوردستان تركيا.

فيما يلي نصوص مقتبسة منهما معاً، ترسم ملامح الصورة الايجابية المتكونة لدى هذا المعسكر من أصدقاء شعب كوردستان:

- «ان الشعب الكوردي هو واحد من اقدم شعوب الشرق الاوسط، له ثقافته وتاريخه الخاص، بعدد سكانه الذي يفوق الـ(٢٠) مليون نسمة في وطنه المجزأ..».

- «منذ سنوات طويلة، وعلى مرأى من الرأي العام العالمي كله، يتعرض الشعب الكوردي الى سياسة حرب إبادة منظمة، يجري فيها استعمال مختلف الاساليب والوسائل...» «من حرمانه»، «سلب ابسط حقوق الاولية»، «حتى سياسة التهجير

الجماعي والاعدامات واستعمال الغازات السامة..».

- «بكل تلك الوسائل الهمجية يجري العمل المنظم من أجل الإبادة الجسدية والنفسية لهذا الشعب..»، و«ان نضاله من اجل الحياة بحرية في بلاده والمساواة مع بقية الشعوب يقمع بوحشية».

- «ان جريرة الشعب الكوردي انما هو كفاحه المتواصل من اجل حقوقه القومية الديمقراطية وحرياته لاغير..».

- «ان ثمة حاجة لأن تتبنى الأمم المتحدة قضية الشعب الكوردي وتعمل على دعم نضاله من اجل حقوقه المشروعة ومن أجل حقوق الانسان الديمقراطية..».

- «يجب ان تلح الأمم المتحدة على درج القضية الكوردية في جدول اعمالها، وكذلك في اطار القانون الدولي ومبدأ المساواة وحق تقرير المصير للشعوب والعمل لأيجاد الحلول للمشاكل».

- «ان ممارسة حرب الابادة ضد شعب بكامله ومصادرة حقوق الانسان الاولية في العيش بحرية وسلام، وانتهاك المواثيق والاتفاقيات الدولية، ليس شأناً داخلياً لهذه الحكومة او تلك، او امراً يخضع للمساومات السياسية الدولية او المصالح الاقتصادية والتجارية، وانما هي قضية تعني الانسانية برمتها».

- «يجب تشكيل منظمات مستقلة في الدول والحكومات لمتابعة قضية الشعب الكوردي وفضح المخالفات او انتهاك حقوق الانسان..».

- بيان (بريمن) لحقوق الانسان في كوردستان «قد لفت اهتمام السكرتير العام للأمم المتحدة، والمجموعة الاوروپية والسوق الاوروپية المشتركة، ورئيس الپرلمان الأوروپي، وجميع رؤوساء الدول والحكومات والمنظمات الدولية، للعمل من اجل تشريع قانون لحقوق الانسان في كوردستان...».

- «.. وإنطلاقاً من واقع ان عشرين مليون كوردي.. محرومون من ابسط حقوقهم الانسانية، وسط تواطؤ وصمت رهيبين ندعو الأمم المتحدة الى اعتماد ممثل للأكراد بصفة مراقب دائم».

- «الدول التي تعمل من أجل الحلول السلمية لمشاكل الشرق الاوسط يجب ان تضمن درج القضية الكوردية في جدول أعمال المؤتمر القادم المزمع عقده في الشرق الاوسط.

وتسهيل مشاركة التمثيل السياسي للكورد في مؤتمر السلام في الشرق الاوسط».

– «يجب على السكرتير العام للأمم المتحدة ان يضمن مشاركة التمثيل السياسي للكورد في محاولاته لإنهاء حرب الخليج».

– «ان الرغبة بسيادة سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط لايمكن ان يتم وثمة شعب يقتل ويباد وتصادر حقوقه، هو الشعب الكوردي..».

– «على كل الانسانية والمنظمات ان تدافع ضد الاضطهاد الذي يتعرض له الشعب الكوردي والذي يهدد تأريخهم وثقافتهم وتراثهم وكذلك هويتهم القومية، وكذلك محاولات ومخططات ترحيلهم من مناطق سكناهم الاصلية والمحاولات العاجلة لضمان عودتهم الى اراضيهم مع ضمان معاملة اللاجئين الكورد في تركيا وفق مقررات اتفاقية جنيف..».

– «دعوة الأمم المتحدة والصليب الاحمر الدولي وغيرها من المنظمات الانسانية الى ارسال بعثات تحقيق الى منطقة كوردستان للتعرف عن كثب على الجرائم المعادية للبشرية والتي ترتكب بحق الشعب الكوردي وضمان الرعاية الطبية للمصابين واعتبار الهاربين من الاكراد الى تركيا وايران لاجئين سياسيين..».

.... وغيرها من النصوص الهامة التي صارت ترسم صورة محددة عن القضية الكوردية والتعريف بها امام العالم، وتصوراً عن كيفية حل شؤونها الحادة. وينطلق هذا التصور من أسس واضحة في التفكير والعلاقات، مبنيّة على الحل السياسي الديمقراطي واقامة علاقات ديمقراطية أخوية مع ابناء الشعب الكوردي، وان يكون لهم موقع في العلاقات الدولية التي ينبغي ان تكون انسانية وديمقراطية في التعامل معهم.

١١

انجح اساليب الكفاح، والعمل في اي ميدان، هو ذلك الذي يستهدف توفير أكبر مايمكن من الجهد، واختصار الزمن وتقليل الآلام والهموم ما أمكن.

واجبنا... هو البحث عما يختصر، ويقلص الى اقل حد ممكن، آلام وعذابات ملايين الناس، ملايين الكورد البسطاء الذين هم من أفقر فقراء الارض ومحروميها.

واذا ما توفرت شروط لمثل هذا التقليص للعذابات فليس من الحكمة ان نستسلم

للعواطف والمشاعر غير المبررة واقعياً، فنقع مرات ومرات في مسيرة العذاب الذي يثقل على صدر جماهير الشعب.

رأيت رجلاً يبكي أحد أمواته، كان يجهش عند القبر. وبعد دقائق نهض وجاء بماء يسقي به شتلاً مزروعاً بين القبور. ثم جلس يأكل خبزاً وتمراً.

تلك هي إرادة الحياة الجارفة وسط حلبة الموت...

فالرجل يبكي انساناً عزيزاً مات ولن يعود.. بينما احزانه لاتحجب عنه فطرة عفوية، فطرة الحياة، فيروي شجراً أخضر، راجياً له البقاء والنماء واستمرار الحياة.. مثلما يواصل هو تلك الحياة، وزاده تمر وخبز.

تلك هي ارادة الشعوب ايضاً..

وهي اذ تبكي عشرات الآلاف من ضحاياها العزيزة فانها لاتتوانى لحظة في إرواء شجرة الحياة التي تظل خضراء طالما بقي كوكب الارض يدور بسرعته الهائلة، سالماً، في مداره.

وطالما يمكن توفير شروط افضل لحياة الانسان المتحرر مادياً وروحياً، فلماذا نتقاعس عن ذلك؟

ولماذا التردد في خوض دروب احسن واقوم تفضي بسرعة أكبر الى عالم افضل من هذا العالم المعذب؟

باختصار...

تتولد في رحم المجتمع الكوردستاني –ومنذ فترة ليست قصيرة– شروط ذاتية وموضوعية لإستنهاض حركة شعبية واسعة باساليب جماهيرية، سياسية، وصولاً الى نفس الاهداف المشروعة.

ماهي هذه الشروط؟

١– كمياً... عدد نفوس المجتمع الكوردي يبلغ ملايين غزيرة.. وهو ثقل سكاني بارز على الارض لم يعد بالأمكان تجاهله.

٢– نوعياً... خبر وتجارب متراكمة عبر كفاح طويل الامد، ووعي اجتماعي وقومي يتزايد عمقاً، بحيث صارت فكرة الكفاح التحرري ملكاً لملايين الناس، ولم تعد حكراً

على نخبة صغيرة... وهذا يعني توفر قوة مادية بشرية هائلة..

٣- ولادة رأي عام دولي يتزايد اتساعاً، تضامناً مع القضية.

٤- تنامي اتجاه في صفوف الجماهير الشعبية وحتى قطاعات من الاوساط الرسمية للبلدان التي يعيش الكورد فيها، وهو اتجاه يتحسس واقعية وجود القضية ويبحث عن حلول لها.

٥- المناخ الدولي العام، والعلاقات الدولية الجديدة التي تهدم الفواصل والحدود الاجتماعية والتأريخية بين الشعوب والأمم، وتقربها الى بعضها، وتعاظم تيار التغيير الديمقراطي في العالم مما يوفر شروطاً موضوعية للكفاح السلمي.

٦- التطور الهائل للعلم والتكنولوجيا الحديثة لاسيما في العلاقات والاعلام، والسرعة الهائلة لأنتقال المعلومات، كل ذلك يساعد على انكشاف أي أمر. فلم يعد بمقدور أعتى الانظمة استبداداً ان تخفي الحقائق وتعتم على الاخبار[١]، مما يشكل رادعاً آخر يضاف الى المطالبة العالمية باحترام الحريات العامة وحقوق الانسان في كل مكان.

هكذا... صارت بإمكان الجماهير الشعبية الواسعة جداً ان تتفهم حقوقها ومطاليبها بشكل أحسن، وأن تناقش أمورها رغم الاستبداد... فالأطلاع الواسع على الحياة الآمنة الرغيدة لشعوب اخرى، يدفع جماهير بلدنا ايضاً الى مضاعفة الكفاح وصولاً الى حياة كريمة.

وأظن انه بات بمقدور الكورد اليوم ان يعلنوا بأعلى صوت، ويملأوا آذان العالم أجمع، بأنهم قادرون على مباشرة كفاح سياسي جماهيري واسع في سبيل طموحاتهم المتواضعة التي لاتضر أي شعب آخر ولا أية دولة اخرى، ولاتسيء الى أحد. ويمكنهم تركيز طموحاتهم فيما يلي:

١- الاعتراف بوجودهم القومي، واحترام الشخصية القومية الكوردية ضمن حدود البلد الذي يعيشون فيه، بالتعاون والتفاهم مع شعوب ذلك البلد.

٢- ضمان الحريان العامة وحقوق الأنسان مما يفسح امامهم المجال لممارسة حياتهم الثقافية والإجتماعية.

---

(١) تأكد ذلك فيما بعد اثناء الهجرة المليونية في ربيع عام ١٩٩١.

٣- الأسراع في تحسين حياتهم الإجتماعية والإقتصادية وإجراء تنمية سريعة للمناطق الكوردية، بعد إزالة مظاهر التخلف والتمييز الذي خلفته العهود السابقة، ففي العراق مثلاً: العمل ايضاً لإلغاء وازالة النتائج المدمرة لتغيير الطابع القومي والتاريخي لكوردستان.

ذلك كله لايسلب الكورد حقهم الطبيعي في كافة الحقوق القومية المشروعة التي يمكن نحقيقها حسب شروط تأريخية ملموسة..

هناك، اذن، إمكانية للحديث عن (طريق للسلام من أجل كوردستان).. وصار بإمكان الكورد ان يتحدثوا بين انفسهم وبصراحة عن أساليب وإمكانيات سلمية للكفاح مما يستجيب لنداء الحياة ومنطق التاريخ.

خطوتهم الاولى هي وحدة عملهم واهدافهم الواضحة، واطلاق الطاقات الهائلة جداً، المكبوتة حتى الآن والمخنوقة لأسباب ذاتية في الغالب، وموضوعية ايضاً.

١٢

الحل السياسي يعني توصل القناعات البشرية الى التعايش معاً... ويجدر بنا الحديث عن طريق للسلام لأسباب هامة:

- الناس في كل مكان، سواء الكورد أو غيرهم، صاروا يدركون هذه اللغة ويتفهمونها وان كانوا يترددون في الجهار بها.

- يستجيب للمنطق. اذ ان حل أي مشكلة عن طريق الحوار الأخوي السلمي والتفاهم هو اصح واسلم واقرب الى الطبيعة البشرية.

- حل القضية سياسياً مفيد وضروري للكورد، مثلما هو مفيد وضروري للشعوب التي يعيشون معها. واما اهمالها فيضر الجميع.

- هذا الحل يخدم السلم والاستقرار في الشرق الاوسط والعالم. من الافضل للكورد ان يكونوا من انصار مثل هذا السلم... ومادامت مسائل شرق -اوسطية حادة مثل قضية فلسطين وحرب الخليج (الاولى) يجري البحث عن حلول سلمية لها، فليس من المنطقي ان تهمل القضية الكوردية لتتحول الى جرح نازف مثل قضية لبنان المأساوية، وربما أسوأ.

–نحن ايضاً ننشد عالماً بدون اسلحة وحروب. ننشد سلاماً شاملاً على الارض. هنا تتوحد طموحات الكورد مع كافة شعوب الارض في الحفاظ على الحياة الانسانية بابعاد مخاطر حرب نووية ماحقة. ومن حقنا وواجبنا أكثر من غيرنا ان نكون ضمن المسيرة الانسانية الداعية الى نزع السلاح وتقليص النفقات العسكرية الباهظة وتوفير ذلك لتحسين حياة الانسان لاسيما الشعوب المحرومة.

– فالسير بهذا الاتجاه ينسجم مع تيار التغيير الديمقراطي في بنية النظام الدولي وعلاقاته، واعادة بنائها على أسس انسانية عادلة وديمقراطية.

ان الكفاح التحرري الكوردي، بطبيعته الاجتماعية التواقة الى ازالة الاستبداد والتعسف، هو جزء من حركة السلام في العالم.

هذه الافكار والتصورات ليست جديدة.. بل تتردد منذ زمن ليس قصيراً، وبات الحديث عنها بوضوح ضرورة اجتماعية.

فلسنا نضيف شيئاً الى مايعرفه الكثيرون. لكن الشيء الجديد هو ان الشجاعة تقتضي العمل لتجسيد ذلك.

وكما قلنا... تبدأ الخطوة الاولى من تغيير الفكر والتصورات، تغيير مفاهيمنا عن أمور اثبتت الحياة انها ناقصة ومشوشة، او انها انقطعت عن جذورها الاجتماعية التي تيبست منذ فترة..

انا، كصحفي يتكلم من وجهة نظر كوردية – احدى وجهات النظر على الاقل– ارى بأنه قد آن الأوان كي نستعد جميعاً لحوار طويل جاد مع انفسنا اولاً، بين صفوفنا اولاً.. لننقب ونبحث ونبحث عن العلل الاصلية.. ونفتش عن الحلول التي تضمن كرامة وحقوق شعبنا ومصالح وكرامة وحقوق الشعوب الاخرى في نفس الوقت.

اخطر الاخطاء هي تلك التي قد تقع عفوياً بوضع مصلحة وطموحات شعبنا كموقف مناقض (ولو ظاهرياً) لمصلحة وطموحات بقية الشعوب الشقيقة التي نحيا معها.

ان مستقبل الشعب الكوردي مرتبط بمدى تعزيز روابطه الاخوية القائمة على الاحترام المتبادل مع ابناء تلك الشعوب.

اعتقد ان على الكورد ان يهيئوا انفسهم لمناخ فكري–نفسي افضل..

فان امنهم مرتبط بأمن شعوب المنطقة، وأن مستقبلهم يتقرر بالتعاون مع هذه

الشعوب، والحرية التي ينشدونها لاتتجزأ عن الحرية التي تحصل عليها تلك الشعوب.

اتحدث عن واجبات الكورد أكثر من واجبات الآخرين.. لأن الأفضل في كل حوار هو ان يبدأه الكوردي بالتفكير فيما يجب عليه هو وما يمكنه عمله، حتى يختصر المسافة بينه وبين الآخرين.

وقد ينبري احدهم ليقول بأنني أُحمِّل الكورد اخطاء وأموراً لايتحملون مسؤوليتها.. أو أن كلماتي قد توحي «بأتهام» الكورد.

الموضوع ليس «ثارات».. ولاحاجة الى القلق والخوف من النقد. صحيح بأن المسؤولية الأكبر تقع على المؤسسات الحاكمة والمبادرة في يدها في اغلب الاحيان.. إلاّ ان ذلك لايبرر أخطاء سواء في العمل او في انماط التفكير. علينا ان نبدأ دوماً من التغيير في أنفسنا. في ذاتنا، في وضعنا، قبل ان نطالب الآخرين..

١٣

المحبة نور يضيء عقول البشر، والمحبة هي العنوان الوحيد لمستقبل العلاقات بين البشر على الارض. والا افنيت هذه الحياة.

المحبة حياة. وفي السلام محبة. في العدالة محبة.. والسلام عدل وحرية.

وسيواصل اليقظى، المتوهجون، البحث عن طريق للسلام من أجل كوردستان، وفي سبيل كافة الناس على الارض.. كافة الشعوب والأوطان.

١٤

وتحية.. تحية من جبال كوردستان

الى وطن الجبل الأخضر..

حزيران/١٩٨٩

مدخل

تعريف العالم بالقضية الكوردية، كذلك تعريف الشعب الكوردي بما يقال عن قضيته لاسيما من قبل أصدقائه، أمران متلازمان، وجديران بالأهتمام دوماً، خاصةً اذا كان الامر يتعلق بالكفاح المشترك للأمتين العربية والكوردية.

منذ فترة والعقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح من ايلول ١٩٦٩م يتحدث بين الحين والآخر عن القضية الكوردية، منصفاً الأمة الكوردية، معترفاً بحق هذه الأمة ومدافعاً عن هذا الحق. فرأينا لزاماً علينا ان نبحث في هذا الموقف التحرري ونعرض له لتنوير القارىء العربي والكوردي في آن واحد (اذ سينشر الكتاب باللغة الكوردية ايضاً) بقضية كفاحية مشتركة ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ومن أجل التحرر والتقدم الاجتماعي، قضية تهم كافة أمم الشرق الاوسط، حيث يشير القذافي مراراً الى حق الامة الكوردية في التمتع بكيانها على قدم المساواة مع هذه الأمم والتعايش معاً في اخاء وحسن جوار.

واذا كانت اقسام الكتاب قد تهم القاريء الكوردي (لاسيما القسم الاول) لما تعرضه من الاساس النظري، الفقهي، لموقف القذافي من القضية الكوردية وما يقوله عنها، قد تهم القاريء العربي لما تعرضه (في اقسام اخرى) بإيجاز عن مراحل تطور الكفاح العربي–الكوردي، ونبذة عن القضية الكوردية، اضافةً الى ان الكتاب يمثل وجهة نظر كوردية في موقف القذافي. انها وجهة نظر صحفي كوردستاني. ولايدعي الكاتب بأنها وجهة نظر كل الاكراد ولا وجهة نظر الحركة التحررية الكوردية قاطبةً.

لكنها على اي حال وجهة نظر كوردية تعكس جانباً من هذا وذاك. كما لايدعي الكاتب بأنه التزم موضوعية تامة (محايدة) لأنه يصعب على مثقف يتعامل مع قضيته القومية، لاسيما في حال كحال الأمة الكوردية المغبونة تاريخياً، ان يتحرر نهائياً من العواطف والاحاسيس القومية فيتعامل مع القضية الكوردية كقطعة حجر باردة. فهو

يسعى –ولو في اللاشعور– الى استزادة ما له (أو للقضية) والتخفيف مما عليه (أو على القضية).

وكي لا نكون قد نقلنا فقط تصريحات او اقوالاً مجردة، فقد سعينا الى عرض الاساس النظري لموقف القذافي. وهذا هو القسم الاول من الكتاب والذي يتناول (الكتاب الأخضر) كأساس عقائدي للقذافي ازاء القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومنها ازاء الاقلية والأمة. ومن ثم يبني الموقف ازاء القضية الكوردية. وفي هذا القسم حاولنا تفسير موقف القذافي بفكر القذافي نفسه. ومن خلال ذلك عرضنا اهم تصريحاته ومداخلاته عن القضية الكوردية منذ اواخر السبعينات.

القسم الثاني يتناول الكفاح العربي–الكوردي المشترك. اذ ان من بين ما يمكن استخلاصه من القسم الاول هو ان موقف القذافي يعزز هذا الكفاح المشترك فنتناول نبذة تأريخية عن ظهوره وتطوره والعوامل الموضوعية لتعزيزه خاصةً منذ نشوء الدولة العراقية الحديثة، وعلاقة التركيب الاجتماعي والقومي لهذه الدولة بكل ذلك، مع نبذة عن مواقف القوى والاحزاب العربية والكوردية ازاء أهمية الكفاح المشترك.

ومادام الحديث هو عن القضية الكوردية فقد خصصنا القسم الثالث لها: موجز عن الكورد وكوردستان، عذابات الأمة الكوردية، الحركة التحررية الكوردية المعاصرة، كذلك الثقافة الكوردية –نعرض لكل ذلك بأيجاز شديد كتعريف من جهة، وكتأكيد عن انطباق ما يقوله القذافي عن أوضاع الأمة الكوردية على الحالة الموجودة فعلاً، مثلما اننا في القسم الثاني نسعى الى ابراز أهمية الاعتراف العربي بالقضية الكوردية كعامل لتوطيد الكفاح العربي–الكوردي المشترك وهو ما أشار اليه الزعيم الراحل عبدالناصر من قبل، ومايشير اليه القذافي حالياً.

نأمل ان يكون هذا الجهد المتواضع لبنة اخرى من بنيان الاخوة العربية– الكوردية لخدمة الكفاح التحرري لشعبنا وشعوب المنطقة على طريق التحرر والسعادة.

تشرين الثاني/١٩٨٥

القسم الاول

الفصل الأول

الأمة الكردية أمة ممزقة مستعمرة يجب ان تأخذ مكانها على قدم المساواة مع بقية الأمم

اعلن معمر القذافي مراراً عن تأييده للقضية الكوردية، ودعا الى حلها، وحرض ابناءها، مثلما حرض الرأي العام العربي والعالمي باتجاه التعاطف مع هذه القضية العادلة التي اعتبرها القذافي قضية «أمة ممزقة مستعمرة مهانة مضطهدة»[١] يجب «أن تأخذ مكانها على قدم المساواة»[٢] مع بقية الأمم.

فماهو الأساس النظري لهذا الموقف التحرري من القضية الكوردية؟ إن الجواب على هذا السؤال يلقي الضوء الكافي على مجمل تصريحات القذافي في مناسبات مختلفة ومداخلاته في الندوات العالمية حول (الكتاب الأخضر)، حيث سنستعرض تلك التصريحات والمداخلات من خلال عرض الاساس النظري لها. ولسنا هنا بصدد المناقشة النظرية لهذا الأساس الفقهي، بل نسعى الى استجلاء الجذور الفكرية للقذافي من خلال النظرية التي عبر عنها في (الكتاب الأخضر). وبمعنى آخر، فان غالباً ما كان يتحدث «لاحديث سياسي» بل «من الناحية النظرية» مثلما قال مرة في عام ١٩٧٩ في معرض دفاعه عن تأييده لكفاح الأمة الكوردية:

«انا شخصياً لي حديث سابق عن عمل الاكراد بغض النظر عن موقعهم في العراق.. في ايران.. في تركيا.. في اي بلد آخر.. واتحدث في هذه الساعة لاحديث سياسي، بل انا اتكلم من الناحية النظرية، من ناحية فقهية، من ناحية فكرية.. انا احترم أي أمة سواء كانت صغيرة أو كبيرة، وأعتقد انكم جميعاً تتفقون معي في احترام كل الجماعات البشرية..»[٣] وان «الامة الكوردستانية هي اذن تكون أمة واحدة..»[٤].

ومن اجل ان نبحث عن الاساس النظري ينبغي ان نعود الى النظرة تجاه الاقلية والامة كما هو وارد في (الكتاب الأخضر)، وبتعبير آخر يجب أن نبحث عن القضية الكوردية في هذا الكتاب رغم انها غير مذكورة فيه بالأسم.

فما هو الكتاب الأخضر؟

يحمل الكتاب أسم معمر القذافي، ويشكل الايديولوجية التي تنطلق منها (الجماهيرية) بكل المعاني الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعقائدية التي يعنيها (المجتمع الجماهيري).

صدر الكتاب في ثلاثة فصول:

- الفصل الاول (حل مشكلة الديمقراطية– سلطة الشعب) صدر عام ١٩٧٤م.
- الفصل الثاني (حل المشكل الاقتصادي– الاشتراكية) صدرعام ١٩٧٧م.
- الفصل الثالث (الركن الاجتماعي للنظرية العالمية الثالثة) صدر في يونيو ١٩٧٩م.

ثم صدرت الفصول الثلاثة في كتاب واحد باللغة العربية، وترجم الى عدد من اللغات العالمية وقدمت له شروح مطولة، واقيمت حوله ندوات عالمية منها ندوة جامعة قار يونس–بنغازي في اكتوبر ١٩٧٩، وندوة جامعة مدريد المستقلة في ديسمبر ١٩٨٠. هذا وقد اعدت ترجمة كوردية للكتاب لم تطبع بعد، ترجمها من العربية شاعر كوردي بارز.

في الفصل الاول يطرح الكتاب حل مشكلة الديمقراطية بإقامة سلطة الشعب، ويعني هذا الحل «تطويراً شاملاً لديمقراطية المشاركة وفي الانخراط الاوسع للشعب في قضايا الحسم السياسي.. حيث لايمكن تحقيق السلطة الشعبية إلاّ بكيفية واحدة.. وهي المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية (لا ديمقراطية بدون مؤتمرات شعبية)[٥]...».

الفصل الثاني هو حل المشكلة الاقتصادي بالأشتراكية (او الركن الاقتصادي للنظرية العالمية الثالثة)، بتحرير الانسان من عبودية الأجرة وتساوي حصص العوامل الثلاثة: مواد خام، آلة، منتج، في الانتاج، وتحرر حاجات الانسان[٦].

اما الفصل الثالث فهو الركن الاجتماعي للنظرية العالمية الثالثة.

اذ بعد ان يحدد المحرك للتأريخ الانساني بالعامل الاجتماعي اي العامل القومي،

يتناول تحليل دور الاسرة، القبيلة، الأمة، ثم المرأة، الاقليات، السود، الالحان والفنون، واخيراً الرياضة والفروسية والعروض[٧].

سنتوقف عند الفصل الاخير الذي يتضمن الاساس النظري حول الاقليات والامة؛ يقول بهذا الصدد:

«ان المحرك للتاريخ الانساني هو العامل الاجتماعي.. أي القومي. فالرابطة الاجتماعية التي تربط الجماعات البشرية كلاً على حدة من الأسرة، الى القبيلة، الى الأمة هي اساس حركة التأريخ»[٨].

«ان العلاقة بين فرد وجماعة هي علاقة إجتماعية... اي علاقة قوم ببعضهم بعضاً... فالاساس الذي كون القوم هو القومية. اذن، تلك القضايا هي قضايا قومية... والعلاقة القومية هي العلاقة الاجتماعية. فالإجتماعية مشتقة من الجماعة، اي علاقة الجماعة فيما بينها.

والقومية مشتقة من القوم، اي علاقة القوم فيما بينها، فالعلاقة الاجتماعية هي العلاقة القومية... والعلاقة القومية هي علاقة اجتماعية[٩]. والمقصود بالجماعة هنا هي الجماعة الدائمة بسبب علاقتها القومية[١٠]. ثم ان الحركات التأريخية هي الحركات الجماهيرية، أي الجماعية.. اي حركة الجماعة من اجل نفسها.. من اجل استقلالها عن جماعة اخرى ليست جماعتها، اي لكل منها تكوين اجتماعي يربطها بنفسها، فالحركات الاجتماعية دائماً هي حركات استقلالية.. حركات لتحقيق الذات للجماعة المغلوبة –او المضطهدة من طرف جماعة اخرى[١١]».

ثم يفسر القذافي جوهر هذا الصراع بين جماعتين: ظالمة ومظلومة، فيقول:

«ان الجماعة الواحدة بحكم تكوينها الطبيعي الواحد، لها حاجات إجتماعية واحدة تحتاج اشباعاً بحالة جماعية وهي ليست فردية على أي وجه، بل هي حاجات او حقوق او مطالب او غايات صاحبها قوم تربطهم قومية واحدة»[١٢].

حركات التحرر القومي

يستنتج القذافي من كل ذلك قائلاً:

«لذا سمِّيت هذه الحركات بالحركات القومية. فحركات التحرر القومي في العهد الحاضر هي نفسها الحركات الاجتماعية، وهي لن تنتهي حتى تتحرر كل جماعة من

سيطرة جماعة اخرى، اي ان العالم الان يمر بأحد دورات حركة التاريخ العادية وهو الصراع القومي انتصاراً للقومية»[١٣].

«هذه هي الحقيقة التأريخية في عالم الانسان، وهي الحقيقة الاجتماعية أي أن الصراع القومي.. الصراع الاجتماعي هو اساس حركة التاريخ، لأنه اقوى من كل العوامل الاخرى، ذلك لأنه هو الاصل.. هو الاساس»[١٤].

الاقليات

«ان الاقليات التي هي إحدى المشكلات السياسية في العالم، سببها اجتماعي، فهي أمم تحطمت قوميتها فتقطعت اوصالها، فالعامل الاجتماعي عامل حياة.. عامل بقاء، ولذا فهو محرك طبيعي وذاتي للقوم من أجل البقاء»[١٥].

ان لموضوع «الاقليات» أهمية خاصة لتفسير موقف القذافي من القضية الكوردية، لاسيما وانه لايستعمل مصطلح «الاقلية» للمذاهب والاديان، بل يؤكد على ان الاقلية هي «قومية»، «عرقية» وليست «اقلية دينية او ثقافية»[١٦]. ثم يشير الى أن هناك نوعين من الاقليات القومية: اقلية تنتمي الى أمة واطارها الاجتماعي هو امتها.. واقلية ليس لها أمة وهذه لا اطار اجتماعي لها الا ذاتها. وهذا النوع هو الذي يكون احدى التراكمات التأريخية التي تكون في النهاية الأمة بفعل الانتماء والمصير..[١٧].

ثم نرى كيف يطرح القذافي حل مشكلة الأقليات حلاً يشمل كافة جوانب الحياة وليس فقط الجوانب السياسية والاقتصادية، «ان النظر الى الاقلية على أنها اقلية من الناحية السياسية والاقتصادية هو ديكتاتورية وظلم[١٨]. لذا فان المجتمع الجماهيري سيحل مشكلة الاقلية من الناحية السياسية والاقتصادية اما من الناحية الاجتماعية فالاقلية يجب ان تحترم وتمارس كل طقوسها وعاداتها الاجتماعية بما فيها لغتها»[١٩].

فهنا يؤكد القذافي على ضرورة ممارسة الاقلية لحقوقها القومية ايضاً. وفي باب (الألحان والفنون)، مثلاً يقول:

«عن الالوان والاحاسيس والاذواق والمزاج، سيبقى التعبير عن كل هذه الاشياء بنفس اللغة التي يتكلم بها كل شعب تلقائياً، بل سيبقى السلوك حسب رد الفعل الناشيء من الاحاسيس الذي تخلقه اللغة في فهم صاحبها»[٢٠].

«فالشعوب لاتنسجم إلاّ مع فنونها وتراثها، ولاتنسجم مع فنون غيرها بسبب عامل الوراثة حتى ولو كانت هذه الشعوب المختلفة تراثاً تتكلم حالياً لغة واحدة»[٢١].

فالقذافي يدعو، ويتطلع، الى التحرر، الى الانعتاق النهائي للشعوب وازالة استعباد شعب من قبل شعب آخر. ويرفض أي تسلط قومي بأي شكل كان، حتى ولو كان على شكل فرض «الاذواق الفنية» أو فرض الايديولوجية القومية للأمة الاخرى او حتى دينها. «العامل الاجتماعي هو الذي يتغلب في النهاية» حتى «على العامل الديني الذي قد يقسم الجماعة القومية والذي قد يوحد جماعات ذات قوميات مختلفة»[٢٢].

الأمة

فكر القذافي مثلما يحارب كل تسلط قومي، فهو يحارب كذلك «التعصب القومي» و«استخدام القوة القومية ضد الأمم غير القوية».

في باب (الامة) بالكتاب الأخضر توضيح لهذا الموقف.

ماهي الأمة؟

«الأمة هي مظلة سياسية قومية للفرد ابعد من المظلة الاجتماعية التي توفرها القبيلة لأفرادها.. والقبيلة هي افساد الامة. فالولاء القبلي يضعف الولاء القومي ويكون على حسابه.. مثلما الولاء العائلي يكون على حساب الولاء القبلي فيضعفه كذلك. والتعصب القومي بقدر ماهو ضروري للأمة هو مهدد للإنسانية»[٢٣].

وهكذا يخرج القذافي الى رحاب الانسانية ويدعو الى التآخي بين الشعوب على اساس احترام وجود وكيان كل شعب وأمة، فيقول:«التعصب القومي واستخدام القوة القومية ضد الأمم غير القوية أو التقدم القومي نتيجة استحواذ ما لأمة اخرى، هو شر وضار للأنسانية»[٢٤].

وأما كيف تتكون الأمم؟

«الأمة.. هي تراكمات تأريخية بشرية تجعل مجموعة من الناس تعيش على رقعة من الارض.. وتصنع تأريخاً واحداً ويتكون لها تراث واحد.. وتصبح تواجه مصيراً واحداً.. وهكذا فالأمة بغض النظر عن وحدة الدم هي في النهاية انتماء ومصير»[٢٥].

وبعد أن يرد القذافي على السؤال: لماذا شهدت خريطة الأرض دولاً عظمى ثم اختفت

وظهرت على خريطتها دول أخرى والعكس، وبعد أن يعدد ويشرح العوامل المختلفة، الدينية والاقتصادية والعسكرية في تكوين الدولة الواحدة او الامبراطورية، يعود ليؤكد على «أن العامل القومي هو العامل المحرك، فالدولة القومية هي الشكل السياسي الوحيد المنسجم مع التكوين الاجتماعي الطبيعي وهي التي يدوم بقاؤها ما لم تتعرض لطغيان قومية أخرى أقوى منها[٢٦]».

«ان تجاهل الرابطة القومية للجماعات البشرية وبناء نظام سياسي يتعارض مع الوضع الاجتماعي هو بناء مؤقت سيتهدم بحركة العامل الاجتماعي لتلك الجماعات أي الحركة القومية لكل أمة[٢٧]».

ذلك هو عموماً الأساس النظري لموقف القذافي من الأمة والأقلية، والآن لنر كيف ينطلق منه ليرسم موقفاً محدداً ازاء امة محددة هي الامة الكوردية.

الأكراد يُشكّلون أمة

الاعتراف بالأكراد كأمة من أمم المنطقة كان ولايزال موضوع صراع طويل بل احد ميادين الصراع الهامة للحركة القومية التحررية الكوردية التي تخوض مثل هذا الصراع سواء مع حكومات الشرق الاوسط التي يعيش الاكراد في ظلها أو مع القوى والمنظمات القومية والتقدمية لهذه الشعوب التي يعيش الاكراد معها. وبقدر ما يتقدم هذا الاعتراف فان القضية الكوردية تقترب من الحل.

ان جزءاً من الامة الكوردية يعيش مع الأمة العربية (في كيانات سياسية واحدة، سواء في العراق أو سوريا أو لبنان). وعلى الصعيد العربي فقد ازداد الاعتراف بعدالة القضية الكوردية من قبل الاوساط والقوى القومية والتقدمية العربية لاسيما منذ الستينات، ومن ثم السبعينات بشكل أوسع. وان قوى ومنظمات عربية قومية وتقدمية عديدة قد اقرت بالحقوق المشروعة للشعب الكوردي بصيغ ودرجات متفاوتة بلغ بعضها الاعتراف بحق تقرير المصير لهذا الشعب المحروم، وسنتناول أهمية ذلك في توطيد الكفاح العربي –الكوردي المشترك في القسم الثاني من هذا البحث، المتعلق بذلك.

وقد جاء اعتراف القذافي بالأمة الكوردية وحقها الكامل في التحرر القومي دعماً معنوياً كبيراً للحركة التحررية الكوردية وثقلاً جديداً وهاماً لصالحها في المنطقة، كذلك تعميقاً للموقف التحرري للأمة العربية ازاء القضية الكوردية. فلأول مرة يتحدث قائد تحرري عربي، وعلى رأس ثورة وسلطة شعبية، بمثل هذه الحرارة والصراحة في آن واحد عن قضية عادلة لأمة مغبونة تاريخياً، قضية متشابكة مع تعقيدات محلية واقليمية وعالمية، لاسيما وانها تقع في منابع النفط الهامة وعلى مشارف الخليج اضافةً الى أهميتها في الصراع العربي ضد امريكا و(اسرائيل) وقد عبر عن ذلك الزعيم الكبير الراحل جمال عبدالناصر في حديثه الى المسؤولين العراقيين في عام ١٩٦٣ اثناء وجودهم في القاهرة بالقول:

«ان القومية العربية قد تتقوى بضمان مساندة الكورد ووقوفهم ضد أعداء العرب»[٢٨].

بغية عرض موقف القذافي أوضح ما يمكن، نستحسن ان ننقل، هنا ايضاً، المداخلات النظرية التي يقدمها للوصول الى تأييده للقضية الكوردية. وقد شرح الموقف من (الاقلية) مرة اخرى وبتفصيل اوسع في مداخلة له في الندوة العالمية حول الكتاب الأخضر في بنغازي/اكتوبر ١٩٧٩[٢٩]، قال:

«الأقلية نوعان لاثالث لهما: اقلية تنتمي الى امة واطارها الاجتماعي هو امتها.. واقلية ليس لها امة، وهذه لا اطار لها إلاّ ذاتها، وهذا النوع هو الذي يكون احد التراكمات التأريخية.. التي قد تكون في النهاية الأمة بفعل الانتماء والمصير..توضيح هذه العبارة..الآن توجد في العالم مشكلة الاقليات، مشكلة خطيرة، ولا يمكن للفصل الثالث من الكتاب الأخضر ان يغفل مثل هذا الموضو الخطير.. باعتبار الاقليات هي مضطهدة.. والكتاب الأخضر ينتصر للأنسان سواء الانسان الذي ينتمي الى امة كبيرة او الى اقلية. فقضية الحرية واحدة. وهذه الاقلية التي تنتمي الى امة، فاطارها الاجتماعي هو امتها.. لكن هناك نوع ثان من الاقليات في العالم، الآن ليست له أمة.. اما أن هذه اندثرت واصبحت لها بقايا لاتكون امة، تمثل الآن بتعريفنا اقلية موجودة داخل امة اخرى.. هذه اقليات لا امة لها في الوقت الحاضر، ليس لها من اطار اجتماعي إلاّ ذاتها»..

يضيف القذافي قائلاً:

«هذه الاقلية لها حقوقها الاجتماعية الذاتية، ومن الجور المساس بتلك الحقوق من طرف اي اغلبية.. هذه الاقلية لابد ان تحترم، وتمارس حياتها الاجتماعية وفقاً لتقاليدها الذاتية، فالصفة الاجتماعية ذاتية وليست قابلة للمسخ او الخلع.. من العسف أن نفرض على اقلية صفة اجتماعية ليست من ذاتها.. ولكن نحترم الذات الاجتماعية لهذه الاقلية..ومن الجور ان نحاول خلع هذه الصفة، ومن المستحيل خلعها.. وهذا هو سبب الصراع بين ألاقلية والاغلبية»..

ثم يستطرد القذافي في مداخلاته ليجد حل مشكلة الاقلية في «المجتمع الجماهيري الذي يجب ان يكون بيد جماهيره: السلطة والثروة والسلاح.. المجتمع الجماهيري ليس

فيه اقلية او اغلبية..» فالحل هو احترام الصفة الذاتية للجماعة البشرية.

وبعد ان يشرح القذافي الحلول التي تقدمها سلطة الشعب والمجتمع الجماهيري للأقلية، يتطرق الى القضية الكوردية، مدافعاً –في هذه المداخلة– عن موقفه منها تعقيباً على بعض المشتركين في الندوة ممن تناولوا موقفه بالنقد او التأييد، فيقول:

«انا شخصياً لي حديث سابق في عمل الاكراد..» –وهي الفقرة الني نقلنا جزءاً منها في بداية هذا الفعل–، ثم يستطرد قائلاً:«اعتقد انكم جميعاً تتفقون معي في احترام كل الجماعات البشرية، فالأمة اذا كانت صغيرة ليس هناك مبرر لأحتقارها. فكل أمة ينبغي ان تكون مجتمعاً مستقلاً.. هذه طبيعة الاشياء، ومحاولة دمج أمة في مجتمع آخر ليس من ذاتها، هو تدمير للكيانات الطبيعية من حياة الانسانية ستخلق مشاكل أكبر من ذلك، وصدامات اجتماعية وسياسية بالدرجة الاولى في هذا المجتمع الذي يريد ان يضم الامة العربية للأمة التركية. هناك مشاكل حصلت في التأريخ نتيجة جهل طبيعة الحياة الانسانية..».

ويضيف قائلاً:«دمج الأمة العربية في الامة التركية، ودمج الامة التركية في الامة العربية، لايتفق مع القانون الطبيعي، ولا مع طبيعة الاشياء، لكن الأمة العربية والامة التركية امتان شقيقتان متجاورتان مسلمتان، يجمعهما بعد العامل الديني.. العامل الديني وحدهم.. والعامل القومي فرقهم.. والصراع هكذا دائماً بين العامل الديني والعامل القومي. تتحد أمة نتيجة عامل ديني ثم تتفرق نتيجة انتصار العامل القومي، كما انفصلت پاكستان عن شبه الجزيرة الهندية للعامل الديني..ثم انفصلت بنغلاديش عن پاكستان الغربية نتيجة انتصار العامل القومي».

«توحدت الامة العربية والامة التركية نتيجة العامل الديني ثم انتصر العامل القومي وانفصلت الامة العربية عن الامة التركية، وهذا ما حدث ايضاً عندما اتحدت الامة الفارسية مع الامة العربية في عهد قوة الاسلام، ولكن بعد العامل القومي فرق بينهما. على أي حال، كل أمة لابد ان تحترم قوميتها.. ولانستطيع ان نفرض عليها الانصهار او الاندماج في أمة اخرى، هناك محاولات لأقتطاع اجزاء من الامة الزنجية وضمها الى أمم اخرى. وهذا جور... وعسف..».

هنا يصل القذافي الى الحديث عن الاكراد فيقول:

«الامة الكوردستانية هي، اذن، كانت تكون امة واحدة. ومايسمى الآن بأقليات الاكراد في تركيا، وفي البلاد العربية وايران، وربما في الاتحاد السوفياتي، اذن كان هؤلاء يكونون امة واحدة. يجب ان تحترم هذه الامة... ويجب ان تستقل هذه الامة، وان تقام معها علاقات صحيحة على أساس أنها مستقلة... ولامبرر لإقتطاعها».

ثم يشرح القذافي النوع الاخر من الاقليات، اي «الاقلية التي لا امة لها، لا اطار اجتماعي إلاّ ذاتها».

واما الاقلية الكوردية حيثما وجدت فهي اقلية تعود لأمة هي الامة الكوردية التي يجب ان تحترم على اساس كونها امة مستقلة.

وعلى هذا الاساس يدافع القذافي عن القضية الكوردية في مناسبات لاحقة ايضاً.

دولة كوردية مستقلة

في المداخلة التي قدمها، خلال ندوة جامعة مدريد المستقلة[٣٠] (او الحرة) حول الكتاب الأخضر في الاول حتى الرابع من كانون الاول ١٩٨٠ يشرح القذافي جوانب اخرى من النظرة الى «الاقلية»، ويتوصل على اساس ذلك الى حلول للمشكلة الكوردية والارمنية.

هنا ايضاً يستحسن نقل فقرات مما جاء في هذه المداخلة. في البداية يتحدث عن الفئات المضطهدة فيقول:

«هناك سبع فئات انا اعتبرها مضطهدة الآن وملزم ثورياً واخلاقياً بالكفاح الى جانبها حتى تنتصر، وفي انتصارها ستنتصر القوى المقموعة الان والمستغلة والتي تشكل الاغلبية الساحقة».

ويذكر هذه الفئات بالترتيب التالي:

١– الشغيلة.

٢– النساء شريحة مضطهدة.

٣– الاقليات فئات مضطهدة.

٤– السود فئة اخرى مضطهدة.

٥– الجنود فئة مضطهدة في جميع انحاء العالم.

٦- الاطفال هم ايضاً مضطهدون.

٧- الشيوخ والعجزة هم ايضاً مضطهدون.

ويضيف القذافي قائلاً:«على أي حال، هذا العصر، عصر الجماهير. سيشهد بالإضافة الى ثورة العمال وان يتحولوا الى شركاء، سيشهد ثورة النساء ويعود اليهن اعتبارهن، وسيشهد ثورة السود ليعود الى الجنس الأسود اعتباره».

اما عن الاقليات فيقول:«الاقليات هي الاخرى المضطهدة في العالم، وهي التي نالت نصيباً طيباً من المناقشة في هذه الندوة.. ليس هناك اقلية، لا اقلية من قومية، ليس هناك من الناحية العلمية قومية دينية. الدين والاعتقادات واعتناق المذاهب لايشكل اقلية، ولكن الاقلية الحقيقية التأريخية هي الاقلية القومية. اولاً الذي يعتنق ديناً غير دين قومه اصلاً خطأ، لكل قومية دين».

بعد ذلك يصل الى الاقلية القومية ليشرحها قائلاً:

«لكن الاقلية هي الاقلية العرقية، الاقلية القومية، الاجتماعية التي هي جماعة تنتمي الى عرق آخر، الى قومية أخرى. قد تكون هذه القومية مندثرة او هذه بقاياها، وبقاياها متوزعة بين الأمم كالشركس مثلاً، او الغجر او الهمج، هذه الجماعات التي يبدو انها بقايا لأمم غير موجودة الآن. ليست لهم ارض يعودون اليها، ولكنهم بقايا من التفاعلات البشرية السابقة، لاينتمون للأمم التي ينتمون اليها: الغجر ليسوا من هذه الامة او تلك، هم غجر. هذه أقلية قومية. قد تجد غجراً مسلمين ولكن هم اقلية في أمة مسلمة، مسلمين في أمة مسلمة، ولكن يشكلون اقلية فعلاً. المشكلة ليست مشكل ديني، ولكن مشكل قومي، هذه قومية مندثرة امتها. هذه اقلية لبقايا أمة، لكن تدخل في تركيبة أمة جديدة، ويصبح مصيرها مصير الامة الجديدة. الأمة التي وجدت هذه الاقلية داخلها، اذا تعرضت هذه الأمة لخطر تتعرض لها الاقلية.

اذا ازدهرت هذه الامة تزدهر هذه الاقلية. يعني الانتماء والمصير جعل هذه الاقلية جزء من هذه الامة من الناحية السياسية والاقتصادية، أما من الناحية الاجتماعية فهذه القومية لها عاداتها وتقاليدها وطقوسها، هذه هي التي يجب ان نمارسها بحرية. لكن (المجتمع الجماهيري) يحل مشكلة الاقليات».

- الحديث لازال للقذافي: «الاقلية الثانية هي اقلية موجودة تحت هيمنة أمة أخرى، لكن امتها موجودة في مكان آخر، مثل الارمن، مثل الاكراد.من الممكن ان يعود كل الارمن الى ارمينيا. الاكراد ينبغي ان يعودوا كلهم الى ارض كوردستان. هناك أمة كوردستانية موزعة الآن بين أمم مختلفة، أمة مغلوبة على أمرها. ليس هناك حل للأقلية الثانية التي لها الأمة ولها الارض الا بالعودة الى امتها والى ارضها. ليس هناك من حل لمشكلة الاكراد في جميع انحاء العالم الا بالعودة الى كوردستان وقيام الامة الكوردستانية. اما ذبحهم والتنكيل بهم، فهذا عمل بربري، ولايحل المشكلة الى الابد، والارمن، فليس هناك حل لمشكلة الارمن الا بالعودة الى ارمينيا».

وقد لخصت وكالة الانباء الليبية كل هذه الافكار في تصريح نشرته، اثار في حينه دوياً اعلامياً واسعاً. ففي كانون الاول عام ١٩٨٠م نقلت وكالات الانباء العالمية[٣١] الخبر التالي:

ذكرت وكالة الانباء الليبية ان العقيد معمر القذافي اعلن ان حل المشكلة الكوردية يكمن في «اقامة دولة كوردية مستقلة على الاراضي الكوردية في الشرق الاوسط تتحالف مع الدول العربية وايران وتركيا». واضاف العقيد معمر القذافي قائلاً:«انني اساند نضال الاكراد ليس من قبيل معارضة الدول العربية أو ايران أو تركيا، بل لأن الاكراد يشكلون أمة لها ارضها، وينبغي ان تكون مثل هذه الامة حليفة للدول العربية وايران وتركيا». واوضح القذافي قائلاً:«ينبغي ان نترك للأكراد الحرية في اقامة دولة لهم على ارضهم ونتيح لهم الفرصة لتجميع انفسهم. أن الاكراد قد يجدون انفسهم مرغمين على مقاومة كل دولة من الدول المحيطة بهم تنكر عليهم حقهم في الوجود».

وصرح القذافي رداً على سؤال حول احتمال تكثيف الصراعات في الشرق الاوسط في حالة اقامة «كيان جديد في ظهر العرب» بأن معارك الاكراد ستستمر الى ان يعيدوا تجميع انفسهم ويقيموا دولة كوردية مستقلة. اعتقد أنني اقدم بذلك حلولاً لمشكلة قائمة».

هذا الاعلان، مثل التصريحات والمداخلات السابقة، اجتذب اهتمام كافة اوساط الامة الكوردية بصورة خاصة واهتمام احزاب ودول المنطقة عامة. وقد تناقلت صحافة الاحزاب والمنظمات الكوردستانية هذه التصريحات حرفياً مع التعقيب عليها، وانهالت الرسائل والبرقيات من الجهات الكوردية على طرابلس بهذا الصدد كما تناولت

الصحافة العربية والعالمية هذه التصريحات بالتعقيب وشرح خلفيات القضية الكوردية مما شكل تظاهرة اعلامية واسعة لصالح القضية والتعريف بها، مثلما جوبهت بردود فعل سلبية من قبل اوساط امبريالية ورجعية وشوفينية.

ولعل اجماع فصائل الحركة التحررية القومية الكوردية على تأييد موقف القذافي والتوقف عنده من اللحظات القليلة التي تجمع فيها الاحزاب والمنظمات والشخصيات الكوردستانية على موقف مشترك واحد. أو بتعبير آخر فان مواقف القذافي جاءت خطوة توحيدية للحركة الكوردية، توحيدية ولو حول نقطة واحدة وفي لحظة واحدة من الزمن. لقد شهدنا الالتفاف الواسع حول نقطة مشتركة واحدة لدى قيام جمهورية كوردستان الديمقراطية (جمهورية مهاباد) في ايران عام ١٩٤٦، كذلك لدى توصل قيادة الثورة الكوردية عام ١٩٧٠ الى اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ مع الحكومة العراقية، تلك الاتفاقية التي تتضمن الاعتراف الرسمي، القانوني والتأريخي، بوجود الشعب الكوردي وقوميته وحقه في الحكم الذاتي ضمن الجمهورية العراقية، والذي هو اول اعتراف رسمي من قبل دولة يعيش فيها جزء من الشعب الكوردي (اذا استثنينا الاتحاد السوفيتي الذي يمارس الاكراد فيه حقوقهم الثقافية والادارية منذ الثلاثينات)[٣٢].

بذلك جاءت مواقف القذافي زخماً معنوياً استمدت فصائل الحركة الكوردية العزم منه رغم الاختلافات الايديولوجية بينها، وايضاً رغم عدم تطابقها النظري مع الأساس الفقهي لموقف القذافي الذي لم ينطلق على اساس الاتجاهات السياسية والايديولوجية السائدة في الحركة الكوردية[٣٣] بل انطلق اساساً من نظرته الى القضية القومية للأمة الكوردية بغض النظر عن المسائل السياسية. ومن هنا كانت قوة موقف القذافي والسر الكامن وراء هذا التحريض الذي احدثه في صفوف الاكراد على مختلف مشاربهم و«اجزائهم» التي يتمزقون عليها[٣٤].

القذافي، مرة اخرى، يؤيد كفاح الأكراد

واصل القذافي تأييده للقضية الكوردية، ثابتاً في مبادئه، رابطاً هذه المرة ربطاً عضوياً بين حركة التحرر الوطني العربية والحركة التحررية القومية الكوردية، معترفاً للاكراد بما للعرب من حق في الحياة والدفاع عن النفس.. (ان تحب لأخيك ما تحب لنفسك). ففي تصريحه الى جريدة (السفير) اللبنانية يوم ٢١ آذار ١٩٨٥ يؤكد ثانيةً

على ما قاله سابقاً، ولنقرأ ما كتبته الجريدة:

عرج القائد العربي الوحدوي التحرري (القذافي) على القضية الكوردية، فأنصف اشقاءه في الأمة الكردستانية، مرة اخرى، وفيما يلي ما قاله بهذا الصدد:

«واضح ان العامل القومي او العامل الاجتماعي يعني، اننا نحن عرب، جماعة واحدة، قوم واحد، والمعنى ان لدينا قومية تربطنا رابطة اجتماعية، كوننا عرب، ولو تدخلت جماعة اجنبية فيها، نقاومها، هذا هو الصراع في التاريخ، أي محاولة طغيان قومية على قومية، وجماعة على جماعة».

«لماذا يقاتل الاكراد؟ لأن قوميات اخرى، طغت عليهم منذ فترة، انهم أمة كوردية مستقلة، ليس لها استقلال ذاتي، لا في العراق ولا في ايران ولا في تركيا. وهذا هو موقف مبدئي، الاكراد يجب ان يكونوا أمة كوردستانية في تلك المنطقة، وتكون هذه الأمة شقيقة للأمة العربية، والأمة التركية والأمة الفارسية، وتأخذ مكانها على قدم المساواة مع هذه الأمم».

كفاح عربي - كوردي مشترك

لم تغب عن بال القذافي أهمية التحالف الكفاحي المصيري بين كفاح الأمتين العربية والكوردية. ففي اجتماعات لقاء المنظمات والفصائل الموقعة على اعلان القيادة القومية للقوى الثورية في الوطن العربي في طرابلس يومي ٢٩ و٣٠ آذار ١٩٨٥ اشار القذافي الى وجود الأمة الكوردية وحقها في تكوين الدولة الكوردية الى جانب الدولة العربية الواحدة. وادان الاضطهاد الذي تتعرض له الأمة الكوردية، سواء في كلمته التي القاها في الجلسة الافتتاحية للأجتماعات، او في مداخلاته اثناء الاجتماعات، وبصورة شاملة في كلمته الختامية التي قال فيها نصاً:

«ان هذا اللقاء الى جانب ما ذكرت بالنسبة للأمة العربية، يشكل دعماً جديداً لأمة اخرى ممزقة معذبة هي الأمة الكوردية الشقيقة التي ينضوي بعض ابنائها تحت لواء هذه القيادة، حتى الذين ليسوا معنا من المكافحين الاكراد يشعرون اليوم ان هناك شيئاً جديداً ولد لصالحهم.. تحرير الأمة العربية، توحيد الأمة العربية على أساس تقدمي شعبي، هذا يعني الانحياز، انحياز الأمةالعربية الى جانب كفاح الأمة الكوردية المجيدة.. وسيكون اعتباراً من الآن كفاح الأمة العربية وكفاح الأمة الكوردية مساندين لبعضهما البعض.. اننا نحن الذين نعاني من الأضطهاد ومن التطاول على امتنا ومن الاستهتار بتاريخنا الطويل من ايام جمال باشا(٣٥) حتى الآن، لايمكن ان نخون ونتخاذل حيال أمة تعاني نفس المعاناة المريرة التي عانتها الأمة العربية ولازالت تعاني منها».

«أن موقفي الشخصي الى جانب الامة الكوردية ليس لأسباب جغرافية او سياسية او تأريخية، يعني من الممكن ان باعثنا الاصلي أن الآلام التي جسدها تاريخ الأمة العربية الذي درسته، والمعاناة المريرة التي نعيشها الآن جعلتني اتعاطف تلقائياً مع أمة مثلنا ممزقة مستعمرة مهانة مضطهدة. والا أخون نفسي وأخون كل القيم الخالدة التي أؤمن

بها.. لا أملك الا الانحياز الكامل الى جانب الأمة الكوردية واستقلالها ووحدة اراضيها.. وهذا الكلام عندما يرسل الى المكافحين الاكراد، حتى الذين ليسوا هنا، سيكون عوناً لهم، وكذلك سيجعلهم حتماًينحازون الى جانب القيادة القومية للقوات الثورية والى جانب القوات الثورية والى جانب القوات الثورية في الأمة العربية والى جانب الامة العربية وقضيتها ويصبح الكفاح مشتركاً.. والى الأمام والكفاح الثوري مستمر(٣٦)».

وقد تناوت الصحافة الكوردية هذه الكلمة ايضاً بأهتمام واعتبرت موقف القذافي موقفاً تحررياً وانسانياً، يتسم بالنظرة العلمية وادراك شامل لروح العصر، وان ذلك سيسجل كفضل تأريخي له اذ استبق غيره من قادة الشعوب والدول، وستظل الأمة الكوردية تشعر ازاءه وازاء الشعب العربي الليبي وجماهيريته والامة العربية الشقيقة بالإمتنان(٣٧).

استنتاجات القسم الاول

استعرضنا الأساس النظري، الفقهي، للقذافي ازاء الأقلية والأمة ومن ثم ازاء القضية الكوردية وآراءه واقواله عنها:

اولاً: إنطلاقاً من ذلك يؤيد القذافي القضية الكوردية العادلة ويعتبر الاكراد أمة من أمم الشرق الاوسط لها الحق في أن تعيش مستقلة وان تكون دولتها المستقلة. فهو اذن يعترف لهذه الامة بحق تقرير المصير بنفسها. وهذا تقدم هام في مجال التأييد العربي لكفاح الامة الكوردية.

ثانياً: موقف القذافي التحرري دعم معنوي كبير للأمة الكوردية وابنائها المناضلين في سائر ارجاء كوردستان بغض النظر عن الاتجاهات الفكرية والسياسية للأحزاب والمنظمات الكوردستانية. وقد شكلت آراء القذافي نقطة توحيد معنوي على الاقل لفصائل الحركة الكوردية ولو في لحظات معينة من الزمن. اذ ان كافة القوى الكوردستانية قد اتفقت حول أهمية المواقف التي يلتزمها القذافي ازاء القضية، مثلما انعكس ذلك في صحافة تلك القوى سواء باللغة الكوردية أو باللغات الاخرى.

ثالثاً: الأهمية الأخرى لموقف القذافي تكمن في انه يصدر من قبل جهة عربية، من قائد تحرري عربي، من سلطة وطنية عربية لاتربطها مصالح مباشرة بالقضية الكوردية، ليست لها حدود مع أي جزء من كوردستان، ولاتطمع في سوق كوردستان لأنها غنية عن ذلك، كما أن الظروف الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية تدحض أي ظن في أن تكون لها مطامع اقليمية في كوردستان. وأما اذا اعتبرنا الطموح المباشر والمعبر عنه في ٣١ آذار ١٩٨٥، بأن يكون «كفاح الأمة العربية وكفاح الأمة الكوردية مساندين لبعضهما البعض»، اذا اعتبرنا هذا الطموح هو «المصلحة المباشرة»، فانه طموح تحرري يمثل طموح الامة الكوردية ايضاً. طموحها الى ان يلتحم كفاحها مع كفاح بقية أمم وشعوب المنطقة ومنها الأمة العربية. من هذه الناحية فان هذا الموقف يكتسب سمة إيجابية بالغة الأهمية بالنسبة لكفاح ذلك الجزء من الأمة الكوردية الذي

يعيش مع الأمة العربية في عدد من البلدان لاسيما في العراق. اي انه سيكون سنداً لهذا الكفاح الذي تحتم الظروف الموضوعية الراهنة ان يكون كفاحاً عربياً-كوردياً مشتركاً من اجل التحرر النهائي اقتصادياً وسياسياً والسير على طريق التقدم الاجتماعي والاعتراف بالحقوق القومية المشروعة بما فيها حق تقرير المصير للشعب الكوردي والاستجابة لها.

رابعاً: مواقف القذافي التحررية تناقض تماماً، وترد على، المواقف الشوفينية للاوساط الرجعية العربية، لاسيما الحكومات العراقية المتعاقبة، التي سارت على طريق «صهر» القومية الكوردية وإبادتها، والتهجير والتشريد و«تعريب» كوردستان... الخ، في حين ان القذافي يدين دمج امة في امة (انظر مداخلة القذافي في ندوة بنغازي ١٩٧٩) فيصرح قائلاً: ان الأمة الكوردستانية «يجب ان تستقل» و«ان تحترم» وان «تقام معها علاقات صحيحة على أساس انها امة مستقلة» و«لامبرر لإقتطاعها». هذه المبادىء تعبير عن جوهر حركة التحرر الوطني العربية التي تناقض الشوفينية العربية. ان قوة هذه المباديء تكمن في انها تنسجم مع روح العصر ومصالح الامة العربية ذاتها مثلها تستجيب لمصالح الأمة الكوردية. فهي بالتالي مباديء تتجاوب مع اهداف الجماهير الشعبية التي من مصلحتها ان تتحرر من كافة القيود والتركات الاستعمارية والتعصب القومي والاستبداد والقهر الاجتماعي والقومي والتخلف، وان تمتلك ارادتها الحرة وتتعايش على اساس احترام الشخصية القومية لكل أمة، وكما يقول القذافي:«التعصب القومي واستخدام القوة القومية ضد الأمم غير القوية او التقدم القومي نتيجة استحواذ ما لأمة، هو شر وضار للأنسانية» -انظر الهامش (٢٤) من القسم الاول.

خامساً: اخيراً فان مواقف القذافي تعزز الكفاح العربي-الكوردي المشترك حيثما يعيش الشعبان العربي والكوردي معاً في دولة واحدة. كذلك توطد التحالف الصيري بين الحركتين التحرريتين العربية والكوردية على صعيد الشرق الاوسط. ان صدور تلك المواقف من جهة تحررية عربية يساعد المناضلين العرب والاكراد على التغلب على العديد من المعوقات التي قد تعترض كفاحهم المشترك. وواضح ان ذلك يخدم الكفاح التحرري في المنطقة عامة. اذ كلما توطدت اواصر النضال المشترك بين الفصائل الثورية فيها كلما اقتربت ساعة الانتصار على الامبريالية وحلفائها. ان إنتشار المبادىء التحررية في صفوف الجماهير الشعبية غاية لكل المناضلين الذين يسعون الى

استنهاض اوسع الجماهير اشراكها في الكفاح لتكون حقاً صاحبة ارادتها وصانعة مستقبلها. انه عصر الجماهير، عصر الشعوب المناضلة لتحطيم آخر حلقات الاستعمار والعنصرية، ركائز التخلف والعبودية.

حقاً، ان الكفاح المشترك يتعزز من خلال التأييد المشترك للقضايا العادلة للشعوب. القذافي وبقية فصائل حركة التحرر العربي يؤيدون القضية العادلة للأمة الكوردية. والجماهير الكوردية وفصائلها الثورية تؤيد قضايا العرب العادلة وفي مقدمتها حق الشعب العربي الفلسطيني في العودة وتقرير المصير بنفسه واقامة الدولة الوطنية الفلسطينية على أرضه.

هوامش ومراجع القسم الاول:

(١) معمر القذافي/كلمته الختامية في اجتماع اعلان القيادة القومية للقوى الثورية في الوطن العربي في ٣١ آذار ١٩٨٥.

(٢) معمر القذافي/جريدة السفير ٢١ آذار ١٩٨٥ (تصريح).

(٣) و(٤) معمر القذافي/مداخلة في الندوة العالمية حول الكتاب الأخضر في بنغازي بتأريخ ١-٣ أكتوبر ١٩٧٩.

(٥) حتى (٢٧) معمر القذافي/الكتاب الأخضر/الفصول الثلاثة معاً الطبعة العربية.

(٢٨) جريدة گه ل (الشعب) بتأريخ ١٩/١٠/١٩٨٥.

(٢٩) معمر القذافي/مداخلة في الندوة العالمية حول الكتاب الأخضر/ بنغازي ١٩٧٩.

(٣٠) معمر القذافي/مداخلة في الندوة العالمية حول الكتاب الأخضر في جامعة مدريد المستقلة بتأريخ ١-٤/ديسمبر ١٩٨٠. انظر ص٣١٠ بصورة خاصة حول القضية الكوردية.

(٣١) هذا الخبر وما سبقه من تصريحات حول القضية الكوردية قد تناولته صحافة الاحزاب والمنظمات الكوردستانية اجمع، مع التعقيب والتحليل على الاغلب.

(٣٢) في عام ١٩٣٠م صدرت جريدة كوردية للأكراد في الاتحاد السوفيتي باسم (ريا تازه/الطريق الجديد) ولازالت تصدر في ارمينيا السوفياتية حتى اليوم وذلك مرتين في الاسبوع. عدد الاكراد في الاتحاد السوفيتي يقدر الآن بحوالي (٣٠٠) الف نسمة حسب ما يقوله المؤرخ والفولكلور الكوردي جليلي جليل.

(٣٣) لدى صدور هذه التصريحات لم يكن سوى عدد قليل جداً من المثقفين الكورد مطلعين على بعض ما يجري في ليبيا من تجربة ثورية. فكانت هذه المواقف سبباً لشد انظار اوساط واسعة من الكورد نحو ثورة الفاتح.

(٣٤) انظر ما قاله القذافي لدى اعلان القيادة القومية للقوات الثورية في الوطن العربي، في طرابلس بتأريخ ٣٠/٣/١٩٨٥، ففي تأييده الكامل لكفاح الامة الكوردية قال:«هذا الكلام عندما يرسل الى المكافحين الاكراد، حتى الذين ليسوا هنا، سيكون عوناً لهم..».

(٣٥) جمال باشا، مع صاحبيه: طلعت باشا وانور باشا، كانوا ثلاثة سفاحين، ثالوثاً دموياً يحكم تركيا ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨). وكانوا يعاملون بحقد وكراهية كافة الشعوب الخاضعة للدولة التركية خاصةً الشعوب التي استيقظت مطالبة بالتحرر والانعتاق ومنها الشعب العربي والشعب الكوردي والشعب الارمني، فبينما كان جمال السفاح يبطش بالعرب فان طلعت باشا كان ينظم مجازر الابادة الجماعية للأرمن بينما كان الاكراد يتعرضون على ايدي نفس الحكام الاتراك الى التهجير والقتل. وقد اشارت جريدة (التايمز) البريطانية بتأريخ (٢٩/٩/١٩١٥) الى هذه الوقائع لاسيما ابادة الارمن على يد طلعت باشا. انظر ص/١٣٨ من الطبعة الكوردية لكتاب المؤرخ الكوردي د.كمال مظهر (كوردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى) بغداد، ١٩٧٥.

(٣٦) في مداخلته عن الفئات المضطهدة في ندوة جامعة مدريد المستقلة حول الكتاب الأخضر (١-٤/ديسمبر/١٩٨٠) يتطرق القذافي الى كيفية حل مشكلة الاقليات والى الافاق البعيدة لمستقبل البشرية التي يرنو اليها. يقول:« ... من الناحية السياسية والاقتصادية تحل مشكلة الاقليات بقيام المجتمع الجماهيري. قيام الجماهيرية يحل مشكلة الاقليات، لأن المجتمع الجماهيري يحل المشكل السياسي، والآن الاقلية عادةً لاتقاتل في سبيل لغة او عادات اجتماعية ولكنها تقاتل في سبيل حقوق سياسية واقتصادية تنقصها لأنها مضطهدة من قبل الاغلبية. ولكن المجتمع الجماهيري يجعل كل مواطنيه احراراً ومتساوين في السلطة والثروة مع بقية افراد المجتمع الجماهيري».

«اذن لن تكون هناك مشكلة للأقليات لأن ابناء الاقليات ايضاً سيكونون اعضاء في المؤتمرات الشعبية، شأنهم شأن بقية الاعضاء وسينالون جهدهم مثل بقية افراد المجتمع، ينتجون ويستهلكون انتاجهم لأن هذا المجتمع متنفية فيه الاجرة والايجار، وليس هناك أحد يستخدم احداً، وليس هناك من يخدم عند الاخر، ويسخر جهد الآخر، هذا يتنفي تماماً مع اساسيات المجتمع الجماهيري الذي يراد منه بناء حضارة جديدة، عالم متحضر، عالم خال من المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. عالم خال من سيطرة الانسان على الانسان لا في شكل حكومة ولا في شكل طبقة ولا في شكل عسف ولا في شكل استغلال..».

«الغاية هي السعادة، سواء كان الذين يحلمون بها في الحياة الدنيا او في الحياة الآخرة..الغاية هي السعادة..».

«لايمكن الوصول الى السعادة إلاّ اذا انتصرت الحرية، ولايمكن ان تنتصر الحرية إلاّ إذا تحررت حاجات الانسان، الانسان يملك السلطة، ويملك الثروة ويملك حاجاته كلها وترفع عنه كل الضغوط وتنكسر كل القيود التي تكبله، يصبح حراً، واذا اصبح حراً سيصبح سعيداً..».

«فمشكلة الاقليات تنحل في مجتمع سعيد، مجتمع متحرر من إستغلال الانسان لإنسان واستغلال شعب لشعب، مجتمع تنتفي فيه كل عوامل القهر والاستبداد والعسف»(٣٧).

وردت عبارات مماثلة او بنفس المعنى في الصحف التي تصدرها الاحزاب والمنظمات الكوردستانية، التي تصدر في كوردستان العراق باللغتين الكوردية والعربية، وفي الاجزاء الاخرى بلغات اخرى اضافةً الى اللغة الكوردية.

ملحق

حملة تضامن عالمية حول القضية الكوردية

هذه الحملة ايضاً كانت بمبادرة من الجماهيرية وقائدها القذافي الذي قاد طوال الثمانينات حملة سياسية-إعلامية مستمرة حول القضية الكوردية، بالتذكير بها في مناسبات مختلفة، وشجب الاضطهاد القومي والاجتماعي الذي يتعرض له الكورد، وطرح الحلول الممكنة.

واما اوسع الحملات التضامنية التي اخذت بعداً عربياً وعالميا وبشكل منظم، فهو المؤتمر العام الثاني للمثابة العالمية في طرابلس، الذي كان واحداً من أهم المؤتمرات العالمية التي عقدت طوال الثمانينات، بل المؤتمر العالمي الوحيد (حتى صدور هذا الكتاب عام ١٩٨٩) الذي انعقد دفاعاً عن الأمم الممزقة والشعوب الصغيرة المظلومة كالسود والهنود الحمر والكورد وغيرهم، الذين قلما ارتفع صوت خلال الاعوام الاخيرة، دفاعاً عنهم بنفس الحرارة التي يدعو القذافي من اجل مساعدة هذه الأمم والاقليات والشعوب الصغيرة للخلاص من العبودية والاضطهاد والتمزق والبؤس.

لكن القوى والاحزاب الكوردستانية لم تستطع مواصلة ومتابعة النتائج والآثار السياسية والاعلامية لهذا المؤتمر الهام نظراً لضخامة عدد الوفود وسعة الجهات التي كانت تمثلها، فلم تستطع الحركة الكوردية استثمار هذه النتائج. ومع الأسف مّرت وتمر فرص ثمينة عديدة تعجز فصائل الحركة من ملاحقة احداثها واستثمارها لصالح القضية الكوردية حتى ولو كان ذلك على صعيد الاعلام والتعريف بها.

واعتقد ان على الواعين في الحركة ان يتأملوا في عوامل هذا القصور الذاتي، لتلافي ما يمكن التخلص منه.

من وقائع المؤتمر

حرص القذافي على أن تحضر المؤتمر وفود كوردستانية على مستوى عال. فقد حضر وفد للحزب الديمقراطي الكوردستاني- العراق برئاسة السيد مسعود البارزاني، ووفود هامة من خمسة تنظيمات كوردستانية اخرى من كوردستان العراق: حزب

الشعب الديمقراطي الكوردستاني- الحزب الاشتراكي الكوردستاني- العراق، الحزب الأشتراكي الكوردي-پاسوك، وراية الثورة، اضافةً الى جمعية الطلبة والاكراد في اوروپا.

وخصص القذافي جزءاً هاماً من خطابه أمام المؤتمر للأشارة الى الأمة الكوردية ومظلوميتها وحقوقها، وحظيت الوفود الكوردستانية بأهتمام بالغ.وكانت فرصة ثمينة لعرض جوانب مختلفة من القضية الكوردية على مئات الوفود من كافة قارات العالم، وبغية القاء الضوء على أهمية هذا اللقاء نسرد وقائع المؤتمر بأيجاز:

في ١٥ آذار ١٩٨٦ انعقد المؤتمر العام الثاني للمثابة العالمية في قاعة الشعب بمدينة طرابلس وتحت شعار: من اجل تعزيز التلاحم الثوري وتجسيد مبدأ الكفاح الجماعي في مواجهة الارهاب الامبريالي الصهيوني العنصري الرجعي الفاشي.

بلغ عدد الوفود المشاركة في اعمال هذا المؤتمر العالمي (٣٠٠) وفداً يمثلون عدداً من الدول المناهضة للأمبريالية هي سوريا، ايران، كوبا، ڤيتنام، اثيوبيا، نيكاراغوا، كوريا الشمالية، جمهورية بنين الشعبية، وبوركينا فاسو، اضافةً الى لجان التضامن مع شعوب آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية في الدول الاشتراكية وحركات التحرر الوطني في سائر ارجاء العالم والقوى التقدمية والثورية وحركات السلم والبديل والخضر في اوروپا الغربية وحركة اللجان الثورية العربية والعالمية، اضافةً الى الوفود الكوردستانية.

وقد افتتح القذافي المؤتمر، مساء نفس اليوم، بخطاب هام ندد فيه بالأرهاب (الرسمي) للأمبريالية، وأكد على أن وجود الامبريالية وسياستها يتناقض مع تطلعات الشعوب وامانيها، فقال:

«لذا علينا ان نتحول الى قوة كفاحية عالمية مؤثرة وان نعتمد على الكفاح الجماعي في صورته الفعلية». وقد ركز في خطابه على ثلاث قضايا هامة هي قضية الامة الكوردية الممزقة وقضية حقوق أمة الهنود الحمر والتمييز العنصري في جنوب افريقيا وامريكا وبريطانيا. وقال عن التمييز العنصري:«بأنه انكار لحقوق الانسان والحريات الاساسية والعدالة، وانه جريمة ضد الانسانية وعقبة في وجه التنمية الاقتصادية والاجتماعية وعائق في وجه التعاون الدولي والسلام».

وقد حظيت قضية الأمة الكوردية بأهتمام بالغ في خطابه الذي نقتطف هنا فقرات هامة منه، قال القذافي:

«ان مطاردة جماهيرنا ما زالت مستمرة، فالشعب الفلسطيني يطارد بالطائرات الامريكية والشعب اللبناني يضرب بالطائرات والسفن الامريكية.. والامة الكوردية ممزقة تضطهد وتكتسح قراها من فوق الارض.. وشعبنا في جنوب افريقيا (٢٠) مليون اسود، اصحاب الارض الحقيقية في جنوب افريقيا ينكر عليه الحق في الوجود والاستقلال».

وخلال حديثه عن مشاركة ممثلي الشعوب المكافحة من اجل الحرية قال انه:«معنا ممثلون للأمة الكوردية في مختلف فصائلها، هذه الامة الممزقة والمضطهدة والمعذبة والتي ينكر عليها جيرانها حقها في الوحدة والاستقلال».

«لانستطيع ان نتجاهل وضع هذه الأمة المغلوبة على امرها، علينا ان نعلن في كل مكان نتواجد فيه في العالم ونحن نغطي كل قارات العالم حق الامة الكوردية في الوحدة وفي الاستقلال..».

«معنا ممثلون لأمة اخرى مضطهدة تباد، والمجرم هو الولايات المتحدة الامريكية. المثلون هؤلاء يمثلون أمة الهنود الحمر».

«علينا ان نحمل شعاراً آخر بالأضافة الى الأمة الكوردية، شعار حق أمة الهنود الحمر في الوجود وفي الاستقلال، ان تعيش في ارض اجدادها في الولايات المتحدة الامريكية بكبرياء وبعزة، هذه الامة عندما تستقل وتتوحد الى جانب الأمة الكوردية والى جانب بقية الأمم الاخرى المضطهدة الممزقة سيخلق عالم جديد من أمم كانت مضطهدة كانت مستغلة كانت مضطهدة تقدر قيمة الحرية وقيمة السلام وقيمة العدل. هذه الأمم اذا توحدت واستقلت هي التي تخلق العالم من جديد، عالم الحرية والسلام والسعادة. اما العالم الذي نعيشه الان عالم صنعه الاقوياء المنتصرون في الحرب العالمية الثانية، هم الذين صفوا خريطة العالم وهم الذين قسموا الشعوب والأمم كما يريدون، مزقوا الأمم ومزقوا الشعوب ومزقوا اراض واحدة حسب مصالحهم الاستعمارية وهم الذين تركوا لنا العنصرية في جنوب افريقيا وتركوا لنا الصهيونية في فلسطين، وهم الذين خلقوا لنا هذه المشاكل التي تقاتل دول العالم الثالث التي كانت

مستعمرة بعضها البعض من اجل الحدود التي صنعها هؤلاء المستعمرون. فالعالم الذي نعيشه الآن صنعته الامبريالية بالقوة العسكرية، اما العالم الذي سنصنعه من الآن فصاعداً هو عالم الشعوب المستمرة، الشعوب المضطهدة التي تعشق الحرية وتحب السلام وتريد ان تعيش في سعادة».

بيان المؤتمر: تأكيد جديد على القضية

انهى المؤتمر اعماله في ١٨ آذار ١٩٨٦ بصدور بيان سياسي وجاء فيه بأن الشعوب وحركاتها الثورية تخوض كفاحاً شديداً تدفع فيه بالدم والعرق ضريبة التحرر من العسف والجور وتسلط ادوات الحكم.

هكذا يبدأ البيان:«ان شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وجزر المحيط المشاركة في اعمال المؤتمر العام العالمي الثاني للمثابة العالمية لمقاومة الامبريالية والصهيونية والعنصرية والرجعية والفاشية من خلال قواها الحية وحركتها الثورية ولجانها الثورية العالمية ومؤتمراتها الأممية ومنظماتها السياسية وحركات السلام والخضر والحركات البديلة في اوروپا والعالم والملايين من السود والهنود الحمر والاكراد وكافة الاقليات في العالم التي عانت من جور الاستعمار وتعاني اليوم من قهر الامبريالية والصهيونية والعنصرية وتعيش مرحلة من اشد مراحل كفاحها ضراوة تدفع فيها بالدم والعرق ضريبة تحررها من العسف والاستقلال وتسلط ادوات الحكم وتزحف بأسم الملايين نحو عصر الجماهير عصر تمتلك فيه السلطة والثروة والسلاح»..

«ان هذه القوى المكونة للمثابة العالمية في مؤتمرها الثاني الذي ينعقد في طرابلس بالجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية في الفترة من الخامس عشر الى الثامن عشر من مارس ١٩٨٦م، تحت شعار «من اجل تعزيز التلاحم الثوري وتجسيد مبدأ الكفاح الجماعي في مواجهة الارهاب الامبريالي الصهيوني العنصري الرجعي الفاشي»»

تعتبر خطاب الاخ الثائر الأممي معمر القذافي في هذا المؤتمر اساساً لها في اعداد ميثاق حقوق الانسان العالمي الجماهيري وفي تبني حق الكفاح الجماعي للشعوب المضطهدة والموقف من الأمم المتحدة ومن الارهاب الدولي ومن الاقليات ومنطلقاً لمواقفها من القضايا والمشكلات والتحديات التي تواجه حركة الثورة في العالم.

ثم يؤكد البيان تضامن اعضاء المؤتمر مع القضايا التحررية لتلك الشعوب والحركات والأمم، ومنها الشعب الفلسطيني والسود وأمة الهنود الحمر وغيرها، واما بصدد القضية الكوردية فيقول:

«ان الأمم الممزقة لها الحق في التمسك بهويتها القومية وجمع شتات ابنائها الذين تعرضوا للتشريد الجغرافي والسياسي، تصحيحاً للتراكمات التأريخية التي تكون هذه المشكلة وانطلاقاً من هذا الموقف فأن المؤتمر يعبر عن مساندته لكفاح الأمة الكوردية من اجل تحقيق وحدتها القومية ومطالبها المشروعة».

تقدير المؤتمر لنضال الشعب الكوردي

في الجلسة الختامية في مساء ٣/١٨، انيط بوفود الحركة التحررية الكوردية، ممثلة في شخص مسعود البارزاني، القاء برقية المؤتمر التي اعدتها لجنة الصياغة والموجهة الى القذافي، تحية له ولدوره التحرري، باسم جميع الوفود المشاركة. وكانت هذه المبادرة شرفاً كبيراً لحركة التحرر الوطني الكوردستانية وتقديراً خاصاً لنضال الشعب الكوردي من اجل حقوقه القومية والديمقراطية المشروعة، وابرازاً لدور حركته في مثل هذا المؤتمر التحرري العالمي. ووردت في سياق برقية التحية كلمات معبرة عن مشاعر كافة الوفود وممثلي الحركات التحررية.

وبصدد الوفود الكوردستانية نصت البرقية (الى القذافي) على «ان الامة الكوردية وامة الهنود الحمر التي جاءت نداءاتكم بالثورة في وجه الارهاب وهي ترى في ذلك زاداً كفاحياً يؤجج روح الثورة في داخلها ستظل حريصة على اقامة دولتها الحرة وصياغة شخصيتها القومية وفق الطرح الحضاري الذي اعلنتموه».

من ذلك يتبين كيف ان القذافي لايكتفي باعلان التأييد والمساندة لهذه القضايا العادلة، بل ويحرض ايضاً ويلهب حماس ابنائها لتشديد الكفاح من اجل التحرر(١).

امتنان الأمة الكوردية للقذافي

تليت في المؤتمر برقية موجزة معبرة باسم الوفود الكوردستانية، التي انابت مسعود البارزاني لقراءتها، تعبر عن عمق المحبة والامتنان الذي يكنه الكورد للقذافي، وجاء فيه:

«نحيي موقفكم الثوري في مسألة الأمة الكوردية، ونقدر عالياً تفهمكم لمعاناة واضطهاد الجماهير الكوردية. ان دعمكم ومساندتكم لنضالنا هو موقف انساني ومبدئي ينظر اليه باجلال سائر ابناء الامة الكوردية. ان قضيتنا واحدة والحرية كل لايتجزأ».

هذا ووقعت على الرسالة الاحزاب التالية:

١- الحزب الاشتراكي الكوردستاني-العراق.

٢- حزب الشعب الديمقراطي الكوردستاني.

٣- الحزب الاشتراكي الكوردي -پاسوك.

٤- راية الثورة.

٥- جمعية الطلبة الاكراد في اوروپا.

٦- الحزب الديمقراطي الكوردستاني-العراق.

القذافي يواصل دعم شعبنا

واصل القذافي دعمه للقضية الكوردية، بدون الاخذ بنظر الاعتبار مواقف او حتى «تقلبات» سياسة الاحزاب والمنظمات الكوردستانية. وكان دعمه التحريضي الاعلامي والسياسي كبيراً وتأريخياً. كذلك قدم دعماً مادياً هاماً لمختلف المنظمات الكوردية، وذلك فقط بأسم القضية ون اجلها كقضية تحررية تستحق الدعم انسانياً.

ولايسع المجال لذكر تفاصيل كافة هذه المواقف، ويكفي القول انه لم ينس اعلان تأييده للقضية، حتى في الوقت الذي كان ذلك يكلف (الجماهيرية) دبلوماسياً وسياسياً.

ومعلوم ان العلاقات السياسية بين (الجماهيرية) والنظام العراقي قد تحسنت خلال العامَين الأخيرين، رغم ذلك، فما ان توقف اطلاق النار في الحرب العراقية-الايرانية في تموز ١٩٨٨، حتى اعلن القذافي مناشداً لحل القضية الكوردية بصورة سلمية، وألاّ يجري اهمال القضية لدى البحث عن حل المسائل بين العراق وايران.

قضية الاكراد والحقوق القومية

خلال ايام انعقاد المؤتمر صدرت جريدة خاصة باللغة العربية والانگليزية وغيرها، باسم «المثابة»، نشرت في عددها بتاريخ ١٥ آذار ١٩٨٦ وعددها ١٧ آذار ١٩٨٦ مقالاً

هاماً في قسمين بعنوان (الاكراد). وهو موجز عن جغرافية وتاريخ كوردستان والثورات والانتفاضات الكوردية والوضع الراهن، والقاء الضوء على كل ذلك من خلال كلمات ومواقف معمر القذافي.

وكان لنشر هذا المقال اثناء المؤتمر مغزاه، فقد جاء تعبيراً آخر عن الاهتمام الكبير للجماهيرية وقائدها بالقضية الكوردية. وفيما يلي نص المقال:

أكبر مجموعة عرقية لم تنل أبسط حقوقها القومية

أمة متميزة موطناً ولغة وتأريخاً وتواجه مصيراً واحداً.

١

بقلم: صابر علي احمد (فلك الدين كاكه يي)

– صحفي كوردستاني

في عام ١٩٨٠م اعلن العقيد القذافي ان حل المشكلة الكوردية يكمن في اقامة دولة كوردية مستقلة على الاراضي الكوردية في الشرق الاوسط تتحالف مع الدول العربية وايران وتركيا.

واضاف العقيد القذافي قائلاً:«انني اساند نضال الاكراد ليس من قبيل معارضة الدول العربية او ايران او تركيا بل لأن الاكراد يشكلون أمة لها ارضها وينبغي أن تكون مثل هذه الأمة حليفة للدول العربية وايران وتركيا».

واوضح القذافي قائلاً:«ينبغي ان نترك للأكراد الحرية في اقامة دولة لهم على ارضهم ونتيح لهم الفرصة لتجميع انفسهم.. ان الاكراد قد يجدون انفسهم مرغمين على مقاومة كل دولة من الدول المحيطة بهم التي تنكر عليهم حقهم في الوجود.

لم يكن ذلك التصريح الأول ولا الأخير للمفكر القذافي الذي انطلق في تأييده لحقوق كافة الأمم والاقليات من موقف ايديولوجي ثوري استناداً الى النظرية العالمية الثالثة ونظرتها الى الأمة والاقلية ومشاكل العالم المعقدة.

ففي الندوة العالمية حول الكتاب الأخضر في بنغازي عام ١٩٧٩م قال القذافي في مداخلته: انا شخصياً لي حديث سابق في عمل الأكراد بغض النظر عن موقفهم في العراق.. في ايران.. في تركيا.. في اي بلد آخر.. وأتحدث.. لا حديث سياسي.. بل انا

اتكلم من الناحية النظرية.. من ناحية فقهية من ناحية فكرية.. أنا احترم أي أمة سواء كانت صغيرة أو كبيرة ينبغي اذن ان نتفهم المنطلق النظري الفقهي الفكري للقذافي ازاء هذه القضايا.

ان هذا المنطلق الذي يعبر عنه الكتاب الأخضر يؤكد على ان المحرك للتأريخ الانساني هو العامل الاجتماعي.. أي القومي ذلك أن الحركات التأريخية هي الحركات الجماهيرية –اي الاجتماعية– فالحركات الاجتماعية هي دائماً حركات استقلالية.

وينبغي التركيز اساساً على مفهوم القذافي عن الاقلية والامة كمفتاح لفهم منطلقه الايديولوجي ازاء –القضية الكوردية– كأقلية من أمة وكأمة يجب ان تستقل وأن تحترم –كما يقول في مكان آخر–..

يقول الكتاب الأخضر أن الاقليات هي احدى المشكلات السياسية في العالم سببها اجتماعي فهي أمم تحطمت قوميتها فتقطعت اوصالها فالعامل الاجتماعي عامل حياة.. عامل بقاء ولذا فهو محرك طبيعي وذاتي للقوم من اجل البقاء.

والأمة هي مظلة سياسية قومية للفرد. والأمة هي تراكمات تأريخية بشرية تجعل مجموعة من الناس تعيش على رقعة من الارض وتصنع تأريخاً واحداً ويتكون لها تراث واحد وتواجه مصيراً واحداً وهكذا فالأمة بغض النظر عن وحدة الدم هي في النهاية انتماء ومصير.

فالعامل القومي هو الذي يتغلب في النهاية.

والكتاب الأخضر ينبذ كل تعصب قومي فيقول ان التعصب القومي واستخدام القوة القومية ضد الأمم غير القوية او التقدم القومي نتيجة استحواذ لأمة على أمة اخرى هو شر وضار للأنسانية.

وبناءً على هذه الايديولوجية يدعو القذافي الى احترام الاكراد –كأمة واحدة– يجب ان تحترم ويجب ان تستقل وان تقام معها علاقات صحية على اساس انها امة مستقلة.. ولامبرر لأقتطاعها. اذن فما هي القضية الكوردية؟؟ ومن هم الاكراد؟ وماهي كوردستان؟؟

الجواب على هذه الاسئلة يستوجب كتابة مجلدات وقد هيأنا فعلاً كتاباً موجزاً بعنوان –القذافي والقضية الكوردية– نأمل أن يصدر أو يكون صادراً لدى نشر هذا

المقال، لذا نختصر القول كما يلي:

يشكل الشعب الكوردي امة متميزة تماماً كما يؤكد معمر القذافي. أمة بكافة المقومات العلمية لهذا التعبير فهي مجموعة من الناس تعيش على رقعة من الارض هي كوردستان التي تعني لفظياً (موطن الاكراد) ولها تأريخ واحد وتراث واحد وتواجه مصيراً واحداً.

ولو جمعنا كافة اقوال وتحليلات القذافي عن الاكراد وقضيتهم في مختلف المناسبات لرأينا كيف انه يصيب كبد الحقيقة حتى في شرحه لمعاناتهم الراهنة وآلام تمزقهم القومي وعذاباتهم.

لذا كان لمواقفه التحررية أثر ايجابي عميق في قلوب واذهان كافة ابناء الأمة الكوردية في كل مكان ولعلهم لم يتوحدوا -أي الاكراد- حول شيء مثلما توحدوا حول التثمين العالي لموقف القذافي من قضيتهم العادلة والتعبير له عن عميق الاحترام كصديق عظيم للشعب الكوردي مثلما كان الزعيم العربي الراحل جمال عبدالناصر.

ولموقف القذافي أهمية سياسية وثقافية مباشرة خاصةً لأنه يصدر من قائد تحرري عربي مما يوطد الكفاح المشترك بين العرب والاكراد في كل مكان ويؤثر ايجابياً في توطيد الاخوة العربية الكوردية وكذلك على مستوى المنطقة وتعزيز الجبهة الثورية للشعوب وقواها المناضلة ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية. وبرز ذلك واضحاً لدى التفاف الفصائل الاساسية في الحركة التحررية الكوردية حول الجماهيرية وقائدها ضد التدخل الامبريالي الصهيوني السافر وتصعيد التدخل والهجمة الدبلوماسية والحصار الاقتصادي والتلويح بالتدخل العسكري منذ بداية العام الحالي ١٩٨٦م.

٭ الاكراد

يشكل الاكراد أكبر مجموعة عرقية في الشرق الاوسط بل أكبر أمة على الارض لم تنل حتى الآن ابسط حقوقها القومية، ويعود تأريخ الاكراد الى آلاف السنين وقد تم التطرق اليهم حوالي ٢٣٠٠ عاماً قبل الميلاد اي قبل ٤٢٨٥ عاماً، وذلك في الكتابات السومرية التي عثر عليها علماء الآثار.. ومن الناحية العلمية ينظر الى الاكراد باعتبارهم من احفاد الميديين الذين أسسوا واحدة من اقدم الامبراطوريات في العالم، وهي مملكة ميديا وعاصمتها (اكباتان- همدان) حالياً الواقعة في ايران.. كما ورد ذكر الاكراد في كتاب المؤرخ اليوناني (زينفون) عام ٤٠١ قبل الميلاد.. وهذا يدحض النظريات الشوفينية والرجعية القائلة بأن الاكراد (عرب سكنوا الجبال) و(اتراك جبليون) أو (انهم ايرانيون)..

ان الاكراد أمة متميزة تماماً.. أمة مستقلة تكونت تدريجياً في مجرى تطور طويل مارة بمراحل التطور المختلفة. فهم ليسوا جزءاً من أية أمة اخرى، حتى لغتهم فانها لغة متميزة عن اللغات العربية والتركية والفارسية. ورغم صلة القرابة بين اللغتين الكوردية والفارسية فانهما لغتان متمايزتان شأن اللغتين الروسية والبلغارية مثلاً، (أو الانكليزية والألمانية).

ان للأكراد لغة واحدة لغة (هندو-اوربية) من الفصيلة الآرية، لكنها مستقلة عن الفارسية استقلال الفرنسية عن الايطالية مثلاً في فصيلة اللغات اللاتينية.

كانت للأكراد كيانات سياسية عبر التأريخ بداية بمملكة ميديا ثم دويلات وامارات كثيرة. ففي القرون الوسطى كانت في كوردستان حوالي اربعين (٤٠) امارة كوردية على غرار الامارات في اوروپا، ولكل منها قلعتها وسورها وجيشها ورايتها واسواقها وعلاقاتها التجارية، مثلاً امارة (بدليس) -بدليس حالياً في كوردستان تركيا- كانت لها علاقات تجارية مع امارة جنوه الايطالية، كما أن الطريق المشهورة (طريق الحرير) الى الصين كانت تمر بكوردستان.

وللأمة الكوردية عيدها القومي الخاص وهو عيد (نوروز) أي اليوم الجديد ويوافق ٢١ من مارس كل عام وهو ايضاً بداية العام الكوردي.

ان التقويم الكوردي يبدأ من تأسيس مملكة ميديا في ٢١ مارس ١٩٨٦ فتكون (٢١

آذار ١٩٨٦) قد دخلنا اليوم الاول من عام ٢٥٩٨ كوردي.

كما أن للأكراد علماً ونشيداً قومياً وعادات اجتماعية متميزة وتقاليد خاصة حتى في طراز البناء وصنع اللوازم المنزلية وكانت الحرف والصناعات اليومية مزدهرة في اسواق الامارات الكوردية قبل تقسيم كوردستان عدة مرات لاسيما منذ عام ١٥١٤م. بين الامبراطوريتين العثمانية والايرانية، وآخر وأخطر تقسيم تعرضت له كوردستان كان مع الحرب العالمية الاولى ١٩١٤–١٩١٨م. حيث تمزقت الى اربعة اجزاء بين تركيا وايران والعراق وسورية.وكان الاستعمار وخاصةً الاستعمار البريطاني هو الذي قسم كوردستان فقد كان بتحالفه مع الاستعمار الفرنسي يطمح الى الاستيلاء على ولاية الموصل آنذاك (كوردستان العراق حالياً) للسيطرة على منابع النفط الغنية في كركوك والموصل وخانقين، وهكذا كانت الأطماع الاستعمارية وتعاون القوى الرجعية الشوفينية المحلية معها سبباً في تمزيق كوردستان وسبباً اساسياً في الكوارث والمآسي المفجعة التي عانى ويعاني منها الاكراد حتى اليوم..

كما أن للأكراد ثقافتهم القومية المتميزة وفولكلور غني الاشكال والالوان في الغناء والرقص وفي القصص والحكايات والامثال الشعبية وفي كافة مناحي الحياة وبرز بين الاكراد علماء كبار خدموا الثقافة الاسلامية عامة والثقافة العربية، مثلما برز شعراء كبار ابدعوا شعراً كوردياً خالداً.

وكوردستان ايضاً مهد عظيم للحضارة البشرية اكتشفت في كهوفها ووديانها وسهولها آثار تمدن عريق حيث أكتشفت عام ١٩٨٥م. قرية تعود الى ٩٠٠٠ تسع آلاف سنة، وأكد علماء الآثار بأن سكنة مثل هذه القرية في كوردستان حالياً قد استعملوا النحاس في تلك الحقبة مما ادهش المؤرخين والباحثين ولاشك ان هناك آثاراً تأريخية هامة اخرى لم تكتشف بعد..

عن الدين.. كان الاكراد يعتنقون الديانة الزردشتية حتى ظهور الاسلام ودخوله الى كوردستان عام ٦٤٠م. واليوم فان أكثرية الاكراد مسلمون.

مساحة كوردستان

كلمة كوردستان –كما قلنا تعني لفظياً موطن الاكراد، وتبلغ المساحة العامة لكوردستان حسب تقدير معظم الباحثين أكثر من ٤٥٠ الف كيلومربع وهي بذلك تبلغ

حوالي ضعف مساحة بلدان مثل انكلترا او المانيا الاتحادية. نصف هذه المساحة حوالي ٢٢٥ الف كيلومتر مربع تدخل ضمن تركيا فتشكل كوردستان تركيا و١٥٠ ألف كيلومتر مربع تدخل ضمن ايران، ايّ كوردستان ايران و٧٥ ألف كيلومتر مربع ضمن العراق وتشكل كوردستان العراق و١٥ الف كيلومتر مربع ضمن سورية.

إن أراضي كوردستان متصلة ببعضها فتشكل وجهة جغرافية وانتولوجية متواصلة الاجزاء مجزأة سياسياً بين عدة دول. وارض كوردستان على العموم جبلية تتخللها السهول وتغطي الغابات مساحة كبيرة منها. مثلاً ٢٣٪ من مساحة كوردستان العراق كانت تشكلها غابات احترقت اجزاء واسعة منها بسبب الحروب العدوانية على الشعب الكوردي منذ عام ١٩٦١م.

وكوردستان غنية بالثروات المعدنية والزراعية والحيوانية وفي مقدمة ثروات كوردستان الطبيعية يأتي النفط. أن حقول نفط كركوك في كوردستان العراق هي من أكثر الحقول شهرة كذلك توجد حقول للنفط في كوردستان تركيا وكوردستان ايران وكوردستان سورية.

وإضافةً الى أهمية وجود النفط بغزارة في كوردستان فانها تقع على مقربة من أغنى حوض للنفط في العالم: نفط الشرق الاوسط والخليج الذي تعتمد عليه استيرادات الدول الصناعية في اوروبا واليابان وحتى الولايات المتحدة الامريكية اعتماداً كبيراً. ويكفي ان نذكر ان حوالي ٦٠٪ من احتياطي النفط في العالم يوجد في هذه المنطقة التي تطل عليها كوردستان مباشرةً.

من هذه المعطيات ندرك الأهمية الاستراتيجية لكوردستان ودورها الاقليمي والعالمي وهذه الاستراتيجية تأتي من:

اولاً: موقعها الجغرافي في السوق وتأثيره على مجمل آسيا.

ثانياً: طبيعة ارضها.

ثالثاً: ثرواتها الطبيعية الهائلة لاسيما النفط.

رابعاً: مجاورتها لأهم حوض للذهب الاسود في العالم حوض الشرق الاوسط والخليج.

وعدا النفط تمتلك كوردستان منابع هامة اخرى مثل الغاز الطبيعي والكبريت

وخامات الكروم التي هي من أثمن الخامات وتوجد بكميات هائلة ويقدر بأنها ثاني احتياطي في العالم، كذلك معادن الحديد والنحاس والرصاص والزنك والنيكل والفحم واحجار البناء بكميات ضخمة جداً علاوةً على الرخام الذي يعتبر من أعظم ثروات كوردستان وهو من نوعية جيدة جداً ومعادن اخرى.

كما ان كوردستان تزخر بالموارد المائية، أكثر من عشرة آلاف ينبوع، ومساقط المياه الطبيعية التي تشكل قوة صناعية هائلة سواء لتوليد الطاقة الكهربائية أو للزراعة، ويكفي أن نذكر ان المنابع والروافد الاساسية لنهر دجلة والفرات تبدأ من كوردستان ايضاً.

واخيراً فان هذه البلاد لو تخلصت من الاضطهاد القومي والحروب العدوانية المفروضة من قبل الحكومات الشوفينية والامبريالية العالمية فانها ستكون قبلة أكبر عدد من سواح العالم، فهي ذات طبيعة زاهية منذ بداية الربيع حتى نهاية الخريف، بل هي جميلة بشكل خاص في أيام الشتاء حيث تساقط الثلوج في المرتفعات. مثلما انها تتمتع بامكانيات ملائمة لتطوير صناعة الاخشاب والزراعة وتربية المواشي بفضل كثرة المراعي الممتازة المتوفرة هناك.

ان كوردستان حتى بالرغم من الحروب والدمار تزود بلدان المنطقة بالأنتاج الزراعي والحبوب والفواكه لاسيما العنب والتفاح والتين والجوز كذلك التبغ والقطن وبالأنتاج الحيواني من الماعز والابقار والبغال والاغنام.

عدد السكان

يكّون الاكراد الاكثرية الساحقة من سكان كوردستان حيث هناك ايضاً اقليات قومية آشورية وتركمانية وغيرها، وعدد سكان كوردستان يبلغ (عام ١٩٨٦) حوالي ٢٢ مليون نسمة على اقل تقدير وثمة تقديرات متنوعة تبين ان نسبة الاكثرية الكوردية في مختلف اجزاء كوردستان تبلغ أكثر من ٧٥٪ وتبلغ ٩٠٪ في بعض الاماكن.

ويعيش ٨٥٪ من مجموع الاكراد في كوردستان، أي الوحدة الجغرافية المتصلة التي تكون (كوردستان). أما الباقون فيعيشون خارج كوردستان في مناطق مختلفة من العالم، في افغانستان وپاكستان ولبنان وجالية كوردية في اوروپا الغربية تقدر بـ(٦٥٠) ألف نسمة، كذلك أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ ألف كوردي في الاتحاد السوڤيتي

ومئات الآف الاكراد في غرب تركية وحوالي مليون كوردي شمال شرقي ايران ومئات آلاف الاكراد في بغداد والمدن العراقية خارج كوردستان العراق..

وانطلاقاً من حسابات تقريبية فان ٤٧٪ من جميع الاكراد يعيشون في تركيا وأكثر من ٣١٪ في ايران وحوالي ١٦٪ في العراق و٣,٥٪ في سورية وأكثر من ١٪ في الاتحاد السوڤياتي و١,٥٪ في الاقطار الاخرى.

من هذه النسب والارقام تبين ان الاكراد –مجموعاً– يشكل أكبر شعب في العالم محروم من حقوقه القومية حتى الآن، وأنهم يشكلون (اضخم) اقلية عرقية في كل بلد من بلدان الشرق الاوسط التي يوجدون فيها، كما أن هذه النسب وحدها كافية للتدليل على أهمية المسألة الكوردية في كل بلد من تلك البلدان خاصةً وعلى نطاق الشرق الاوسط عامةً.

التهجير والتشريد

يناضل الشعب الكوردي في كل جزء نضالاً مستمراً بمختلف الاشكال السياسية وغير السياسية حسب الظروف الموضوعية والامكانيات الذاتية المتاحة وفي اطار مصالح حركة التحرير الكوردية وحركة تحرر الشعوب المجاورة له ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية..

ويكافح الشعب الكوردي من اجل التحرير والانعتاق والوحدة القومية كحق تاريخي مشروع لكل أمة. وفي الوقت الراهن يناضل الشعب الكوردي في كل جزء من اجل ازالة القيود المفروضة عليه والحصول على حقوق قومية معينة ضمن الامكانيات المتاحة.

ان طريق الكفاح التحرري الكوردي شاقة، فالأستعمار زرع أمامه ألغاماً كثيرة والحكومات تتعاون وتتحالف فيما بينها لضرب نضال الجماهير الكوردية كلما تصاعد هذا النضال بحيث صار قريباً من تحقيق بعض اهدافه حتى ولو كانت مرحلية..

وتنبثق الحركة القومية التحررية الكوردية من ضرورة تأريخية اجتماعية، هي حالة حرمان الأمة الكوردية من كافة حقوقها واستغلال ابنائها ونهب ثرواتها، فالحركة الكوردية حركة تحررية وطنية متحالفة موضوعياً وذاتياً مع حركات التحرر للشعوب المجاورة ومع الحركة التحررية العربية.

وتتسع قاعدة هذا التحالف الجماهيري وتتعمق كلما حاولت الامبريالية والحكومات الشوفينية قمع نضال شعوب المنطقة.

اضافةً الى المهمات التحريرية الجسيمة للحركة الكوردية ضد الهجمة الامبريالية وكافة المحاور الرجعية مثل محور كمب ديڤيد العدواني ومحور بغداد، عمان، القاهرة وغيرها.. فان امام الحركة الكوردية مهمات اخرى مضاعفة نابعة من كون كوردستان اشد تخلفاً من بقية المناطق في كل بلد من البلدان التي تتوزع عليها كوردستان..

ان وضع الشعب الكوردي في تلك البلدان هو أسوأ إجتماعياً وإقتصادياً وثقافياً من وضع بقية الشعوب التي يعيش معها. مثلاً لم يبلغ دخل الفرد في كوردستان ايران عام ١٩٧٥م سوى ١٥٠ دولاراً مقابل ١٣٤٠ دولار في عموم ايران، وان كوردستان العراق تحصل على اقل من ١٠٪ من الارصدة المخصصة للتنمية في عموم العراق، وقد تم التخطيط (عام ١٩٧٣) لأقامة ٤ مشاريع صناعية فقط في كوردستان العراق من مجموع ١٥٠ مشروعاً صناعياً في عموم العراق مع العلم ان الخامات متوفرة في المناطق الكوردية بالذات ناهيك عن النفط. وفي كوردستان تركيا كان هناك عام ١٩٧٠م طبيب واحد لكل ١٠ آلاف من السكان، بينما كان هناك طبيب واحد لكل ٣–٤ آلاف من سكان تركيا على العموم، وبينما كانت نسبة الأمية في كوردستان تركيا تزيد عن ٧٠٪ فان نسبتها في عموم تركيا بلغت ٣٧٪ ونسبة المشاريع الصناعية الكبيرة المقامة في المنطقة الكوردية هي اقل من ١٪ من مجموع هذه المشاريع في عموم تركيا.

وفي حقل الخدمات الاجتماعية فان كوردستان تركيا تنال نسبة قليلة جداً بالنسبة الى المناطق الاخرى في تركيا.

الثورة

لقد انتفض الشعب الكوردي مراراً ضد هذا التمييز القومي والعسف والاستغلال والحرمان من التقدم الاجتماعي والاقتصادي والثقافي اذ يكفي ان نقول انه خلال الفترة من اواخر القرن الثامن عشر حتى اليوم اندلعت الحركات في كوردستان أكثر من ٢٥ ثورة وانتفاضة مسلحة اضافةً الى عشرات الحركات الجماهيرية والاحتجاجية الواسعة بمختلف الاشكال. وتصاعدت الثورات الكوردية منذ اوائل القرن التاسع فكانت ثورة الشيخ عبيدالله النهري عام ١٨٨٠م منعطفاً كبيراً في الحركة القومية

الكوردية. وكانت هذه الثورة التي شملت كوردستان تركيا حالياً وكوردستان ايران وجزء من كوردستان العراق تدعو الى تحرير واستقلال كوردستان وتعتبر احدى البدايات الاساسية للحركة الكوردية قد تحددت معالمها لاسيما بعد ان تشكلت جمعيات كوردية سياسية وثقافية، وصدرت صحف كوردية، واول صحيفة صدرت عام ١٨٩٨م باسم (كردستان) العدد الاول صدر في القاهرة يوم ٢٢ نيسان (ابريل)، وصار هذا اليوم فيما بعد عيداً للصحافة الكوردية.

وشهدت اوائل القرن العشرين وسنوات الحرب العالمية الاولى حركات وانتفاضات كوردية عديدة اندلعت بشكل أقوى منذ انتهاء الحرب ومن اهمها: في كوردستان تركيا.. ثورة الشيخ سعيد پيران عام ١٩٢٥ وثورة آگري داغ عام ١٩٣٠ بقيادة احسان نوري پاشا وثورة درسيم عام ١٩٣٧ بقيادة سيد رضا وقد قمعت السلطات التركية هذه الثورات بضراوة ووحشية ولازال الشعب الكوردي هناك يكافح كفاحاً شاقاً..

وفي كوردستان العراق اندلعت ثورات وانتفاضات الشيخ محمود الحفيد ١٩١٩م – ١٩٢٥ حتى انه اقام حكومة كوردية عاصمتها –السليمانية– قمعتها القوات الانگليزية بوحشية ثم ثورات بارزان عام ١٩٢٠ و١٩٣٢ و١٩٤٣ و١٩٤٥م ثم ثورة ١١ ايلول ١٩٦١م ومقاومة مارس ١٩٧٥ بقيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني العراقي وزعيمه مصطفى البارزاني وهذه الثورة انتزعت من الحكومات العراقية الاعتراف بحق الحكم الذاتي الكوردستاني.

ويواصل الشعب الكوردي اليوم كفاحاً مسلحاً وجماهيرياً من اجل ممارسة حقوقه المشروعة ورفع الغبن عنه..

وقد التحمت انتفاضات الشعب الكوردي في كافة الاجزاء بالنضال الوطني العام في تلك البلدان ضد الاستعمار والرجعية وشاركت الجماهير الكوردية جماهير تلك البلدان –الجماهير العربية والايرانية والتركية– شاركتها المعاناة والتضحية والفداء من اجل التحرر والتقدم الاجتماعي. فان كان الشعب الكوردي في تركيا قارع الحكومة الشوفينية التركية وحلف الناتو العدواني من ورائها فان الشعب الكوردي في العراق حارب الاستعمار البريطاني بثوراته ثم الانظمة الدكتاتورية المتعاقبة في بغداد وفي

ايران كانت انتفاضات الشعب الكوردي موجهة في آن واحد ضد الاستقراطية الرجعية الحاكمة ومن ورائها الاستعمار البريطاني ثم الأمريكي.

اما في سورية فقد شارك الشعب الكوردي منذ عام ١٩٢٠ في محاربة الاستعمار الفرنسي وقدم ابطالاً من الاكراد مثل –ابراهيم هنانو– و–احمد باراني–.

كما شارك الشعب الكوردي في تلك البلدان في كافة الثورات الوطنية العامة التي اندلعت فيها اضافةً الى انتفاضاتها القومية.

وكان من العدل والانصاف ان تكافأ تضحيات الشعب الكوردي ويجري الاعتراف بحقوقه القومية والانسانية المشروعة.

ان كفاح الشعب الكوردي في عموم المنطقة كان وسيبقى رافداً هاماً للغاية من روافد الحركة الثورية وان عدم حل القضية الكوردية حلاً سلمياً وديمقراطياً على اساس الاعتراف بحق تقرير المصير للأمة الكوردية سيثير متاعب ومصاعب ليس للشعب الكوردي وحده، بل لبقية الشعوب المجاورة ايضاً.

وقد وجدت الجماهير الكوردية ان طريق خلاصها هو الكفاح المشترك والمشاركة الايجابية في حركة الجماهير العربية وحركة الجماهير التركية وحركة الجماهير الايرانية، من اجل انقاذ المنطقة من الهيمنة الامبريالية والرجعية وحل المشاكل الاساسية، بما فيها عودة الشعب الفلسطيني الى ارضه وتحريرها واقامة الدولة الوطنية المستقلة على التراب الفلسطيني وبلوغ الامة الكوردية امانيها وطموحاتها المشروعة كأية أمة على الارض، هذه الأمة التي انصفها الأخ العقيد القذافي حين قال في تصريح لجريدة السفير اللبنانية في ٢١ مارس ١٩٨٥م اي يوم العيد القومي للأكراد –نوروز– في معرض اجابته عن سؤال لماذا يقاتل الاكراد؟

«انهم يقاتلون لأن قوميات اخرى طغت عليهم منذ فترة، انهم أمة كوردستانية مستقلة ليس لها استقلال ذاتي لا في العراق ولا في ايران ولا في تركيا. وهذا هو موقف مبدئي. الاكراد يجب أن يكونوا أمة كوردستانية في تلك المنطقة وتكون هذه الأمة شقيقة للأمة العربية والامة التركية والأمة الفارسية، وتأخذ مكانها على قدم المساواة مع هذه الأمم».

القسم الثاني

الكفاح العربي-الكوردي المشترك

قلنا، في القسم الاول، بأن مواقف القذافي التحررية ازاء القضية الكوردية توطد تحالف الكفاح العربي–الكوردي. وفي هذا القسم سنتناول أهمية هذا الكفاح المشترك والظروف التأريخية والموضوعية لتطوره خاصةً خلال الستين عاماً الاخيرة.

فقد قال القذافي حقاً:«اننا نحن الذين نعاني من التطاول على أمتنا ومن الاستهتار بتأريخنا الطويل من أيام جمال پاشا حتى الآن، لايمكن أن نخون ونتخاذل حيال أمة تعاني نفس المعاناة المريرة التي عانتها الأمة العربية ولازالت تعاني منها»[١].

سنشرح الخلفية التاريخية لهذه العبارات لنرى فعلاً كيف ان العرب والكورد عانوا ولازالوا يعانون «نفس المعاناة المريرة»، مما يستلزم أن يكون «كفاح الامة العربية وكفاح الامة الكوردية مساندين لبعضهما البعض..»[٢].

أي اننا نكرس هذا القسم لشرح هذه الآراء التي تأتي منسجمة مع الواقع الموضوعي، كما سنرى من خلال الوقائع التأريخية وسير الحياة. كما اشار القذافي الى موضوع هام للغاية؛ موضوع الوحدة العربية وعلاقتها بالقضية الكوردية:«تحرير الامة العربية، توحيد الامة العربية على اساس تقدمي شعبي، هذا يعني الانحياز،انحياز الامة العربية الى جانب كفاح الامة الكوردية المجيدة..»[٣]

هذا الموضوع يهم المناضلين الكورد مثلما يهم المناضلين العرب سواء بسواء.

نبذة تاريخية: معاناة

وبغية معرفة ذلك ينبغي إلقاء نظرة ولو خاطفة على التاريخ، ويرتبط ذلك ببحث القضية الكوردية عموماً[٤]، اما هنا فنكتفي بهذه النبذة:

عاش الكورد الى جانب العرب منذ قرون طويلة تربطهم علاقات الجيرة والتاريخ المشترك والدين المشترك. الغالبية الساحقة من الاكراد مسلمون واما قبل الفتح الاسلامي عام ٦٤٠م فقد كانوا يعتنقون الديانة الزردشتية (الى جانب المسيحية

والديانات الاخرى)، حيث كانت هذه الديانة منتشرة بينهم. وبعد ظهور الاسلام ودخوله كوردستان، تقبله الاكراد واعتنقوه، كما ساهموا بقيادة الكثير من الدول الاسلامية ولعل اعظمهم شأناً في هذا المجال هو صلاح الدين الايوبي[٥] الذي بنى الدولة الأيوبية المعروفة ودافع عن حدود بلاد العرب ضد الصليبيين كما هو معروف[٦]، ويصفه بعض المؤرخين الاوروپيين بالسلطان النبيل.

برز بين الاكراد علماء وأدباء كبار خدموا الثقافة الاسلامية والعربية وثقافات بقية أمم المنطقة نتيجة حرمانهم من خدمة ثقافتهم القومية (حرمانهم من استعمال لغتهم وآدابهم). واستعراض الخدمات الفكرية للأكراد يحتاج بحد ذاته الى بحث مستقل لا مجال هنا للإطالة فيه.

في القرون الوسطى كانت كوردستان تتألف من نحو أربعين أمارة كوردية مستقلة ذات نظام اقطاعي، شأنها شأن معظم الامم الاوروپية آنذاك، وكان يحكمها أمراء اكراد يتوارثون الحكم أباً عن جد، لكل منهم عاصمته الخاصة وحكومته وجيشه الخاص[٧].

وبعد حرب چالديران عام ١٥١٤م التي انتهت بفوز السلطان العثماني سليم الاول وحلفائه الامراء الاكراد على الشاه اسماعيل الايراني، أصبحت معظم الامارات الكوردية، دويلات تحت حماية السلطان، الذي اعترف بوجودها بفرمانات ملكية.

ومنذ معاهدة ١٦٣٩ بين الامبراطوريتين العثمانية والفارسية تم تقسيم الامارات الكوردية الى قسمين واحد منها تحت النفوذ العثماني، ويشمل معظم البلاد الكوردية، والآخر (كوردستان الشرقية) تحت النفوذ الفارسي.

وقد اشترك الاكراد كالعرب في كل حروب الدولة العثمانية، وكذلك في حروب شاهات ايران، وكوفئوا شراً على خدماتهم. فقد حارب سلاطين آل عثمان وشاهات ايران الامارات الكوردية الخاضعة لنفوذهم الاقطاعي وتغلبوا عليها الواحدة بعد الاخرى وحولوها الى مجرد مقاطعات ألحقت مباشرةً بالأدارة الملكية المركزية، وهذا ما فعله السلاطين ايضاً في البلاد العربية. وقد سقطت آخر أمارة كوردية في الامبراطورية العثمانية عام ١٨٤٧. وفي الامبراطورية الفارسية في القرن العشرين في عهد الشاه رضا خان بهلوي[٨]، وهي امارة بشتكوه (الكوردية). وهكذا فقد الشعب الكوردي

حريته واستقلاله، وتدهورت ثقافته الوطنية وتأخر عن أدبه الذي كان مزدهراً في الحقبة الكلاسيكية، وحل الدمار والفقر في كوردستان[٩].

نقدم هذا السرد التأريخي لنبين كيف ان «المعاناة المريرة» -كما يقول القذافي-، المعاناة المشتركة للعرب والكورد تبدأ معاً خاصةً خلال القرون الأربعة الاخيرة. يشير الى ذلك باحث آخر[١٠] قائلاً:

كلفت السيطرة العثمانية والايرانية[١١] الشعب الكوردي كثيرا من الدماء والدمار والويلات فضلاً عن انها اعاقت تطوره وتقدمه. فكم من حملات التأديب والابادة نظمها السلاطين الأتراك والملوك الفرس ضد الجماهير الكوردية لغرض اخضاعها بقوة الحديد والنار. وكم من دماء وكد وثروات الكادحين الاكراد امتصها هؤلاء بأسم الخراج والضرائب تارةً وبطريقة النهب والسلب المكشوف تارةً اخرى. وهكذا نرى ان الحكام الاقطاعيين الاتراك والايرانيين يتحملون مسؤولية تجزئة كوردستان في القرون الماضية ايضاً (وتجدر الاشارة هنا الى ان امماً اخرى كثيرة منها الامة العربية عانت في تلك الفترة، شأنها شأن الأمة الكوردية، من نير السيطرة التركية الاقطاعية)[١٢]

ذلك هو الاساس الموضوعي للكفاح المشترك العربي-الكوردي الذي تحول فيما بعد الى ظاهرة سياسية هامة لاسيما في العراق. وقد شارك الكورد ايضاً في كفاح بقية الأمم والشعوب الرازحة تحت النير العثماني والايراني، وخاصةً منذ نشوء الفكرة القومية الكوردية، ثم تطورها لحركة تحررية وطنية[١٣].

فمنذ نهاية القرن الثامن عشر قامت في كوردستان العديد من الحركات التي كانت تهدف الى رفع الظلم والحيف عن الاكراد وتحقيق مطامحهم القومية. اذ رفع بعضها شعار الاستقلال لكوردستان.كما قامت بعض الامارات الكوردية[١٤] التي كانت تستهدف تحقيق الاستقلال عن الامبراطورية التركية متى ما كان ذلك ممكناً لها[١٥].

لجان ثورية في كوردستان:

وهكذا اخذت مقدمات الحركة الوطنية الكوردية تظهر وتتسع الى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين[١٦]، واضافةً الى مشاركتها بقية الشعوب المناضلة في الكفاح، فانها ابتكرت «اللجان الثورية» للدفاع عن مكتسبات ثورات هذه الشعوب. فقد تطورت الحركة الكوردية بفعل التناقضات داخل المجتمع الكوردي من جهة وتحت تأثير

الحركة التحررية العالمية من جهة اخرى، وخاصةً ثورتي ١٩٠٥ و١٩١٧ الروسية والحركات التحررية في كل من ايران وتركيا. يذكر الكاتب الكوردي ع.شمزيني[١٧]:

ان العناصر التقدمية في المجتمع الكوردي من المثقفين والطلاب والشباب والضباط والموظفين اشتركت مثلاً في الحركة التقدمية لشعوب الشرقين الادنى والاوسط. فقد شارك الاكراد بصورة فعلية في الثورة الايرانية ١٩٠٥-١٩١١، حيث تشكلت في معظم المدن الكوردية في كوردستان ايران لجان ثورية (أنجمن/بالكوردية)، مثلاً تشكلت هذه اللجان في مدن (كرماشان «كرمانشاه»[١٨]، مهاباد، سنة، وسقز) ودافعت عن المكتسبات والمنجزات الديمقراطية التي حققتها الثورة الايرانية وناضلت ضد الغاصبين الاتراك الذين احتلوا بعض المناطق الكوردية في ايران آنذاك. وقد اثرت هذه اللجان على الشعب الكوردي تأثيراً قوياً وساهمت في العديد من حركاته التحررية التي نشبت عام ١٩٠٧ في مناطق تبليس، ارضروم، والموصل[١٩].

وتأثر الكورد بالحركة التحررية التركية ونضالها من اجل الاصلاحات الدستورية التي كانت تقودها (جمعية الاتحاد والترقي)[٢٠]، شأنهم شأن بقية ابناء الشعوب المضطهدة من قبل الامبراطورية العثمانية، وعلى هذا الاساس شارك الاكراد مع العرب والألبان والأرمن وغيرهم في الجمعية المذكورة ولكن سرعان ماتوضحت الاهداف الشوفينية لقادة هذه المنظمة بعد ان استلمت السلطة على اثر انقلاب ١٩٠٨ مما ادى الى إنسحاب اغلبية الاكراد وأبناء القوميات الاخرى منها وبدأوا العمل على تشكيل منظماتهم الخاصة بهم (العربية والكوردية والأرمنية الخ..)[٢١].

هكذا نتلمس شيئاً فشيئاً الخيوط التاريخية للكفاح الكوردي المشترك مع بقية الشعوب ومنها الشعب العربي. وفي الحقيقة ان هذه الشعوب خاضت نضالات ثورية الى جانب الكورد ضد العثمانين في اواسط القرن التاسع عشر حيث قامت انتفاضات الاكراد في اعوام ١٨٥٤-١٨٥٥ المشهورة تحت اسم قائدها الكوردي (يزداشير)، التي جمعت في نضالها ضد الاضطهاد التركي ليس الاكراد فحسب، وانما جزءاً من الأرمن والآشوريين والعرب واليونان وممثلي القوميات المضطهدة الاخرى[٢٢].

القاهرة والكفاح الكوردي:

انها لدلالة هامة، على درب التعاون العربي – الكوردي ان تكون القاهرة، عاصمة مصر، مركزاً من مراكز الكفاح التحرري الكوردي منذ وقت مبكر. وان تصدر فيها اول جريدة في تأريخ الصحافة الكوردية. ففى الحادي والعشرين من نيسان ١٨٩٨ صدر في القاهرة اول عدد من الجريدة الكوردية «كردستان» وهكذا وضع حجر الاساس للصحافة القومية، وكان هذا حدثاً هاماً في تاريخ الحياة الاجتماعية الكوردية بصفة عامة وفي الثقافة الكوردية بصفة خاصة[٢٣]. وغدت «كردستان» الجريدة المعبرة عن ايديولوجية الحركة الكوردية في نهاية القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين. كان يشرف على تحرير الجريدة الكاتب الكوردي مدحت بدرخان المهاجر من تركيا الى مصر، وهو الذي أسس الجريدة.

ولم تمثل الجريدة تنظيماً سياسياً أو اجتماعياً محدداً. لقد كان صدورها نتيجة مبادرة شخصية من كوردي وطني ادرك أهمية الصحافة في مجال التوعية لحياة شعب مضطهد محروم من ادنى ظروف تطوير الثقافة القومية.

كانت اعداد الجريدة ترسل الى كوردستان عبر سورية وتوزع بالدرجة الاولى في المناطق الجنوبية لكوردستان. وفي مرحلة صدور الجريدة في القاهرة، كان لها هدف تنويري بحت، وهو نشر التعليم بين الاكراد وتطوير ثقافتهم[٢٤].

على ذكر صدور اول جريدة كوردية في المدينة العربية، القاهرة، يجدر ايضاً أن نذكر أن اول آلة طباعة اشتراها من المانيا المؤرخ الكوردي الشهير (حسين حزني موكرياني عام ١٩١٥م قد نقلها في نهاية ذلك العام الى مدينة حلب العربية حيث أسس أول مطبعة كوردية وبدأ بطباعة الكتب الكوردية بعد أن قام بنفسه بتحسين الاحرف المطبعية العربية، حيث اختار ثلاث اشارات جديدة لأجل التعبير عن الاحرف الصوتية الكوردية التي لاتوجد في العربية والتي تستخدم في الفارسية بشكل اساسي، فسافر الى المانيا لسبك هذه الاحرف الجديدة، فصار (موكرياني) مؤسس الابجدية الكوردية (بالحروف العربية) والتي تحسنت فيما بعد، وتستخدم بنجاح حتى وقتنا الحاضر من قبل اكراد العراق وايران[٢٥].

تحدثنا آنفاً عن أن العرب والاكراد وغيرهم من الشعوب الخاضعة للحكم التركي قد

تركوا صفوف (جمعية الاتحاد والترقي) التركية بعد ان تبينت طبيعتها الشوفينية فشكلوا جمعياتهم ومنظماتهم الثقافية والاجتماعية القومية الخاصة بهم. وقد نشأت علاقات كفاحية بين هذه الجمعيات التي اغلقت تركيا معظمها، لاسيما الكوردية منها. وفي عام ١٩٣٢ ظهرت جمعية كوردية جديدة بأسم هيڤي (الامل) اسسها الطلبة الاكراد في جامعات ومعاهد استنبول العاصمة. كونت هذه الجمعية صلات وثيقة مع الشخصيات الاجتماعية والسياسية العربية. فمثلاً اقيمت علاقات صداقة بين كل من نجم الدين حسين وقدري جميل باشا (من الجمعية الكوردية) والكاتبين العربيين الشهيرين والشخصيتين الاجتماعيتين في مصر سعدالله الجابري ورشيد رضا. وكان الاخير أحد مؤسسي التنظيم العربي القومي والأكثر نفوذاً (حزب اللامركزية الادارية العثماني) الذي تأسس في أواخر عام ١٩١٢م في القاهرة[٢٦].

هكذا صارت القاهرة أحد المراكز الهامة للنشاط الكوردي، والتعاون العربي–الكوردي، وكانت جامعة الازهر فيما بعد مركز استقطاب آخر للمثقفين الاكراد الذين تخرجوا منها بأعداد كبيرة.

فبينما كانت سورية وحدها، لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية، ملجأ للمناضلين الاكراد من تركيا وايران والعراق، فان القاهرة بعد انتصار ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ صارت، مرة الاخرى، تجذب المثقفين الاكراد واستمر الحال عموماً على هذا المنوال طوال عهد الزعيم الكبير الراحل جمال عبدالناصر[٢٧] الذي أسس اذاعة كوردية في القاهرة وقدم الدعم للقضية الكوردية ودافع عنها. وسيأتي شرح ذلك فيما بعد.

فهل جاءت هذه العلاقات عفوية أم انها نتيجة الآلام المشتركة، تلك الآلام التي يتحدث عنها القذافي:«يعني من الممكن ان باعثنا الاصلي، أن الآلام التي جسدها تاريخ الأمة العربية الذي درسته، والمعاناة المرة التي نعيشها الآن جعلتني اتعاطف تلقائياً مع أمة مثلنا ممزقة مستعمرة مهانة مضطهدة..»؟

لاشك أن لهذه الآلام جذوراً عميقة في تاريخ الأمتين العربية والكوردية.. فتنهض طرابلس[٢٨] محطة اشعاع اخرى للكفاح الكوردي، بعد القاهرة ودمشق.

قسموا الكورد مثلما قسموا العرب:

التقسيم الاخير لكوردستان جاء مع الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨).كان هدف الحرب هو تقسيم اسواق العالم من قبل الدول الرأسمالية. فكان الجميع يتطلعون الى ميراث الامبراطورية العثمانية ومنها المانيا حليفة العثمانيين.فكانت كوردستان ضمن الخطة او مشروع[٢٩] النهب الرأسمالي. كانت أسس التقسيم قد وضعت اثناء سنوات الحرب. ففي مايس ١٩١٦ وقعت بريطانيا وفرنسا، وبعلم روسيا، على اتفاقية (سايكس -بيكو) التي فضحتها ثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧، وكانت الاتفاقية تنص على تقسيم شعوب المنطقة (العربية والكوردية والارمنية والتركية). اسفرت الحرب عن تقسيم جديد للقوى الاستعمارية في العالم. فالدول الاستعمارية المنتصرة أخذت تنهب وتستولي على ممتلكات الامبراطوريات والدول الاستعمارية المهزومة وأكبرها الامبراطورية العثمانية. وجسد مؤتمر الصلح الذي انعقد في پاريس عام ١٩١٩ وما رافقه واعقبه من معاهدات عملية الاقتسام هذه وكان بمثابة التعبير «الحقوقي» على النطاق الدولي. وبالنظر لموقع كوردستان الستراتيجي الهام وللثروات المعدنية فيها، وخاصةً النفط، فانها كانت هدفاً لأطماع الدول الاستعمارية وخاصةً انگلترا وفرنسا حيث اشتد الصراع بينهما متخذاً شكلاً واضحاً في الصراع حول مسألة ولاية الموصل، وحسم الصراع لصالح انگلترا في ١٥ ايلول ١٩١٩ لقاء التنازلات التالية:

١- ان تحصل فرنسا على بعض الاسهم من نفط الموصل.

٢- ان تؤيد انگلترا فرنسا تأييداً مطلقاً عن الاعتراضات الأمريكية.

٣- اذا اقر الانتداب، تكون دمشق وحلب والاسكندرونة وبيروت تحت انتداب واحد هو الانتداب الفرنسي[٣٠].

هذا وكانت «ولاية الموصل» تعني آنذاك الجزء الاكبر من كوردستان الجنوبية اي كوردستان العراق حالياً، التي كانت لبريطانيا معلومات عن وجود النفط فيها[٣١].

وهكذا نجم عن الاطماع الاستعمارية تمزيق كوردستان بين أربع دول هي تركيا، ايران، العراق وسورية.

النفاق البريطاني ازاء العرب والكورد:

تتحمل السياسة البريطانية المسؤولية الأساسية عن التقسيم الأخير لكوردستان. يقول أحد الباحثين الاكراد[٣٢] بهذا الصدد:

دخل الجيش البريطاني (خلال الحرب) ولايتي البصرة وبغداد (العراق) عام ١٩١٧، ولم يحتل ولاية الموصل (كوردستان الجنوبي) إلا عام ١٩١٨، بعد اتفاقية (مودروس) وايقاف القتال مع الاكراد. وقد ولدت السياسة البريطانية الاستعمارية الميكافيلية وضعاً عجيباً سواء بالنسبة للعرب أم للأكراد. فمن المعلوم ان بريطانيا وعدت الملك حسين شريف مكة المكرمة بإنشاء دولة عربية موحدة تضم سورية الطبيعية والعراق[٣٣] والحجاز. ومن المعلوم ايضاً ان بريطانيا تنكرت لهذه الوعود. فوعدت اليهود بفلسطين وعقدت في الوقت نفسه وبصورة سرية اتفاقية سايكس-بيكو مع فرنسا لتقسيم البلاد العربية. وقد قامت بريطانيا نفسها بخيانة مماثلة في حق الشعب الكوردي[٣٤]. ففي الوقت الذي وقعت فيه معاهدة (سيڤر) عام ١٩٢٠ التي تقضي بنودها (٦٢، ٦٣، ٦٤) باستقلال كوردستان العثماني (التركي والعراقي حالياً) بعد مناقشات مؤتمر الصلح في پاريس، او بتعبير آخر ضم كوردستان الجنوبي -ولاية الموصل-[٣٥] الى دولة كوردستان التي تقرر انشاؤها على أنقاض الامبراطورية المتداعية، قامت بريطانيا (في الوقت نفسه) بإعطاء الوعود للعرب بضم ولاية الموصل للدولة العربية، ثم عملت جاهدة لضمها الى العراق العربي بعد ان احبطت مشروع انشاء دولة عربية موحدة. وبعد اتفاقية (سان ريمو) التي تقاسمت فيها دول الحلفاء الاستعمارية مناطق الانتدب فيما بينها، نالت بريطانيا حق الانتداب على ولايات البصرة وبغداد والموصل، ومنذ ذلك الحين قررت إنشاء دولة عراقية عربية يلحق بها كوردستان الجنوبي.

ومنذ عام ١٩٢٢ تغلبت الحركة الكمالية في تركيا على حكومة السلطان العثماني في القسطنطينية. ثم أسست الجمهورية التركية التي كانت تطالب بإرجاع ولاية الموصل الى«الوطن التركي الأم» حسب تعبير الاتراك، وقد نجم عن ذلك خلاف شديد بين بريطانيا باعتبارها دولة منتدبة، وبين تركيا. اما شعب كوردستان الجنوبي، بعد ان فشل مشروع انشاء دولة كوردية موحدة، حسب معاهدة سيڤر، فكان يطالب بانشاء

حكومة كوردية لكوردستان الجنوبية (كوردستان العراق حالياً)، ويعلن معارضته بصورة خاصة لكل مشروع يرمي سواءً لأرجاعه الى الحكم التركي او لوضعه تحت حكم بغداد الجديد. وعبر الشعب الكوردي عن مشاعره هذه بوضوح ضد الاحتلال البريطاني بإندلاع ثورة الشيخ محمود الحفيد[٣٦] في منطقة السليمانية (آيار – حزيران ١٩١٩) والتي امتد لهيبها الى مناطق كركوك وحلبجة ورانية.

في عام ١٩٢٠ اندلعت ثورة كوردية أخرى في منطقة بارزان. ونشبت ثورة كوردية ثالثة عام ١٩٢٢ في منطقة السليمانية، مرة اخرى، اسس فيها الشيخ محمود الحفيد حكومة كوردية واعن نفسهُ ملك كوردستان الجنوبي رافضاً بذلك الخضوع للبريطانيين ولسلطة الملك فيصل الاول. وقام الجيش البريطاني بمحاربة هذه الثورات الكوردية، وتحطيم هذه الحكومة الكوردية، ليس حباً بالملك فيصل او بالعرب، بل من اجل المصالح البريطانية. فما كانت بريطانيا تريد ضم كوردستان الجنوبي للعراق العربي الا من اجل نفطه ولأعتبارات ستراتيجية واقتصادية اخرى. ونظراً لأن الدولة البريطانية قامت بمحاربة الحركة الكوردية عسكرياً في وقت كان النزاع التركي البريطاني مازال قائماً حول ولاية الموصل القديمة، ونظراً لأن ذلك كان يضعف موقف بريطانيا ازاء المطالب التركية في المجالات الدولية، وتهدئة منها للشعب الكوردي الثائر، قامت الحكومتان العراقية والبريطانية بإصدار بيان رسمي مشترك في ٢٤ كانون الاول من عام ١٩٢٢ وفيه اعترفتا بشكل قاطع بحق كودستان العراق بتأسيس حكومة كوردية ذات استقلال ذاتي ضمن حدود الدولة العراقية[٣٧]. لكن الحكومات العراقية لم تلتزم بهذا التعهد ولا بالتعهدات اللاحقة. وخاصةً قرار عصبة الأمم عام ١٩٢٢ القاضي[٣٨] «بالأعتراف بحق الاكراد المقيمين في كوردستان العراقية بنوع من الحكم الذاتي يقضي بجعل اللغة الكوردية اللغة الرسمية في الاقليم المذكور وان تكون ادارته كوردية خاصة وموظفوه من الاكراد والتعليم والقضاة والشرطة كوردية». واعلنت رئاسة الحكومة العراقية مراراً في السنوات التالية بأنها «ستحترم حقوق الأمة الكوردية النجيبة حسب التعهدات الدولية». وعندما دخل العراق عصبة الأمم عام ١٩٣٢ تعهدت حكومته باحترام الحقوق الكوردية حسب الضمانات الدولية. ولكن بريطانيا المنتدبة والحكومات العراقية المتعاقبة لم تحترم حقوق الشعب الكوردي، ولم تمنح كوردستان الحكم الذاتي، بل ان اسم «كوردستان» نفسه اسقطه المستعمرون البريطانيون، والحكم الملكي الرجعي الموالي لهم

في بغداد، من الاستعمال الرسمي، واصبح كوردستان العراق او الجنوبي مجرد «شمال العراق»[٣٩].

وقد شن الشعب الكوردي ثورات وانتفاضات كثيرة دفاعاً عن حقوقه، مطالباً الحكومات العراقية بالألتزام بتلك التعهدات الدولية، واوسع الثورات هي ثورة ايلول الكوردية التي استمرت من ايلول ١٩٦١م حتى آذار ١٩٧٥م والتي قادها الحزب الديمقراطي الكوردستاني ورئيسه الراحل ملا مصطفى البارزاني[٤٠]. نجحت هذه الثورة عام ١٩٧٠م بالتوصل مع الحكومة العراقية الى اتفاق حول الحكم الذاتي لكوردستان العراق ضمن الجمهورية العراقية، والذي صدر عنه قانون حكومي في ١١ آذار ١٩٧٤ بأسم (قانون الحكم الذاتي لمنطقة كوردستان) الذي صار، في التطبيق العملي، أشبه باللامركزية الادارية والاقليمية[٤١].

واذا كنا قد اسهبنا قليلاً في تطور القضية الكوردية في العراق، فذلك لعلاقته بتطور الكفاح العربي–الكوردي المشترك. وأما حال الاكراد في تركيا وايران، بعد التقسيم الجديد الذي اعقب الحرب العالمية الاولى، فلم يكن أحسن، ولم يتم هناك حتى الاعتراف بالحقوق الكوردية في ايران، اما تركيا وخاصةً منذ تسلم الكماليين[٤٢] الحكم هناك، فانها تنكرت لكافة وعودها وتعهداتها للشعب الكوردي (مثلاً بموجب المواد ٦٢ و٦٣ و٦٤ من معاهدة سيفر عام ١٩٢٠ كان ينبغي منح الشعب الكوردي في تركيا حق الاستقلال) وداست حتى النصوص البسيطة عن حقوق الشعب الكوردي الاولية الواردة في معاهدة لوزان عام ١٩٢٣.

هكذا ففي عام ١٩٧٠ حيث صدر اتفاق أو بيان ١١ آذار ١٩٧٠ الذي تضمن اعترافاً رسمياً بنوع من الحكم الذاتي لكوردستان العراق والذي اعتبره ابناء الأمة الكوردية في كافة الاجزاء انتصاراً كبيراً لهم، فان الحكومة الشاهنشاهية الايرانية كانت لاتزال تقمع اكراد ايران بشدة وتتنكر لأي حق قومي لهم وتعتبرهم «من الجنس الآري» وبالتالي «ايرانيين» لاغير، وليست لهم شخصية قومية متميزة! وكانت الحكومة التركية تحرم على اكراد تركيا حتى التكلم باللغة الكوردية وارتداء الزي القومي وتواصل الادعاء بكون الاكراد «اتراكاً جبليين»..

قامت في تركيا وايران ايضاً ثورات كوردية عديدة سواء قبل التقسيم او بعده،

سنتطرق لها بايجاز في القسم الثالث، واما في العراق فقد تطورت الحركة الكوردية تطوراً خاصاً لظروف تأريخية واجتماعية عديدة واتخذت مساراً جديداً بعد تكوين الدولة العراقية واستتبابها. ففي رأي الباحثين[٤٣] انه «اذا كانت الحركة الكوردية بعد الحرب العالمية الاولى تهدف لإنشاء دولة كوردية مستقلة شأنها في ذلك شأن الحركة العربية، فان اربعين سنة من التعايش بين الشعبين العربي والكوردي في العراق تحت ظل دولة واحدة وتحمل الشعبين معاً في مصالحهما وحريتهما وأوضاعهما الاجتماعية والاقتصادية العواقب الوخيمة للسياسة الرجعية التي كانت تسلكها الحكومات العراقية المتعاقبة، ونشوء، ثم تشابك المصالح المشتركة لهما، كل ذلك اوجد الشروط الموضوعية اللازمة لظهور وتطور نضال عربي-كوردي مشترك يهدف للإطاحة بالرجعية والدكتاتورية ولإنشاء جمهورية عراقية ديمقراطية تعترف ضمن حدودها بالإستقلال الذاتي لكوردستان، فهناك مسائل مشتركة للعرب والاكراد في العراق تحتم نضالاً مشتركاً لرفع الظلم وسحق الفاشستية، وهنالك بالنسبة للأكراد مسألة كوردستان الوطنية، وبقدر تفهم العرب للمسألة الثانية الخاصة بالشعب الكوردي واستعدادهم للمساهمة في حلها، يزداد النضال المشترك رسوخاً وقوة وتنقلب الاخوة العربية-الكوردية من شعار الى حقيقة قائمة على قواعد ثابتة تعبر عن العلاقات التاريخية القديمة بين هذين الشعبين وتخدم مصالحهما المشتركة أو الخاصة.وهذا ما ادركته تماماً اوساط وطبقات واسعة ومتزايدة من ابناء هذين الشعبين الجارين في العراق، والى تفهمه ندعو ابناء الشعب العربي في العالم العربي أجمع.

الحكم الذاتي أم دولة كوردية مستقلة؟

قبل مواصلة الحديث نرى لزاماً أن ندعو القارىء العزيز الى عدم الخلط بين ما قمنا به حتى الآن، وما سنقوم به لاحقاً، من عرض الحقائق التاريخية والجغرافية من جهة وبين الاحزاب والقوى الكوردستانية العاملة واهدافها السياسية من جهة اخرى. اذ من خلال الحقائق والاحداث يتضح سر التعقيد والتشابك في القضية الكوردية، كما هي عليه اليوم، وبالتالي سر المآسي وتكرارها في المجتمع الكوردي. وأما الحلول التي تطرحها الاحزاب والمنظمات الكوردية فهذا شيء آخر، قد يتعلق بعضها بمسائل سياسية وايديولوجية. وكعرض للحقائق ايضاً.. هنالك الحل المطروح الذي ذكرناه آنفاً،

حكم ذاتي لكوردستان ضمن حدود البلد الذي يعيش فيه الشعب الكوردي. يطرح هذا الشعار في العراق، كما في ايران، ومن قبل بعض الاحزاب الكوردية في تركيا ايضاً.

وهناك من يطالب بدولة كوردية مستقلة، فهناك اوساط كوردية كانت سابقاً تؤيد الحل (الاتونومي-الحكم الذاتي) صارت الآن تدعو الى تجاوز هذا الطرح سواء بسبب طبيعة ذلك الشعار وطبيعة القوى السياسية التي تناضل من أجله، أو بسبب اليأس من تحقيقه وفق الصيغ المطروحة ضمن الشروط الاجتماعية والسياسية الاقليمية والدولية القائمة، فتدعو الى رفع شعار دولة كوردية مستقلة، وشن حرب شعبية طويلة الأمد من أجل ذلك.

علماً ان هناك اجماعاً بين فصائل الحركة الكوردية في كافة الاجزاء على حق الأمة الكوردية في تقرير مصيرها بنفسه. لكن، كما يقول كاتب كوردي[٤٤] فأن حق تقرير المصير هو مسألة اختيار فحسب، وان هذا المفهوم يفقد معناه اذا عجز الشعب عن الأختيار، ان كان هذا الأختيار على صعيد العلاقات الدولية او على صعيد إختيار شكل الحكم الذاتي، الذي يرتأيه على الصعيد الداخلي. وينتهي الكاتب الى القول بأن امام الشعب الكوردي خيارين، النضال من اجل اقامة دولة مستقلة على ارضه. وهذا يأخذ بعداً عالمياً، أو النضال من أجل الحصول على حقوقه القومية ضمن الدول التي يعيش فيها على اساس من المساواة والعدالة، ان كان كلا الخيارين لم يعترف بهما، لا دولياً ولا من قبل الحكومات المركزية المعنية.

ويرى بأنه في حالة الخيار الاول، على الشعب الكوردي ان يمتلك حركة سياسية موحدة، والاعتماد على المساعدات من الدول التي تعترف بالحركة الكوردية كحركة تحررية تواجه وضعاًمعقداً، خلقته الدول الاستعمارية (بريطانيا وفرنسا)، واللتان جزأتا كوردستان وأن نضال الكورد كان ولايزال موجهاً ضد تلك السياسة ونتائجها.

وفي حالة الخيار الثاني، عليهم جلب انتباه المنظمات الدولية لخرق حقوق الانسان الذي يتعرض له الشعب الكوردي في الدول المتقاسمة لكوردستان. والنضال من أجل الديمقراطية في تلك البلدان بالتعاون مع القوى الديمقراطية والثورية الاخرى الغير كوردية.

فهناك الحل الديمقراطي أي النضال في سبيل حقوق الشعب الكوردي من خلال

انتصار الديمقراطية في المنطقة (على مستوى كل بلد فيه اكراد وعلى مستوى المنطقة)، ولايرتبط هذا الحل، في الحقيقة، بدرجة الشعار القومي المرفوع (حكم ذاتي، فدرالي، أو دولة مستقلة) بقدر ما يتعلق بالمضمون الاجتماعي للفصائل التي ترفعه، فهو مرتبط اساساً بأخذ الظروف الجيو-سياسية الموضوعية القائمة بنظر الاعتبار من جهة، والحفاظ على العلاقات الاخوية والكفاحية مع الأمم والشعوب الاخرى التي تعيش الى جوار الأمة الكوردية من جهة اخرى بما فيه مصالح الجماهير الشعبية لكل بلدان المنطقة. بعضهم يتصورون ان الحل الديمقراطي يعني بالبداهة «حكماً ذاتياً» أو ما أشبه، في حين ان دعاة هذا الحل لايغفلون لحظة الحق المشروع للأمة الكوردية في تقرير المصير بما فيه الاستقلال.

ان الحركة التحررية الكوردية وفي جميع أجزاء كوردستان تعتبر حركة ذات مضمون ديمقراطي لأنها منبثقة من طموحات الأمة الكوردية الى التحرر والوحدة القومية وموجهة ضد الاضطهاد القومي وضد الاستعمار وعملائه، لذا فان الحركة القومية للشعب الكوردي هي حركة تأريخية موضوعية منبثقة من صميم مجتمع كوردستان تلبيةً لضرورات تطوره ومستلزمات تقدمه، وهي حركة تحررية لأنها تستهدف التحرير من سيطرة الغاصبين وتحقيق الاهداف القومية المشروعة. كما انها حركة ثورية ايضاً لأنها معادية للأستعمار والقوى الرجعية والشوفينية المعرقلة للتطور الاجتماعي وتستهدف اجراء تغيير جذري في المجتمع وهي بهذا المعنى حركة تقدمية ايضاً، وعلى هذا الاساس ينبغي لحركة الجماهير التركية والايرانية والعربية (في نفس الوقت الذي تنتهج فيه سياسة تحررية تقدمية) ان تؤازر وتشجع حركة النهوض القومي الكوردي الرامية الى التحرر والوحدة لأن الحركة حليف لاغنى عنه لحركة التحرر الوطنية لهذه الشعوب.

فبدون مساهمة الشعب الكوردي الموجود في هذه الدول ضد الاستعمار والاحلاف المعقودة بينه وبين الحكومات الرجعية والبرجوازية الشوفينية على حساب شعوب المنطقة لايمكن ان تتحقق الديمقراطية ولايمكن ان تتحرر هذه الدول أو يكون بمقدورها اللحاق بركب الدول المتحررة.وليس امام حركة الشعب الكوردي من اجل التحرر القومي اقتصادياً وسياسياً سوى سبيل المشاركة الإيجابية في حركة الشعب الايراني

والشعب التركي والشعب العربي، وعلى الشعب الكوردي أن يؤمن بأنه لايمكن حل المشكلة الكوردية ونيل حق تقرير المصير للأمة الكوردية بدون الديمقراطية، لأن تسوية المشكلة الكوردية تعتمد على انتصار الديمقراطية في المنطقة ولايمكن ان تكون هناك ديمقراطية ان لم تحل المشكلة الكوردية لأن المشكلة القومية والديمقراطية مرتبطتان ارتباطاً لايمكن حل احداهما بمعزل عن الاخرى[٤٥].

هنا يرتبط التحرر القومي بالتحرر الاجتماعي إرتباطاً وثيقاً لاينفصمان. بمعنى آخر أن الجماهير الشعبية في المنطقة هي التي (حين تنتصر ارادتها) تحل المشكلة القومية والديمقراطية معاً. فالديمقراطية هنا تعني التحرر الكامل لجماهير بلدان المنطقة لتقيم بينها اتحاداً طوعياً اختيارياً، او حتى اذا شكلت الأمة الكوردية كيانها القومي فانه لن يكون على حساب تقدم بقية الأمم، بل يكون لصالح هذا التقدم. فالحل الديمقراطي - بهذه الصيغة- هو حل قومي بمضمون اجتماعي تقدمي، يرسم نهجاً تحررياً للكفاح من أجل الوحدة القومية على اساس شعبي. هناك اذن طريقان للحل تطرحهما فصائل الحركة الكوردية: اولاً: الحل الديمقراطي، بالمشاركة الايجابية في كفاح جماهير شعوب المنطقة، وهو الحل التحرري الذي سيوصل الى النصر بأقل التضحيات، وهو أحسن السبل أمانة وصحة وضماناً، يأخذ مصالح الجماهير الشعبية الكوردية وارادتها كذلك مصالح جماهير بقية أمم المنطقة، بنظر الاعتبار. الحل الثاني هو الحل الانعزالي القومي الذي يعزل الحركة الكوردية عن كفاح بقية الشعوب، وهو حل (مثلما أكدت الحياة) يجر المصائب والويلات على الأمة الكوردية قبل غيرها ولايأخذ مصالح الجماهير الشعبية بنظر الاعتبار. ويزداد هذا الحل خطورة وضرراً كلما تعقدت الظروف الموضوعية للحركة الكوردية، وقد يفضي الى وقوع الحركة فريسة للمخططات الامبريالية الرجعية وطعماً لها.

اما الحكومات التي تتحكم بالشعب الكوردي في بلدانها فكان ولايزال امامها حلاّن: اولاً: الحل السلمي الديمقراطي، بالأستجابة للحقوق القومية والديمقراطية للشعب الكوردي بما فيها حق تقرير المصير، كي يأتي اتحاده مع بقية الشعوب (أن اختار هذا الاتحاد) اتحاداً طوعياً اختيارياً حراً. وفي المراحل الاولية فان اعطاء اي درجة من الحقوق الثقافية والادارية والاجتماعية للكورد (الادارة الذاتية، الحكم الذاتي.. الخ) هو

اجراء ديمقراطي ويخدم وحدة الكفاح المشترك للجماهير الكوردية وجماهير القوميات الاخرى، لاسيما ان تم تحقيق هذه الاجراءات في ظل انظمة وطنية ديمقراطية حقة. اما الحل الثاني للحكومات فهو الحل العسكري، الحل القمعي–الارهابي، ومحاولة صهر القومية الكوردية، انكارها، طمس كافة حقوقها، ضرب كفاحها التحرري بقوة الحديد والنار والمشانق، وهو الحل الذي استعملته الحكومات أكثر من الحل الاول. واثبتت الحياة بأنه حل فاشل. هذا اولاً، وثانياً لايستطيع الغاء الوجود القومي لأمة تضم ملايين الناس، ولم يعد بأمكان أية حملة ابادة ان تقتلع مثل هذه الأمة من الوجود، اضافةً الى أن هذا الحل الشوفيني عار ويعود بالويلات والكوارث على القوميات السائدة ايضاً وليس على الكورد وحدهم، مثلما أنه حل رجعي يعيق التحرر النهائي لتلك القوميات وتقدمها مثلما يعيق تقدم الكورد. ومن شأن هذا الحل ان يعزز الاتجاهات الانعزالية، القومية في صفوف الحركة الكوردية، فتفتح الثغرات أمام الاستعمار. فأعمال الحكومات تتحمل مسؤولية اساسية في الكوارث.

اذن، امام المناضلين الكورد ان يدافعوا عن الحل الديمقراطي التحرري لقضيتهم، اما المناضلون العرب والايرانيون والترك فعليهم أن يدافعوا عن الحل السلمي الديمقراطي للقضية. هذا هو الطريق الى الاتحاد الكفاحي بين جماهير المنطقة قاطبة. ان هذا الموضوع –بالنسبة للحركة الكوردية– يمس موضوعاً حساساً، وهو معسكر اصدقاء واعداء الحركة، حيث أكدت الحياة بأن اصدق واقرب حلفاء الحركة هي شعوب المنطقة وحركاتها التحررية ومعسكر التحرر والتقدم في العالم. اما الاعداء فهو معسكر الامپريالية العالمية بزعامة الولايات المتحدة الامريكية والقوى والانظمة العنصرية والرجعية والدكتاتورية.

ان انتصار أمم وشعوب منطقتنا، انتصاراً نهائياً على الامبريالية والتخلف، مرهون الى حد كبير بالأحترام المتبادل للحقوق القومية والديمقراطية لبعضها البعض، وتأكيداً على صحة الحل الديمقراطي التحرري، الذي ينبغي للحركة الكوردية ان تتبناه، نشير الى أنه نتيجة للمشاركة الايجابية للجماهير الكوردية في كفاح بقية شعوب المنطقة فقد صار يتشكل، في اوساط هذه الشعوب، رأي عام ديمقراطي مساند ومؤيد للقضية الكوردية، مثلما نراه بوضوح في اوساط حركة التحرر الوطني العربية.

ذلك هو السبيل الى التآخي العميق بين الشعوب، الى الصداقة والتضامن بينها، الى الازدهار الحر للشخصية القومية لكل شعب، لكل أمة.. الى التقدم والسعادة للجميع.

هنا نعود الى موضوع البحث، التحالف الكفاحي العربي–الكوردي، وأهميته سواء حيثما يعيش الكورد والعرب معاً، أو على مستوى المنطقة كأمة كوردية وأمة عربية. أليس هذا اقرب الى مايقوله القذافي عن الأمة الكوردية:«يجب أن تحترم هذه الامة... ويجب أن تستقل هذه الامة، وأن تقام معها علاقات صحيحة على اساس انها امة مستقلة..»[٤٦]؟

أعتقد أن ذلك الطريق هو الذي يفضي الى أنشاء هذه «العلاقات الصحيحة»، كذلك يؤدي الى ما يقوله حول «اقامة دولة كوردية مستقلة على الاراضي الكوردية في الشرق الاوسط تتحالف مع الدول العربية وأيران وتركيا»[٤٧]، و«الاكراد يجب أن يكونوا أمة كوردستانية في تلك المنطقة، وتكون هذه الأمة شقيقة للأمة العربية، والأمة التركية، وتأخذ مكانها على قدم المساواة مع هذه الأمم»[٤٨]. واما الطريق الى ذلك فهو انتصار الحرية، الى أن تمتلك جماهير المنطقة ارادتها بحيث تستطيع ان تجسد قول القذافي:«ينبغي أن نترك للأكراد الحرية في أقامة دولة لهم على ارضهم ونتيح الفرصة لتجميع أنفسهم»[٤٩].

ومَنْ، غير الجماهير الشعبية المتحررة من الاستغلال والاستبداد والعسف والاستعمار ومخلفاته، يستطيع كسر كل القيود حتى يبلغ به الأمر حد «ترك الحرية» لأمة مقهورة معذبة لتجمع نفسها وتؤسس كيانها؟؟

اما حين لايتحقق ذلك فالدمار يهدد الجميع.

لا سلام في المنطقة بدون حل القضية الكوردية، مثلما لا سلام بدون انتصار ارادة الشعب العربي الفلسطيني في التحرر وتقرير المصير واقامة دولته الوطنية على ارضه.

يقول القذافي:«ان الاكراد قد يجدون انفسهم مرغمين على مقاومة كل دولة من الدول المحيطة بهم تنكر عليهم حقهم في الوجود..» و«ان معارك الاكراد ستستمر الى أن يعيدوا تجميع انفسهم ويقيموا دولة مستقلة»[٥٠].

عدم حل القضية الكوردية لايجلب الكوارث على الأكراد وحدهم بل على بقية الشعوب المتجاورة معهم ايضاً، فالحروب التي قامت بها الامة الكوردية، والتي لاتزال قائمة بهذا

الشكل او ذاك، من اجل ابسط حقوقها في هذا الجزء او ذاك من كوردستان، الحقت اضراراً بالغة ببقية الأمم ايضاً. مثلاً ان ثورة الشيخ سعيد پيران في كوردستان تركيا عام ١٩٢٥ كلفت الحكومة التركية أكثر من (٥٠) مليون ليرة تركية، وان القتال في كوردستان العراق اواسط الستينات كان يكلف الحكومة العراقية حوالي نصف مليون دينار عراقي يومياً، في ظروف كانت الاوضاع المالية لتركيا والعراق سيئة، يضاف الى ذلك الخسائر البشرية التي لاتعوض والعواقب السياسية والأجتماعية، واعاقة التطور الاقتصادي والاجتماعي لهذه البلدان، وما ينجم عن وقوعها دوماً تحت الضغوط والهيمنة الامبريالية... الخ!

ان شعوب المنطقة، وهي تتجرع هذه العذابات المريرة، انما تدفع ثمن نتائج السياسة البريطانية الخبيثة ونفاقها، ثمن تقسيم كوردستان وتقسيم الوطن العربي، وضرب مصالح بقية الأمم عن طريق الاحلاف والاتفاقيات الاستعمارية.

فينبغي مواجهة النتائج الأليمة، التي قد تزداد دخامة، لنفاق السياسة الامبريالية (لاسيما البريطانية منذ الحرب العالمية الاولى) بتوحيد كفاح شعوب المنطقة واستنهاض جماهيرها الواسعة لخوض هذا الكفاح بلا هوادة.

تكتب صحيفة «الزحف الأخضر»[٥١]: «ان الجماهير العربية الحرة كانت ولازالت تعتبر أن بريطانيا هي المجرم الاول فيما يخص القضية العربية ومن هنا تصبح عدواً تاريخياً للأمة العربية. وهذا تؤكده وقائع واحداث تأريخية ابتداءً من تقسيم الوطن العربي واحتلاله، الى منح فلسطين لليهود لأقامة دويلة صهيونية على انقاضها، الى العدوان العسكري المباشر كما حدث في العدوان الثلاثي على مصر عبدالناصر سنة ١٩٥٦م..».

القضية الفلسطينية والقضية الكوردية:

لدى التمعن في ظروف الحرب العالمية الاولى وما بعدها نرى ما اخذته السياسة الاستعمارية خاصةً السياسة البريطانية (التي ورثتها الأمپريالية الامريكية) من اسباب للعذاب والقهر والمرارة تتجرعها شعوب المنطقة حتى اليوم...

على يد نفس العدو المشترك وفي نفس الظروف تم تقسيم كوردستان، وتم تقسيم الوطن العربي، وفيما بعد تشريد الشعب العربي الفلسطيني واغتصاب وطنه.

وعد بلفور المشؤوم اعطته بريطانيا للصهاينة.

وتقسيم كوردستان احدثته، اساساً، بريطانيا... بالتعاون مع رجعيات المنطقة.

جذور مأساة الشعب الفلسطيني تعود الى ذلك الوعد الاستعماري. وجذور مأساة الامةالكوردية في العصر الحديث تمتد الى ذلك التقسيم الذي نشأ تلبية للمطامح الاستعمارية في ثروة كوردستان وموقعها الستراتيجي.

فالسياسة البريطانية حالت دون قيام دولة عربية موحدة بعد الحرب العالمية الاولى... ونفس السياسة حالت دون إنشاء كوردستان موحدة..

فوق كل ذلك فان نفاق السياسية الاستعمارية (سواء البريطانية او وريثتها الامريكية) سعى ولازال يسعى لوضع الشعوب مقابل بعضها البعض، ضرب الواحد منها بالآخر، لأعاقة توحيد كفاحها وتطورها،كي تظل ثروات المنطقة وقدراتها عرضة للنهب الأمپريالي.

بعد حوالي سبعين عاماً لازالت شعوبنا تتجرع كؤوس نفس المرارة..

فتقسيم كوردستان قد شكل عقبة كأداء أمام تطور الشعب الكوردي من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من أجل توحيد الامة الكوردية..

وتقسيم الوطن العربي خلق الشيء نفسه بالنسبة للأمة العربية..

ووعد بلفور الذي نشأت عليه اسرائيل.. آلام اخرى فوق كل المرارات.

لذا كان تعاطف القضيتين الكوردية من جهة والعربية لاسيما الفسلطينية من جهة اخرى مع بعضهما تعاطفاً صميمياً ينبثق من وحدة الشعور بالمصير المشترك، والوقوف بوجه عدو مشترك خلق لهما مآسي وآلاماً مشتركة.

نادراً ما تجد شاعراً كوردياً معاصراً لم يتغن بفلسطين وثورتها.. فموضوع «فلسطين في الشعر الكوردي» سيكون مادة كتاب بكامله لو أهتم به أي مثقف كوردي.

فالشعراء والادباء الكورد، ناهيك عن المنظمات والاحزاب الكوردية، كتبوا الكثير دفاعاً عن فلسطين، عن ثورة الجزائر، عن السويس ومصر عبدالناصر، وعن القضايا العربية التحررية الأخرى..

يضاف الى ذلك حب الاكراد للقدس كبقية المسلمين، القدس القبلة والرمز وذكرى انتصار القائد الكوردي صلاح الدين الايوبي.

فكانت فلسطين وستظل احدى المقومات الاساسية للكفاح العربي-الكوردي المشترك، ويدرك الشعب الفلسطيني ذلك، فكانت منظماته وقادته يقفون -في احلك الظروف- الى جانب القضية الكوردية ويندِّدون بأي اجراء شوفيني ضد الشعب الكوردي[٥٢] حتى ولو كان من قبل حكومة عربية، في العراق مثلاً، بل لاسيما اذا كان من قبل حكومة كهذه، حتى أن احد القادة الفلسطينيين قال لأحدى القوى الكوردية:«الثورة الفلسطينية تندلع من جبال كوردستان» مشيراً الى العلاقة الموضوعية بين الحركة التحررية الكوردية والثورة الفلسطينية، بل والقضية العربية عموماً».

والى مثل هذه العلاقة يشير القذافي:«لا أملك إلاّ الانحياز الى جانب الأمة الكوردية واستقلالها ووحدة اراضيها.. وهذا الكلام عندما يرسل الى المكافحين الاكراد...»، «سيجعلهم حتماً ينحازون.. الى جانب الأمة العربية وقضيتها ويصبح الكفاح مشتركاً»[٥٣].

وانتصار القضيتين الكوردية والفلسطينية متعلق، بهذا الشأن أو ذاك، بأنتصار الديمقراطية، إنتصار إرادة الجماهير الشعبية، في بلدان المنطقة. والقضيتان تعملان موضوعياً على تثوير المنطقة، مثلما أن تقدم الثورة فيهما بإتجاه إنتصار الديمقراطية يقربهما من الحل. فهما بالتالي قضيتان تحرريتان كبيرتان على مستوى المنطقة والعالم، مع ما لكل منهما خصوصيتها والمستوى الخاص لتطورها ومداها.

مرحلة ثانية من الكفاح العربي- الكوردي المشترك

عانت الأمتان العربية والكوردية معاً عذابات مريرة طوال العهد العثماني، ثم على يد الاتحاديين، مجازر جمال پاشا ورفاقه ضد أبناء الأمتين وسائر الأمم الرازحة تحت النير التركي آنذاك، ثم ويلات الحرب العالمية الاولى، وبعد ذلك التقسيم، تقسيم كوردستان والبلاد العربية على يد المستعمرين الانگليز والفرنسيين. وخاض أبناء الأمتين كفاحاً مشتركاً ضد كل هذه القوى. ويذكر ان الشيخ محمود الحفيد، ملك كوردستان الجنوبي في بداية العشرينات، كان قد استغل ضعف وانهيار الأتراك في نهاية الحرب فحاول ضربهم وعقد علاقات مع اعداء الدولة التركية فكتب الى شريف مكة الشيخ حسين بن علي طالباً منه الاتحاد والتكاتف والكفاح معاً ضد التسلط التركي[٥٤]. وبعد الاحتلال البريطاني فان العرب والاكراد ثاروا ضده. واول من ثار هو الزعيم الكوردي الشيخ محمود الحفيد في آيار١٩١٩، كما سبق الحديث عنه. ثم اندلعت ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني في وسط وجنوبي العراق في ايار-حزيران١٩٢٠.وتؤكد الوقائع على ان جماهير كوردستان قد انتفضت، هنا وهناك، ضد الأنگليز في الفترة ذاتها. وفيما بعد لاسيما عام ١٩٢٢م ثار الشيخ محمود الحفيد ضدهم مرة اخرى مما حدى بالقوات البريطانية الى محاصرة مدينة السليمانية، العاصمة الكوردية آنذاك، وضربها بالقنابل والبطش بأبنائها.

كانت تلك مرحلة أولى للكفاح العربي-الكوردي المشترك..

المرحلة الثانية تبدأ حين ثبت دخول العراق الى عصبة الأمم عام ١٩٣٢، وضعه من الناحية الدولية-القانونية وحدد حدوده بالشكل المعروف والتي تشمل على كوردستان الجنوبية-كوردستان العراق... هذا الواقع -كما يقول باحث عراقي- «واقع وجود الاكراد مع العرب ضمن اطار دولة واحدة، الدولة العراقية، والاعتراف بهذا الواقع من الناحية الدولية والحقوقية، أوجد ظرفاً موضوعياً هاماً صار لزاماً على الحركة الوطنية

الكوردية والعراقية عامة آخذة بكامل الاعتبار عند رسم المهام الاساسية التي تواجهها».

«هذا بالرغم من ان اتحاد العرب والاكراد ضمن اطار دولة واحدة لم يكن نتيجة الارادة الحقيقية لهما يعبر عنها باسلوب ديمقراطي شعبي»[٥٥].

ذلك هو احد الأسس التي بموجبها صيغ فيما بعد شعار (الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكوردستان)، والذي ترفعه الآن الحركة الوطنية العراقية، بما فيها الحركة الكوردية في العراق.

خاضت حركة الجماهير العربية والكوردية وقواها الديمقراطية نضالاً شاقاً حتى تم تثبيت ذلك الشعار الذي يحتوي ضمناً على الكفاح العربي-الكوردي المشترك في العراق، على الاخوة العربية-الكوردية.

ولم تتوصل القوى الوطنية العراقية المختلفة الى ذلك في وقت واحد وبدرجة واحدة، بل تخلف بعضها عن ذلك كثيراً. وظلت قوى عربية قومية تتنكر للحقوق القومية الكوردية وتمارس ازاء الكورد نهجاً شوفينياً واستعلائياً، هذا النهج كلف الشعب العراقي غالياً ومازال يدفع ثمنه، خلف جروحاً عميقة، ان لم تكن تتعمق حتى اليوم.

كنبذة عن التطور الايجابي لصالح الكفاح العربي-الكوردي نذكر ان ابراهيم احمد[٥٦] (وهو سياسي كوردي) اصدر في الثلاثينات كتاباً عن الاخوة العربية - الكوردية، أحيل بسببه الى المحاكمة.

وان (جماعة الاهالي) التي أسسها مناضلون عرب في العراق وبدأت العمل في ١٩٣٥م كان لها دور هام في نشر الافكار الديمقراطية، وكانت تنشر دائماً روح الاخوة بين القوميتين العربية والكوردية وبذلت مساعي كبيرة في سبيل ايجاد روابط أخوية متينة بينها وبين المثقفين والوطنيين الاكراد، فتعاون معها عدد من الطلبة والمثقفين الاكراد في بغداد وكوردستان، وأكتسب قادة الاهالي حباً واحتراماً عميقين بين الوطنيين والمثقفين الاكراد[٥٧].

وفي عام ١٩٤٥ ارتأى حزب شورش (الكوردستاني) الى الضرورة التأريخية لـ(إقامة جبهة وطنية موحدة في كوردستان العراق) على غرار (جبهة المقاومة) في فرنسا و(جبهة الايام) في اليونان و(جبهة تحرير الوطن) في يوغسلافيا، من جميع القوى

السياسية في كوردستان لقيادة وتوجيه الحركة التحررية الكوردية جنباً الى جنب مع الحركة الوطنية والديمقراطية في العراق ضد الاستعمار والرجعية والاقطاع[٥٧].

الحزب الشيوعي العراقي، في مؤتمره الوطني الاول الذي انعقد عام ١٩٤٥ أكد «على المساواة في الحقوق بين الشعبين العربي والكوردي وعلى الحقوق القومية للشعب الكوردي»[٥٨]. وفي آذار عام ١٩٥٣ طور الحزب سياسته وأكد على انه «يناضل من اجل تقوية الاخوة والوحدة في النضال بين القوميتين العربية والكوردية وسائر الاقليات القومية ضد النظريات الطائفية والشوفينية ولأنهاء الحكم الاستعماري في العراق» كما واعلن «الاعتراف بحق تقرير المصير بما فيه حق الانفصال للشعب الكوردي»[٥٩].

كامل الجادرچي، سياسي عربي، شخصية وطنية عراقية بارزة، وقف الى جانب القضية الكوردية ودافع عن حقوق الشعب الكوردي، وهناك شخصيات عربية ديمقراطية عديدة تعاطفت مع هذا الشعب تعرض بعضها الى الملاحقة والسجن وحتى التعذيب بسبب هذا الموقف.

عموماً نلاحظ.. كلما كان التأييد العربي لحقوق الشعب الكوردي أكبر وأوسع كلما تعمقت اواصر الأخوة العربية-الكوردية. يقول القذافي:«عندما يرسل هذا الكلام الى المكافحين الاكراد.. سيجعلهم ينحازون الى جانب الأمة العربية..».

وعلى الصعيد العربي خارج العراق اعترف الامين الاسبق لجامعة الدول العربية عبدالرحمن عزام باشا في حديث ادلى به في تشرين الاول ١٩٤٣م بالعديد من الحقائق اتجاه القضية الكوردية في العراق فقال:«يجب علينا بذل مزيد من الاهتمام بالأخوان أكراد العراق. ان حبي وتقديري لأكراد العراق في مستوى حبي وتقديري لشعبي. ان الاكراد قوم مستقيمون ومخلصون وانهم لايرغبون في السيئات، لذلك فعليهم أن لايتصوروا ان الوحدة العربية تلحق الاذى بمصالحهم». وقال ايضاً:«ان مستقبل وتقدم العراق له صلة وثقى بحل المشكلة الكوردية. يجب على الامة العربية ان توفر لهم الامكانية والحرية ليقرروا مصيرهم معنا بصورة حرة، يجب أن لانترك المشكلة الكوردية في العراق دون حل»[٦٠].

في هذه المرحلة تنامى في صفوف الاكراد ايضاً وعي عال وشعور بأهمية الكفاح المشترك، ففي عام ١٩٤٥ اشتركت الجماهير الكوردية في بغداد وحزب رزگاري كورد

(خلاص او تحرير الكورد) جنباً الى جنب القوى الوطنية والديمقراطية العراقية، في المظاهرات التي سارت في شوارع بغداد لدعم الحركة التحررية في مصر ضد الاستعمار الانگليزي. وقد قدم (حزب رزگاري كورد) مذكرة[٦١] بهذا الشأن الى المسؤولين المصريين آنئذٍ قال فيها:

«بأسم الشعب الكوردي في العراق نكبر الروح الثورية المباركة في اخواننا المصريين الاحرار لإنتفاضتهم بوجه الاستعمار الانگليزي القائم، ذلك الاستعمار الوضيع الذي ادت سياسته الرجعية المنكرة الى ايقاع الملايين من الشعب الكودري تحت نير الاستبداد والظلم». و«لايغرب عن البال الاعمال المشينة التي قام بها الاستعمار اخيراً في اليونان والهند الصينية والهند. والآن يريد أن يمثل نفس الادوار المخزية في مصر..».

وأختتمت المذكرة بالقول:«اننا نرسل احتجاجاتنا الصارخة على جرائم قوات الاستعمار المنكرة، ونضم صوتنا الى صوت مصر الحرة في المطالبة بالجلاء التام عن وادي النيل وتعديل المعاهدة المصرية الانگليزية بشكل يضمن لمصر استقلالها السياسي والاقتصادي».

كان ذلك قبل اربعين عاماً..وكأنه اليوم (١٩٨٥) لم يتغير! فقد عبّرت الجماهير الكوردية وقواها الثورة مراراً عن التضامن مع نضال الشعب المصري المتصاعد ضد نظام كامب ديڤيد. هذه الاشارات المضيئة في تأريخ العلاقة بين العرب والاكراد تشير الى الجوهر التحرري للكفاح الشعبي العربي-الكوردي المشترك.

خلال ١٩٤٣-١٩٤٥ قاد مصطفى البارزاني ثورة كوردية واسعة بهدف الحصول على الاعتراف بالحقوق القومية المشروعة للأكراد في العراق. اشار البارزاني في تصريحاته الى الاخوة العربية الكوردية والى النضال المشترك من أجل الاستقلال والحرية ضد الاضطهاد والاستعمار. وقد جاء في احدى البيانات الصادرة عن الثوار «نحن لانحارب ضد الشعب العربي والتركي والايراني، فهم اصدقاؤنا.نحن نعلن بأن الاتحاد المقدس والشريف بين العرب والاكراد سيستمر في وجوده. نحن نعترف بحقوق العرب ونحترمها، وبنضالهم في سبيل التحرر من النير الاستعماري للحصول على الاستقلال التام. يجب علينا نحن الاكراد النضال مع الشعب العربي كتفاً بكتف

لأسقاط الحكم الدكتاتوري الرجعي الاستعماري»(انظر/بافيل ديمچنيكة/كوردستان العراق الملتهبة-الترجمة العربية ص٧).

موقف كوردي آخر..

كان قد تأسس في خريف ١٩٤٥ حزب تحرري كوردي -كما قلنا آنفاً- عرف بأسم حزب «شورش/الثورة» على اسم جريدته المركزية «شورش». وضع الحزب في مقدمة مهامه ضرورة وحدة جميع القوى الوطنية والديمقراطية في العراق، وقد جاء في بعض بنود منهاج الحزب التأكيد على:

- تقوية وترسيخ روابط الاخوة والكفاح المشترك بين الشعبين المناضلين العربي والكوردي في سبيل خلاصهما وتحررهما وبلوغ اهدافهما.
- الكفاح المشترك بين الشعبين العربي والكوردي في سبيل اقامة نظام ديمقراطي يراعى مصالح الشعب بصورة تامة.

وبذلك وضع الحزب أساساً لتحالف الحركة التحررية الكوردية مع القوى الوطنية والديمقراطية العراقية لأنقاذ البلاد من النظام الملكي المرتبط بالأمبريالية. وقد انضم اغلبية اعضاء هذا الحزب، فيما بعد، الى الحزب الديمقراطي الكوردستاني-العراق، الذي تأسس في آب ١٩٤٦.

كما انعكست مبادئ منهاج حزب «شورش» حول الكفاح العربي-الكوردي المشترك في منهاج الحزب الجديد.

الكفاح العربي-الكوردي المشترك في سورية:

ناضل الشعب الكوردي في سورية الى جانب الشعب العربي السوري في سبيل الاستقلال الوطني وقدم تضحيات غالية ضد الاستعمار الفرنسي منذ عام ١٩٢٠، ومن ثم ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية.

يشكل الشعب الكوردي حوالي ١١٪ من مجموع سكان سورية، يتوزع على محافظات الجزيرة وحلب والرقة ودمشق.

اثناء اعداد هذا الكتاب نشر في مجلة «دراسات اشتراكية» الصادرة في دمشق، السنة الثامنة العدد (٥٠) ١١/تشرين الثاني ١٩٨٥، مقال بعنوان (التآخي الكوردي

العربي في سبيل الاستقلال الوطني) بقلم «رمي شيخو الفرحة» (انظر الصفحات ٩٧–١١٨ من المجلة).

تكملة لموضوعنا الأساسي عن الكفاح العربي–الكوردي المشترك نقتبس –وبتصرف– بعض الوقائع الواردة في المقال الذي يشرح بوضوح جانباً من هذا الكفاح في سورية، منذ نهاية الحرب العالمية الاولى.

دخلت القوات الفرنسية المحتلة دمشق في ٢٥ تموز ١٩٢٠، وتوجه قائدها الجنرال (غورو) الى ضريح القائد الكوردي الشهير صلاح الدين الايوبي، الكائن في دمشق، وخطب امامه قائلاً:«ها نحن يا صلاح الدين قد عدنا». وكان بذلك يرد على صلاح الدين حين قال للصليبيين، بعد دحرهم في القرن الثاني عشر الميلادي:«انكم خرجتم من الشرق ولن تعودوا اليه». وقد سبق للجنرال اللنبي الانكليزي هو الآخر ان قال عندما دخل مدينة القدس:«الآن انتهت الحروب الصليبية».

منذ الايام الاولى تصدى المجاهدون الابطال عزالدين القسام والشيخ صالح العلي وابراهيم هنانو وأحمد مريود وسلطان الاطرش ومحمد الاشمر وغيرهم على رأس الجماهير العربية والكوردية، تصدوا لقوات الاستعمار الفرنسي ببسالة. من اوائل من ثاروا ضد الفرنسيين هو القائد الكوردي ابراهيم هنانو (مثلما ان اول زعيم وطني ثار ضد الانكليز في العراق هو الشيخ محمود الحفيد «الكوردي» عام ١٩١٩). لانقول ذلك من باب التفاخر القومي او الاستعلاء، بل من باب حرص الاكراد على مقارعة المحتلين والغزاة والمشاركة الايجابية في تحرر شعوب المنطقة من الامبراطوريات مثل الامبراطورية العثمانية (١٤٥٣–١٩٢٤) والاستعمارين الانكليزي والفرنسي ، كي نبين بأن شعباً مضحياً كالشعب الكوردي كان ينبغي –ولازال الأمر يستوجب– مكافأته على نضالاته التحررية بإنصافه ومنحه حقوقه القومية المشروعة.

استناداً الى المقال، كتبت جريدة «تشرين» السورية في ١٩٨٤/٤/١٧:«في جبل الزاوية قام زعيم الثورة السورية في الشمال، ابراهيم هنانو، بثورة ضد الفرنسيين، مؤازرين بذلك مجاهدي دمشق وجبل العرب وجميع المحافظات السورية، وشكل الزعيم الوطني ابراهيم هنانو ٤ فرق عسكرية. وفي ١٦ ايلول ١٩٢٠ اعلن الثورة على الفرنسيين رسمياً».

تعاون معه صالح العلي وانتصر الثوار في معارك عديدة على المستعمرين. وقد قام الزعيم ابراهيم هنانو باتصالات عربية وغير عربية لدعم الثورة مع الامير عبدالله وقادة عرب آخرين واتراك،ولكن لم يجد منهم الا المماطلة والخذلان، حتى القت السلطات البريطانية القبض عليه في القدس بطلب من الجنرال الفرنسي غورو، الحاكم الفرنسي في سورية آنذاك. وقدم الى المجلس العسكري الفرنسي الذي تولى محاكمته، حيث دافع ابراهيم هنانو عن نفسه بشجاعة وشموخ مدافعاً عن حق ابناء سورية في الثورة وتحرير بلادهم، وقال للحكام:«انتم غرباء عن هذا البلد، معتدون. ولاحق للمعتدي الغاصب ان يحاكم الابرياء»، فلم تجد المحكمة مناصاً من تبرئته فأطلقت سراحه ليبدأ نضالاً سياسياً أشد ضراوة.

عام ١٩٢٥ قامت ثورة جبل العرب بزعامة سلطان باشا الاطرش، عندها اتصل ابراهيم هنانو بالمقاتلين الاكراد وطلب اليهم اشعال الثورة من جديد في شمال سورية، وبهذا كان عوناً لثوار جبل العرب والغوطة.

توفي الزعيم ابراهيم هنانو عام ١٩٣٥ اثر مرض عضال.

أما في دمشق، أثر الاحتلال الفرنسي لها، فقد وصل المجاهد الكبير أحمد مريود واتفق مع اخيه خليل مريود وابو دياب البرازي (كورد من حي الاكراد في دمشق) الذي كان مجاهداً بارزاً مع ٣٠ مسلحاً، فوضعوا خطة لأغتيال الجنرال الفرنسي غورو، فاطلق النار عليه وقتل مرافقه. كانت هذه العملية ايذاناً ببدء المعارك مع الفرنسيين في دمشق، لعب الاكراد فيها دوراً بارزاً، وبرز اسم حي الاكراد كقلعة حصينة موحدة ضد الغزاة، وبرز مجاهدون اكراد امثال احمد بارافي وابو دياب البرازي وغيرهم الذين أطلقوا الرصاص على الجنرال الفرنسي، وبذلك شاركوا الجماهير العربية مشاركة مشهودة في محاربة المحتلين.

عام ١٩٢٥ ظل المجاهد الكوردي احمد بارافي يساعد الثوار الدروز في غوطة دمشق، ثم التحق مع مجموعة من اقربائه المسلحين بالثوار تحت قيادة محمد شريف ملي في قرية (سعسع)، فأعلنوا ليلة ٢٢ آذار ١٩٢٦ ثورة خططوا لها بدقة فدخلوا «قطنا» دون تعاون. وكانت صلات هذا المجاهد مستمرة مع الثوار الوطنيين في غوطة دمشق وزعيمهم ابوعمر ديبو، كما كان له ولغيره من المجاهدين الاكراد دور بارز في

نجدة ثوار (جبانا الخشب).

كما يذكر ان المجاهد الكبير ابو مريود حين عاد من العراق الى دمشق لمواصلة الجهاد ضد الفرنسيين قرر الاقامة في حي الاكراد لمعرفته بالروح الوطنية العالية لأبناء الحي وبسالتهم.

لقد امتزجت دماء العرب والكورد في هذه المعارك الوطنية تعبيراً عن التآخي العربي الكوردي، واستبسلت المرأة الكوردية ايضاً، ونذكر السيدة فاطمة احمد الاومري والدة المجاهد احمد بارافي، التي ساهمت في معركة ١ آب ١٩٢٦ ضد هجوم القوات الفرنسية على حي الاكراد، حتى اعتقلها الفرنسيون وهددوها بالأعدام لولا ان بعض الجنود المغاربة في الجيش الفرنسي سهلوا لها الفرار من الاعتقال. هكذا كان تلاحم العرب والكورد يرتاد ميادين اخرى، الى ابعد نقاط المغرب العربي.

في محافظة الجزيرة شمال شرقي سورية انتفض العرب والكورد معاً في طريق عام ١٩٢٦ وتصدوا للقوات الفرنسية بقيادة (روكان) الذي قتل في المعركة، كما استشهد وجرح عدد كثير من الثوار. وقد تحررت المنطقة عملياً فبقيت بدون ادارة حتى اواخر عام ١٩٢٧ حين عاد الفرنسيون اليها بأسلوب ماكر، أسلوب (فرق تسد) بإثارة النزعات العشائرية والاقليمية وشراء ذمم وضمائر بعض رؤوساء العشائر من مختلف القوميات، اما الجماهير الفلاحية، العربية والكوردية، فقد ظلت أمينة على نهج المقاومة الوطنية ضد الجيش الفرنسي وعملاء فرنسا بوسائل مختلفة ونشاطات متنوعة.

وفي عام ١٩٣٧ جرى صدام مسلح بين الجماهير الكوردية بقيادة سعيد آغا الدقوري من جهة والقوات الفرنسية في مدينة عامودا من جهة اخرى، فالحقت الهزيمة بالفرنسيين الذين استنجدوا بطائراتهم الحربية لإخماد الانتفاضة في عامودا والقامشلي وقصفت المواطنين بوحشية فاستشهد وجرح عدد كبير منهم.

في عام ١٩٣٦-١٩٣٧ لعبت الجماهير الكوردية، لاسيما عشيرة الكابارا بقيادة زعيمها شيخموس الهسد مع باقي القبائل، دوراً بارزاً في التحالف الوطني العربي-الكوردي في محافظة الجزيرة لمقاومة وافشال السياسة الفرنسية الرامية الى تفتيت الوحدة الوطنية السورية. ونتيجةً لهذه المقاومة تعرضت القبائل الكوردية الى الاكراه ومصادرة الاراضي وفرض الغرامات الباهظة لأرجاعها عن الطريق الوطني.

في اعوام ١٩٤٢-١٩٤٤ جرت اصطدامات مسلحة بين الجماهير الكوردية وقوات الاحتلال الفرنسي في قرية حلوة في منطقة القامشلي، ورأس العين، وديريك، والقامشلي مرة اخرى، وعامودا ومختلف مناطق محافظة الجزيرة.

أما في المناطق الكوردية الاخرى فقد ظهرت حركة هامة، حركة المريدين التي نشأت رداً على الاحتلال الفرنسي، وذلك في منطقة عفرين الكوردية في محافظة حلب، شمال سورية. تعتبر هذه الحركة جزءاً لايتجزأ من نضالات الشعب الكوردي ضد المحتلين، وكان لتطورها محتوى طبقي وسياسي، بكونها تكونت وترعرعت في ظروف نضالية واضحة ضد الاحتلال الفرنسي لسورية. ظهرت هذه الحركة في الميدان الوطني والسياسي عام ١٩٣٤ وقاومت الاحتلال بشن معارك قاسية الى جانب الثوار الوطنيين في سورية اثناء سفر الوفد السوري الى باريس عام ١٩٣٦ لأجراء المفاوضات مع الفرنسيين، حيث صعَّد الثوار مقاومتهم للأحتلال، مما اضطر الحاكم الفرنسي الى طلب عقد هدنة معهم، وكان يستهدف خدع الثوار وإخماد ثورتهم وإضعاف موقف الوفد الكوردي المفاوض الذي تكون من الشيخ علي قنوط والشيخ عرب كو، وقد رفض الثوار الاكراد الاذعان لشروط المحتلين، وفشلت المفاوضات ودامت ثورة الاكراد في منطقة عفرين مدة ١٥ عاماً سقط خلالها عدد كبير من الثوار.

وقد لعبت الرجعية المحلية دوراً قذراً في افشال حركة المريدين وذلك بتعاونها مع السلطات الفرنسية، والقيام نيابةً عنها بقتل وتشريد وتعذيب أهالي المنطقة.

اما بعد الحرب العالمية الثانية، عام ١٩٤٥ فقد نشبت إنتفاضات مسلحة ضد الاحتلال الفرنسي، وكانت المظاهرات والانتفاضات تطالب بجلاء القوات الفرنسية عن سورية. ففي محافظة الجزيرة حاصرت الجماهير العربية والكوردية الثكنات الفرنسية واستولت على ثكنات القامشلي وعامودا والدرباسية وديريك. فكانت محافظة الجزيرة اولى المحافظات السورية التي استقلت وطردت الجيش الفرنسي. بعد ذلك ايضاً واصل الاكراد كفاحهم المشترك الى جانب الشعب العربي السوري في كافة المعارك الوطنية ضد الاستعمار والرجعية، وضد المؤامرة الانكلوامريكية- الصهيونية لأقامة الكيان الصهيوني عام ١٩٤٧، كذلك ساهم الشعب الكوردي في الحروب التحريرية ضد الهجمات الأمبريالية -الصهيونية عام ١٩٦٧ و١٩٧٣، وضد المحتلين الاسرائيليين

والامريكان في معارك بيروت عام ١٩٨٢ ومن اجل تحرير جنوب لبنان، حتى اواسط الثمانينات، وقدم تضحيات في هذه المعارك.

اما عن الوضع الاجتماعي للأكراد في سورية، فيقول كاتب المقال (رمي شيخو) بأن الانعزالية القومية لدى البرجوازية الكوردية والعربية حاولت أن تجر الشعبين الكوردي والعربي الى سياسة فرق تسد، هذه السياسة التي لاتخدم إلاّ مصلحة اعداء العرب والاكراد والمتمثلة في عصرنا بالأمبريالية والصهيونية والرجعية.

ويضيف الكاتب:« ....بعد الحركة التصحيحية (١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠) تقلصت سياسة التفرقة بين المواطنين. والشعب يلمس أن بعض المسؤولين أخذوا يدركون ذلك ويطالبون بازالة هذه المشاريع (لعام ١٩٦٢) ذات الافق الضيق عن كاهل الكادحين الاكراد وخاصةً الفلاحين الفقراء منهم»(٩١).

اما «الحركة التصحيحية» الواردة في الفقرة الاخيرة، فهي الحركة التي جاءت بالرئيس حافظ الاسد الى المقام الاول للسلطة الوطنية في سورية التي تحولت في ظل قيادته الى قلعة تحررية بارزة. وفي ظلها ظهرت بوادر طيبة لصالح الشعب الكوردي في سورية، مثل السماح بالأحتفال بعيده القومي (نوروز/٢١ آذار كل عام) منذ اوائل الثمانينات وتشكيل الفرق الفنية والفولكلورية وطبع ونشر الكتب والمجلات الكوردية، وتقليص وتوقف المشاريع المشار اليها في المقال، مما يبعث الارتياح في الوطنيين الاكراد في كافة البلدان.

عبدالناصر

مرحلة ثالثة من الكفاح العربي - الكوردي المشترك

ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الوطنية في مصر كانت انتصاراً كبيراً لكافة شعوب المنطقة، ومنها الشعب الكوردي؛ ويكفي أن بدء انهيار النظام الكولونيالي يؤرخ بإندحار العدوان الثلاثي (بريطانيا، فرنسا واسرائيل) على مصر عام ١٩٥٦.

الزعيم العربي، جمال عبدالناصر اوصل قبساً من ثورة يوليو الى قلب كوردستان الجريحة ايضاً، فوّسع مدى الكفاح العربي–الكوردي المشترك ونقله من الساحة العراقية ليشمل كفاح الأمتين العربية والكوردية على مستوى المنطقة.

«وجود الأمة الكوردية لحقيقة كحقيقة نهر النيل» بهذا كان عبدالناصر يصرح للمسؤولين العراقيين في ربيع ١٩٦٣ ابان محادثات القاهرة من اجل الوحدة العربية، وكان وفد كوردي يمثل الثورة الكوردية في العراق، حاضراً آنذاك في القاهرة. «وقد وافق (عبدالناصر) آنذاك على مطلب الحكم الذاتي لكوردستان طالما انه ينبذ الانفصال» و«دعا الطرفين (العراقي والكوردي) لحل المسألة بالمفاوضة»(٦٢).

مما يذكر ان عبدالناصر فتح عام ١٩٥٧ اذاعة كوردية في القاهرة، يديرها عالم دين كوردي وطلبة اكراد كانوا يدرسون هناك، كانت تعبر عن التأييد لقضية الشعب الكوردي في سائر الاجزاء، وتفضح انظمة المنطقة (حلف بغداد العدواني)، هذه الانظمة التي استاءت بشدة من الدعوة التحررية المنطلقة من القاهرة. وكان موقف النظام الملكي العراقي معروفاً بعدائه الشديد لمصر عبدالناصر؛ فركز الهجوم على مصر، حيث كانت توجد اذاعة كوردية في بغداد تأسست منذ عام ١٩٣٩.

اما نظام الشاه الايراني فقد بادر فوراً (١٩٥٧) الى تخصيص مبالغ كبيرة لأقامة اذاعة كوردية قوية في (كرماشان) بكوردستان ايران، وذلك لمواجهة الدعوة التحررية للأذاعة الكورية في القاهرة والحد من تأثيرها بين الاكراد، علماً أنه لم تكن في ايران



جمال عبدالناصر والعقيد معمر القذافي – ١٩٧٠

اذاعة كوردية قبل ذلك. منذ ذلك التأريخ اهتمت ايران بالأعلام الأذاعي الكوردي، فما ان حلت السبعينات حتى كانت هناك باستمرار (٥–٦) محطات اذاعية باللغة الكوردية، بعضها مركزية وموجهة لكل الاكراد في الشرق الاوسط مثل اذاعة (كرماشان ثم طهران) فيما بعد، اضافةً الى محطات اذاعية محلية في المدن الرئيسية الكوردية. وبقي هذا التقليد حتى اليوم مع الاختلاف طبعاً في البرامج والتوجيه حسب مقتضيات السياسة اليومية. يقال ان شاه ايران اصيب في حينه بالهلع المشوب بالهستيريا حين سماعه بافتتاح الاذاعة الكوردية في القاهرة.

اما النظام التركي فقد احتج فوراً وبشدة لدى الحكومة المصرية وبعث بمذكرة، يقال ان السفير التركي في القاهرة هو الذي سلّمها، كما قابل عبدالناصر مبدياً قلق حكومته من فتح الاذاعة الكوردية التي «تثير عليهم المشكلة الكوردية». يروى أن عبدالناصر سأل السفير التركي:«وهل يوجد أكراد في تركيا»؟ (مشيراً بذلك الى عدم اعتراف الاتراك بوجود الشعب الكوردي هناك). فأجاب السفير فوراً: كلا ليس عندنا اكراد! عندها رد عبدالناصر:«اذن، فلماذا تخشون من إثارة المشكلة الكوردية عندكم؟»..

علي اي حال، يشير ذلك الى مدى التحريض الكبير، الذي احدثه فتح اذاعة كوردية واحدة (اذاعة القاهرة)، والى أهمية القضية الكوردية في المنطقة، التي طالما هي موجودة بلا حل، فانها قابلة للأنفجار بأية شرارة مهما كانت صغيرة. ولم يكن الأمر مسألة «اذاعية» صغيرة، بل صورةً للصراع الشديد الواسع النطاق، على كافة الاصعدة، بين معسكرين: معسكر حلف بغداد[٦٣] (الانظمة الرجعية والدول الاستعمارية) وسائر القوى الرجعية من جهة، ومعسكر الشعوب التي كانت مصر عبدالناصر تعبر عن ضميرها من جهة اخرى.

مما يذكر ان الجماهير الكوردية في العراق وخارجه شاركت الشعب العربي في المظاهرات الشعبية العارمة دفاعاً عن مصر اثناء العدوان الثلاثي عليها عام ١٩٥٦. وصارت مصر ملجأ للوطنيين الاكراد وغير الاكراد الهاربين من سلطات الانظمة الرجعية.

في عام ١٩٥٩ استضاف عبدالناصر، في القاهرة، الزعيم الكوردي الراحل مصطفى البارزاني اثناء عودته[٦٤] من الاتحاد السوڤيتي الى العراق، وخلال اللقاءات الودية التي جرت بينهما أكد عبدالناصر على إعترافه بالشعب الكوردي وحقوقه القومية المشروعة وضرورة تلاحم الحركتين التحرريتين العربية والكوردية. ووقف فيما بعد ضد شن الحكومات العراقية للقتال على الشعب الكوردي، وكان يدعو الى ضرورة تحقيق الحل السلمي للقضية الكوردية في العراق.

قال جمال عبدالناصر للوفد الكوردي في القاهرة عام ١٩٦٣ بأن الجمهورية العربية المتحدة تؤيد كل حل سلمي للقضية الكوردية عن طريق المفاوضات[٦٥].

كانت هناك ثورة كوردية قائمة في العراق منذ ايلول ١٩٦١. وفي عام ١٩٦٣ جرت مفاوضات بين الثورة والحكومة العراقية. وفي لقاءاته مع الوفود الحكومية العراقية في القاهرة في ربيع ١٩٦٣ قال عبدالناصر[٦٦]:

«لا أحد ينكر للشعب الكوردي وجوداً، ولذلك فأن له حقوقه. ومن بين تلك الحقوق كفاحه في سبيل الحكم الذاتي، ولست ادري لماذا تخيفكم كلمة الحكم الذاتي. لقد اتخذ عدد كبير من البلاد الاوروبية نظاماً في الادارة لا مركزياً دون ان يلحق بوحدة البلاد أية مخاطر».

واردف قائلاً:«ان القومية العربية قد تتقوى بضمان مساندة الكورد ووقوفهم ضد اعداء العرب».

وفي جلسة تالية قال عبدالناصر:«ان الكورد في الزمن البعيد (الآتي) يمكن ان يقوموا بمثابة دولة متوسطة صغرى بين البلاد العربية والاتراك والايرانيين».

فالرئيس عبدالناصر كان يشجع الحكومة العراقية على اقرار الحكم الذاتي لكوردستان العراق، وكان ذلك مصدر قلق شديد في الاوساط الحاكمة في كل من تركيا وايران.

بتأريخ ١٩٦٣/٤/٢٤ كتبت صحيفة (جمهورية) التركية المعبرة عن وجهة نظر الاوساط الحاكمة في تركيا، حول مفاوضات ١٩٦٣ بين الاكراد والحكومة العراقية، تقول:

«يوجد حالياً خطر حقيقي الا وهو امكانية خروج القضية الكوردية في العراق خارج اطار هذا البلد وتأخذ طابعاً دولياً. وتدل الوقائع على أن الحكم الذاتي للأكراد في العراق سيتم باصرار عبدالناصر، وطبيعي جداً ان عبدالناصر ينوي تشكيل بؤرة خطرة على الحكومة التركية وتوسيعها فيما بعد»[٦٧].

كذلك اثارت مسألة الحكم الذاتي قلق الاوساط الحاكمة في ايران، كتبت صحيفة (دنيا) التركية بتأريخ ١٨ نيسان ١٩٦٣:

«يخيم علينا خطر واحد، ونواجه الخطر ذاته، وكما تدل الاحداث الاخيرة فانه يربط العراق وايران وتركيا مصير واحد. نحن مضطرون على التعاون»[٦٨].

كانت هذه التحذيرات تمهيداً لحملة التأديب على الحركة الكردية، حيث أعد اعضاء حلف السنتو العدواني اثناء دورة مجلسه الدائم في ازمير في تموز ١٩٦٣ خطة لتدخل تركيا وايران ضد الاكراد (في العراق) اطلق عليها اسم (عملية النمر) لأقتحام المناطق الكوردية في العراق وابادة الشعب الكوردي. وفي ٩ تموز ١٩٦٣ وجه الاتحاد السوفيتي انذاراً الى الحكومات العراقية والايرانية والتركية يحذرها من مغبة هذا التدخل الذي اوقف عملياً، مع ان التعاون غير المباشر ضد الحركة الكوردية استمر بأشكال اخرى.

عام ١٩٦٤ ابدت الجمهورية العربية المتحدة وخاصةً الرئيس جمال عبدالناصر

الاهتمام مرة اخرى بتسوية القضية الكوردية سلمياً، وقام بالضغط على حكومة عبدالسلام عارف- طاهر يحيى[٦٩] من خلال الناصريين العراقيين. هذا الضغط الذي كان بين ضغوط داخلية وعالمية اخرى اسفر عن صدور اتفاقية ١٠ شباط ١٩٦٤ بين الحكومة العراقية والثورة الكوردية بزعامة البارزاني، لكن الحكومة تماطلت في تنفيذ الاتفاقية رغم بساطة محتواها. وفي نهاية عام ١٩٦٤ شكل البارزاني ادارة للحكم الذاتي في المناطق الكوردية المحررة، الواقعة تحت السيطرة المباشرة للثورة الكوردية، وكانت واسعة. وبذلك وضع حكومة عارف امام خيارين، اما البدء بمفاوضات جدية مع زعماء الحركة الكوردية، او استخدام القوة من جديد لحل المسألة الكوردية حلاً عسكرياً.

وانقسمت الحكومة الى مجموعتين: مجموعة عبدالسلام عارف الاكثر نفوداً كانت الى جانب الحل العسكري، ومجموعة تضم المعتدلين وخاصةً الناصريين يترأسها الشهيد فؤاد الركابي الذي وقف الى جانب استئناف المفاوضات مع البارزاني بهدف البحث عن طريق الحل السلمي للمسألة.

في ٢٢ شباط ١٩٦٥ ارسل الرئيس جمال عبدالناصر، المؤيد لموقف الناصريين العراقيين، رسالة شخصية الى عبدالسلام عارف داعياً فيها الى ايجاد حل سلمي للقضية الكوردية. ففي هذه الرسالة، والتي نشرت، كتب عبدالناصر الى رئيس الحكومة العراقية ما يلي:

«لقد نصحتك قبل أكثر من سنة ونصف بأيجاد شكل من اشكال الحكم الذاتي لكوردستان، والذي من شأنه أن لايخل بوحدة اراضي الجمهورية العراقية. انني كنت ارغب في أن يلاقي مثل هذا الاجراء كبادرة طيبة من جانب العرب تجاه اخوانهم الاكراد. والآن فقد وضعوك (يقصد الاكراد) امام حقيقة واقعة عندما اخذوا بأنفسهم ما كنت تستطيع ان تقدم لهم منذ فترة طويلة». (يقصد عبدالناصر تشكيل اجهزة الادارة الذاتية في كوردستان من قبل الثورة الكوردية في تشرين الاول ١٩٦٤).

وعبر عبدالناصر في الرسالة عن رأي مفاده أنه «مازال يوجد هناك وقت للوصول الى اتفاق مع القوميين الاكراد عن طريق المفاوضات»[٧٠].

موقف عبدالناصر من القضية الكوردية كان موضوعياً صحيحاً. كان يدرك المصالح

العليا لحركة الجماهير العربية نحو التحرر والوحدة القومية وضرورة التحامها مع حركة الجماهير الشعبية لبقية الشعوب في المنطقة. وسعيه للحل السلمي للقضية الكوردية، كان دعوة للشعب الكوردي، كي يتضامن مع الحركة العربية التحررية عن طريق الكفاح المشترك مع الشعب العربي في العراق. وهذا هو معنى قوله:«أن القومية العربية قد تتقوى بضمان مساندة الكورد ووقوفهم ضد اعداء العرب». فكان يدرك ان الاستجابة للحقوق القومية المشروعة للكورد هو أحسن ضمان لأكبر مساندة للعرب من قبل الكورد.

التعمق في هذا الجانب من الموضوع يتطلب بحثاً خاصاً لايسع له المجال الآن.

عموماً، وبغية استيعاب موقف جمال عبدالناصر، ينبغي أخذ كافة الظروف الذاتية والموضوعية لتلك المرحلة بنظر الاعتبار، اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، مستوى تطور الحركة التحررية العربية، مستوى الوعي الاجتماعي والقومي للجماهير العربية لاسيما بعد انتصار ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، المد الديمقراطي في العالم أثر الحرب العالمية الثانية نتيجة تحطيم النازية والفاشية، تصاعد نضال الشعوب المستعمرة وشبه المستعمرة وحركاتها التحررية ومن ثم انهيار النظام الكولونيالي منذ اواخر الخمسينات، وأخيراً وهو الأهم، الانتشار الواسع للأفكار الاشتراكية وتحولها الى قوة مادية هائلة على الارض.

الموقف التحرري للرئيس جمال عبدالناصر ازاء القضية الكوردية كان اسهاماً تأريخياً كبيراً في توطيد الكفاح العربي-الكوردي المشترك على أسس تحررية، لذا فالجماهير الكوردية تتذكره، وستظل تتذكره بإعتزاز وتقدير.

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨:

ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الوطنية في العراق احدثت تغييراً كبيراً في موازين المنطقة، اذ حطمت حلف بغداد العدواني، واخرجت العراق من دائرة النفوذ الاستعماري، وانقذت الشعب من الحكم الملكي الرجعي.. واحدثت تغييرات اجتماعية -اقتصادية لصالح الجماهير.. الخ، وعلى صعيد القضية الكوردية اقرت الجمهورية الفتية بـ«شراكة العرب والاكراد» في الوطن، كما تم تثبيته في الدستور العراق المؤقت. واعطت للشعب الكوردي حقوقاً ثقافية وادارية عديدة، وحرية لمنظماته السياسية والجماهيرية فسمّيت

بحق «جمهورية العرب والاكراد»، وارتفعت شعارات مثل «على صخرة الاتحاد العربي-الكوردي تتحطم مؤامرات الاستعمار والرجعية» التي دافع عنها الاكراد بقوة. كان كل ذلك خطوة هامة على صعيد تعزيز الكفاح العربي الكوردي المشترك. وكان يبشر بمستقبل كبير للعراق لولا أن حكومة عبدالكريم قاسم تراجعت بعد فترة عن الوعود والحقوق التي اعطاها للشعب الكوردي، ولم تكن مستعدة لمنح الحكم الذاتي لكوردستان داخل الجمهورية العراقية. فاندلعت حرب طاحنة في كوردستان، فرضتها سياسة الحكومة العراقية، استمرت من ايلول ١٩٦١ حتى آذار ١٩٧٥، ولازالت آثارها وجروحها تتجدد بأشكال أخرى أعنف، كلفت الشعب العراقي عرباً واكراداً ثمناً باهظاً للغاية، في دم ابنائه وقدراته الاقتصادية ووتيرة تطوره، وعرقلت تقدمه الاجتماعي. رغم كل ذلك فان الاشهر والاعوام الاولى من ثورة ١٤ تموز تظل نقطة مضيئة، مشرقة، على طريق تعميق الاتحاد العربي-الكوردي لأن جميع الوطنيين عرباً واكراداً احتفظوا بروحها ومبادئها.

في عام ١٩٥٩ صدر كتاب صغير في العراق بعنوان «الكورد والمسألة الكوردية» للدكتور شاكر خصباك، تضمن موقفاً تحررياً وديمقراطياً من القضية الكوردية اثار اهتماماً واسعاً. وتكمن أهميته في أنه صدر عن كاتب عربي اعتبرته الجماهير الكوردية صديقاً مخلصاً لها ولقضيتها. في هذه الفترة -وحتى عهد قريب- كان الموقف من هذه القضية أحد مدارات الصراع الهامة في صفوف حركة الجماهير العربية في العراق، الصراع بين تأييد القضية وانصافها وايجاد حل ديمقراطي عادل لها (يتجاوب مع حركة الجماهير الكوردية) من جهة، وبين الاوساط الرجعية والشوفينية التي تتنكر للقضية من جهة اخرى. وكلما كانت الثورة الكوردية تتقدم كان ذلك الصراع ايضاً يشتد. وبالعكس ايضاً كلما كانت الجماهير العربية وقواها الوطنية الواعية تقترب من حسم الصراع لصالح الحل الديمقراطي العادل للقضية كانت الثورة الكوردية تحرز انتصارات أكبر.

كان هذا الصراع «ضمن الصراع العام حول التطور اللاحق للبلاد» يأخذ اشكالاً فكرية، سياسية وحتى دموية أحياناً، كان ينعكس على الرأي العام العربي خارج العراق ايضاً. ففي حين كان هناك مثقفون عرب واحزاب عربية، تنكر على الشعب

الكوردي حقه في المطالبة بكيانه القومي ولو داخل الجمهورية العراقية، فأن مثقفين واحزاباً تحررية عربية كانت تعلن التأييد لحق الشعب الكوردي وتستنكر استمرار الحرب الظالمة ضده في كوردستان العراق.

لم يكن تطور المواقف، ايجابياً لصالح الكفاح العربي-الكوردي، يسير بسهولة او على وتيرة واحدة، بل أن المنعطفات الحادة لأوضاع العراق والمنطقة كانت توسع من دائرة التأييد العربي للقضية الكوردية. من أهم المنعطفات عام ١٩٦٣، وعام ١٩٧٠ (بعد اتفاقية ١١ آذار)، ثم منذ بداية الثمانينات.

كان هذا التطور يتعلق ايضاً، وبدرجة ليست قليلة، بمواقف الحركة التحررية الكوردية من قضايا العراق الداخلية والقضايا العربية عموماً، ومن الحلول العملية التي تطرحها أو تقبل بها لمعالجة القضية الكوردية. فبقدر ما كانت اخطاء الحركة تؤثر سلباً على كسب المزيد من التأييد العربي لها، فان نجاحاتها ومواقفها الصحيحة كانت تعزز ذلك التأييد وتعمق وحدة الكفاح العربي-الكوردي. اما الاوساط الاستعمارية والرجعية في المنطقة فكانت تعمل -ولاتزال تعمل- ما بوسعها لأضعاف هذه الوحدة وفَصْم عراها.

في حزيران ١٩٦٣ استأنفت حكومة بغداد حرباً مدمرة، حرب إبادة شاملة، ضد الشعب الكوردي وثورته، آنذاك، وفي خضم الاستنكار العالمي لهذه الحرب (التي كانت دول حلف السنتو متواطئة فيها) اعلنت ٨٣ منظمة ديمقراطية عالمية شجبها لها وتأييدها لكفاح الشعب الكوردي، كانت بينها (١١) منظمة من الدول العربية وقعت تضامناً مع هذا الشعب. كان صوتها صوت الجماهير العربية.

آنذاك ايضاً (عام ١٩٦٣) كتب الشاعر الجزائري المعروف (كاتب ياسين)[٧١] قائلاً:

«ان واجبنا الاول نحن كشعوب عربية او اسلامية الارغام على الاصغاء الى احتجاجنا الشديد.. أنا الشاعر الجزائري كاتب ياسين اتوجه الى اخواني في الجزائر والى الشعوب العربية والى العالم أجمع بنداء: فليرفع الاحرار صوتهم في كل مكان، فلتسقط ومن دون رحمة طغمة المغامرين، فليتوقف القتل الجماعي ولتنل كوردستان الحكم الذاتي ولتقم في العراق سلطة ديمقراطية، الشرط الضروري للوحدة العربية».

في هذه الفترة كان شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري قد القى قصيدته

المعروفة:«قلبي لكوردستان يهدى والدم» وأنضم الى نداءات الاحتجاج على القتل الجماعي في كوردستان.

وصرّح (انطوان ثابت) الشخصية اللبنانية[٧٢] قائلاً:«ينبغي على العرب جميعاً ان يعرفوا ادانة القيادة العراقية لأستعمالها القوة لحل القضية الكوردية».

وكتبت جريدة (الشعب)[٧٣] البيروتية منددة وقالت:«نحن نريد أن يعلم الاستعماريون وعملاؤهم أن جرائم البعثيين العراقيين ومؤامرات السنتو وقنابل الناپالم لاتضعف الاخوة العربية-الكوردية. ان الحقيقة تنتصر لامحالة، وانها لقريبة نهاية الطغاة».

ايضاً في نفس الفترة انضمت الصحافة المغربية الى حركة الاحتجاج فنددت بالحرب العدوانية ضد الشعب الكوردي وطالبت بايقافها. ووقفت شخصيات عربية كثيرة الى جانب هذه الاصوات الخيرة التي كانت تبعث الأمل في نفوس الاكراد وهم يقاومون هجمة شرسة، هذه الاصوات التي كانت حقاً لصالح الاخوة العربية-الكوردية.

كان الشعب الكوردي آنذاك يواجه دول السنتو مجتمعة، الحكومات الرجعية في ايران وتركيا وغيرها اضافةً الى قوى الاستعمار البريطاني والامريكي وعملائهم، فالوقوف الى جانب الشعب الكوردي كان يعني الوقوف بوجه ألد أعداء الأمة العربية وحركتها التحررية.

١١ آذار ١٩٧٠:

عقدت الثورة الكوردية[٧٤] في كوردستان العراق، عدة اتفاقيات مع الحكومات العراقية بهدف التوصل الى حل سلمي للقضية الكوردية في العراق وضمن الوحدة العراقية، منها اتفاقية شباط ١٩٦٤، واتفاقية ٢٩ حزيران ١٩٦٦، أخيراً إتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ الذي وضع حداً للقتال وفتح طريقاً رحباً لحل القضية سلمياً وعودة السلام الى كوردستان.

بيان آذار[٧٥] هو أول وثيقة رسمية تصدر عن دولة تعترف بحقوق الشعب الكوردي وخاصةً حقه في الحكم الذاتي وذلك منذ صدور معاهدة سيڤر لعام ١٩٢٠ في أعقاب الحرب العالمية الاولى، وهو بهذا المعنى صار وثيقة ذات أهمية استثنائية للشعب الكوردي في كافة اجزاء كوردستان، لذلك سعت الحكومات الرجعية لاسيما في تركيا وايران بدعم القوى الاستعمارية، العدو اللدود للشعبين العربي والكوردي، الى تمزيق

هذا البيان وافراغه من محتواه منذ اليوم الأول لصدوره.

جاء إعلان بيان إتفاقية ١١ آذار انتصاراً كبيراً لحركة الجماهير العربية والكوردية، ونال تأييداً واسعاً في الاوساط التحررية العربية والعالمية وقوى التقدم والثورة في ارجاء المعمورة. وجاء توسيعاً وتعميقاً للكفاح العربي–الكوردي بشكل لم يسبق له مثيل حتى ذلك التأريخ، وقد هبت ملايين العراقيين عرباً واكراداً واقليات تحيي صدور البيان في مظاهرات حاشدة قلما شهد التأريخ الحديث مثلها، كانت المظاهرات والاعياد التي استمرت لأسابيع استفتاءً شعبياً لمبدأ الكفاح العربي–الكوردي على قاعدة (وهذه هي روح بيان ١١ آذار) الاعتراف المتبادل بحق تقرير المصير، وشرعية طموح الشعبين العربي والكوردي الى التحرر والوحدة القومية، وادراك حقيقة ان الاستعمار هو العائق أمام بلوغ العرب والاكراد لأمانيهم القومية، هذا الاعتراف الذي هو الاساس الصلد الذي تقوم عليه وتتطور الاخوة العربية الكوردية في كفاح مشترك ضد الاستعمار والرجعية.

ففي هذه المرحلة اتسع التأييد العربي (خارج العراق) للقضية الكوردية بشكل كبير، فكان البيان نجاحاً لكافة قوى الحركة التحررية العربية، وانتصاراً للقضية الكوردية ذاتها.

يمكن الاستنتاج ان تزايد التأييد العربي للقضية، وبالتالي تعمق الكفاح العربي – الكوردي المشترك مرهون بعدة عوامل اساسية:

– صمود وتضحية الشعب الكوردي وحركته التحررية وصواب ستراتيجيتها وصحة مواقفها السياسية من قضايا المنطقة والعالم على اساس تقدمي.

– تعاظم الوعي الاجتماعي والديمقراطي في حركة الجماهير العربية، ومدى انتصارها في فرض ارادتها الثورية في تلك المنعطفات.

– استيعاب قيادات الحركة التحررية العربية والحركة التحررية الكوردية للظروف الموضوعية استيعاباً واعياً والعمل باتجاه قبر مؤامرات الاستعمار والرجعية والصهيونية، والاستفادة من تغير موازين القوى في العالم لصالح الشعوب، لصالح حركات التحرر، لصالح الاشتراكية.

وقد لاحظنا أنه بمقدار ما تظل حركة الجماهير العربية والكوردية متماسكة، ومدّها

الثوري قائماً، فانها تحافظ على مكاسبها وتوظف الكفاح العربي–الكوردي لصالح تحقيق التحولات الاقتصادية –الاجتماعية التقدمية، واضعاف مواقع الامپريالية والرجعية في المنطقة.

وبقدر ما ينحسر المد الجماهيري الثوري وتقع الأخطاء السياسية هنا وهناك فإن الخطر يتهدد تلك المكاسب مما يضر بالكفاح المشترك فتتسلل، من الثغرات، أحابيل الاعداء من استعماريين ورجعيين وشوفينيين.

وتظل مسؤولية القومية الأكبر أكبر، فهي التي ينبغي أن تحرص قبل غيرها على ترسيخ مبدأ الاعتراف المتبادل بحق تقرير المصير، الاحترام المتبادل والتضامن المتبادل مع القضايا التحررية لبعضهما البعض، فهي مشتركة طبيعيةً وهدفاً.

عن مثل هذا الاعتراف المتبادل يتحدث القذافي قائلاً:

«لايمكن ان نخون ونتخاذل حيال أمة تعاني نفس المعاناة المريرة التي عانتها الأمة العربية ولازالت تعاني منها».

في السبعينات والثمانينات:

– في العراق، رغم ان جناحاً في التيار الوحدوي العربي (الناصري)، خصوصاً جناح فؤاد الركابي، وقف الى جانب الحل السلمي للقضية الكوردية منذ أواسط الستينات، الا انه لم يكن له تصور واضح حول كيفية هذا الحل. وفي أواخر الستينات توصلت قوة من هذا التيار الى تحليل ملموس للقضية والاقرار بوجود الشعب الكوردي واصالته وحقه في تقرير مصيره بنفسه، وتشخيص الحكم الذاتي ضمن الوحدة العراقية حلاً محدداً، سلمياً للقضية.

بصدور اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ دخل الحل السلمي للقضية الكوردية، على أساس تحقيق الحكم الذاتي لكوردستان ضمن الجمهورية العراقية، دخل برنامج عمل كافة القوى القومية التحررية العربية في العراق، بصورة تدريجية، بما فيها بالطبع حزب البعث الحاكم، وكانت القوى الديمقراطية الوطنية الاخرى قد تبنت هذا الحل منذ فترة طويلة.

– بعد عشر سنوات، بعد التطبيق العملي المشوه للحكم الذاتي لكوردستان العراق،

توصلت تلك القوى الوطنية، الديمقراطية والقومية التقدمية، كوردية وعربية، الى شبه اجماع حول برنامج محدد لحل القضية في عام ١٩٨٠، وانعكس ذلك في ميثاقين على الاقل، ميثاقين مشخصين: ميثاق (جوقد) وميثاق (جود)[٧٦] -كلاهما لعام ١٩٨٠- يطرحان معالجة محددة ملموسة للقضية الكوردية ضمن تقييم الوضع العام في البلاد، وضمن الاهداف المرسومة للحركة الوطنية العراقية، فتضمنا معاً الحل الديمقراطي بتحقيق (الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكوردستان).

ان انجاز هذا الهدف سيوطد، بلاشك، الكفاح العربي- الكوردي، ويكون انتصاراً لكفاح الامتين العربية والكوردية، يضع العراق على طريق التحرر الناجز والتقدم الاجتماعي، واسهامه الفعال في الحركة التحررية العربية من أجل الوحدة مثلما يفتح امام الشعب الكوردي آفاقاً رحبة لمواصلة الكفاح والهاب نضال الجماهير الشعبية في سائر ارجاء كوردستان من اجل التحرر والوحدة القومية.

– على الصعيد العربي خارج العراق.. فإن الاحزاب التقدمية العربية، وكافة فصائل حركة التحرر في طول الوطن العربي وعرضه تلقت صدور اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ بارتياح مفعم بالأمل في تعزيز الكفاح العربي-الكوردي ضد الامبريالية والرجعية، فكان اوسع تأييد شعبي عربي للقضية الكوردية منذ الحرب العالمية الاولى، وانضمت الى هذا التأييد جهات رسمية عربية، ذلك لأن «الشعب العربي الذي لاقى الاضطهاد القومي قروناً له مصلحة كبرى في احترام وتأييد حق كل أمة في تقرير مصيرها. ولقد جاء تأكيد ذلك ليس على لسان المنظمات الديمقراطية وحسب، بل وعلى لسان عدد من رؤوساء الحكومات العربية المستقلة»[٧٧].

– ثورة ١٤ اكتوبر في جمهورية اليمن الديمقراطية اعلنت الاعتراف بحق الشعب الكوردي في تقرير المصير.. كان تطوراً هاماً آخر في التأييد العربي للقضية، أول دولة عربية مستقلة تعترف رسمياً بذلك.

– الثورة الفلسطينية، لها موقف ودي وأخوي من القضية الكوردية، تتعاطف معها حتى ولو لم تعلن عن ذلك احياناً، وتقف الى جانبها في الظروف الصعبة خاصةً، كما حصل بعد نكسة الحركة الكوردية في عام ١٩٧٥م.

منذ سنوات وصحيفة (الهدف)/الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وصحيفة (الحرية)[٧٨]/ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين وغيرهما من الصحف الفلسطينية تفتح صفحاتها لمعالجة مختلف شؤون القضية الكوردية (بروحية الدفاع عنها كقضية تحررية عادلة) سواء بأقلام الكتاب العرب أو الكتاب الكورد، علاوةً على تضامنها مع حركة الجماهير الكوردية في هباتها وانتفاضاتها او لدى تعرضها للهجمات الشوفينية مما كان له أثر جيد في المثقفين الكورد والرأي العام الكوردي لصالح الاخوة العربية – الكوردية، والتعاطف أكثر مع القضية الفلسطينية خاصةً والحركة التحررية العربية عامةً.

ولن ننسى المواقف التضامنية الحارة للجماهير الفلسطينية في الارض المحتلة التي اعربت عبر صحفها واصداراتها الدورية عن مساندة كفاح الشعب الكوردي لدى تعرضه الى المخاطر والهجمات الشوفينية الشرسة.. مواقف لن ينساها الشعب الكوردي.. جماهير معذبة مكبلة في محنة الاحتلال الصهيوني تتعاطف مع جماهير أمة هي الأخرى معذبة ومضطهدة، الأمة الكوردية.

– منذ أوائل الثمانينات، لاتصدر بيانات ومواقف سياسية منفردة او مشتركة لحركات التحرر والقوى التقدمية العربية ازاء القضايا الملتهبة في بلدان الشرق الاوسط ما لم تعرب فيها عن التضامن والتأييد للكفاح التحرري للشعب الكوردي في كافة اجزاء كوردستان، حتى صار ذلك ظاهرة تحررية هامة تصب في مجرى تعميق الكفاح العربي-الكوردي، ووحدة كفاح جميع شعوب المنطقة، لما يلعبه التأييد العربي من تأثير على الجماهير الشعبية لهذه الشعوب ايضاً، تأثير انعكس في تزايد اهتمامها بضرورة ايجاد حلول عادلة، منصفة، ديمقراطية لقضية الشعب الكوردي، فيوماً بعد آخر يزداد ويتعمق تأييد القوى التحررية للقضية في هذه البلدان، سواء نتيجة التقدم الحاصل في حركة الجماهير فيها وارتفاع وعيها الاجتماعي او نتيجة التأثيرات التحررية الآنفة الذكر اضافةً الى الجوّ العام الذي يسود العالم بأتجاه الانتشار الأوسع والأشمل للأفكار التحررية.

نلاحظ ايضاً أن القوى والاحزاب الكوردستانية تضع تواقيعها (وتمارس في التطبيق حيث امكن) الى جانب القوى والمنظمات الديمقراطية العربية في حملات التضامن مع مختلف القضايا التحررية العربية وفي المنطقة. وهذا أمر طبيعي ان يكون التساند

والتضامن والاحترام متبادلاً طالما ان جوهر القضايا التحررية مشترك وواحد، وبهذا المعنى تكون المشاركة الايجابية للشعب الكوردي في الحركة التحررية العربية، عن طريق الكفاح المشترك مع الشعب العربي في العراق، ومع الأمة العربية على مستوى الوطن العربي.

(للمزيد من الاطلاع على موقف الحركة الكوردية ازاء القضايا التحررية للأمة العربية، يمكن للقاريء العربي ان يراجع أدبيات وإصدارات الأحزاب والمنظمات الكوردية في العراق وسورية ولبنان، والتي صدرت وتصدر باللغة العربية غالباً).

القضية الكوردية والوحدة العربية:

إن إنتصار الديمقراطية، إنتصار إرادة الجماهير الشعبية، في أي جزء من الوطن العربي، او في كله، يعتبر تقدماً لصالح الحركة التحررية الكوردية وقضيتها.. مثلما أن تقدم وإنتصار هذه الحركة سيُعجِّل من الحركة الثورية في المنطقة.

يقول القذافي:«تحرير الامة العربية.. توحيد الأمة العربية على اساس تقدمي شعبي.. يعني الانحياز، انحياز الامة العربية الى جانب كفاح الأمة العربية المجيدة».

فالقذافي يضع «توحيد الامة العربية» مرادفاً لأنتصار لكفاح الامة الكوردية وذلك بطرح «اساس تقدمي شعبي» لهذه الوحدة العربية، ومنطلقاً في الوقت نفسه من الاعتراف بحق الامة الكوردية في «أن تكون مستقلة» وأن تكون «دولة كوردية مستقلة»، «حليفة للبلدان العربية وايران وتركيا»[٧٩].

بتعبير آخر ان الاعتراف المتبادل للشعوب بحق تقرير المصير لكل منهما هو الطريق الى ان تتآلف وتتحالف وتتآخى على طريق التحرر الكامل.

في مثل هذه الحالة تتبدد اوهام بعض القوميين العرب، وبعض القوميين الاكراد ومخاوفهم من بعضهم البعض.. أوهام بعض القوميين العرب (الناجمة عن الشوفينية والاستعلائية والتعصب القومي) ومخاوفهم من ان الحركة الكوردية حركة «إنفصالية!» و«أجنبية» و«من صنع الاستعمار» و«موجهة ضد القومية العربية»... الخ، وأوهام بعض القوميين الاكراد (الناجمة عن ضيق الافق القومي والروح الانعزالية القومية) ومخاوفهم من أن الوحدة العربية «تهدد الوجود الكوردي» وقد تكون على حساب الحقوق القومية للشعب الكوردي»، و«تؤدي الى صهره....» الخ!

فالجماهير الشعبية العربية المتحررة من كل قيد واستغلال اجتماعي وتسلط امبريالي ستكون بالبداهة حليفة قوية وثابتة للجماهير الكوردية، ولن يضيرها شيء فيما لو تحررت الجماهير الشعبية الكوردية تحرراً نهائياً، اجتماعياً وقومياً، بل تستقبل ذلك كانتصار لها، مثلما أن الجماهير الكوردية المتحررة ستجد مصلحتها العليا في تحرر جماهير بلدان المنطقة. أي ان هذه العلاقة الكفاحية بين الجماهير العربية والجماهير الكوردية تصح ايضاً في مجال العلاقة بين الجماهير الكوردية من جهة والجماهير الايرانية والجماهير التركية من جهة اخرى. وقد تم التعبير عن ذلك سابقاً «بالمشاركة الايجابية للشعب الكوردي في كفاح هذه الشعوب» في اطار احترام متبادل، وتضامن مع الكفاح الكوردي.

واذا كنا قد استفضنا نسبياً في الحديث عن تطور القضية الكوردية في العراق، فذلك لسببين:

اولاً: انه يرتبط مباشرةً بتطور الكفاح العربي –الكوردي على الساحة، اضافةً الى كون كفاح الشعب الكوردي في العراق متطوراً نسبياً.

ثانياً: ان انتصار نظام وطني في العراق يحل القضية الكوردية ديمقراطياً وبعدالة ولو في صيغة حكم ذاتي الآن (١٩٨٥)، هذا الانتصار سيفتح آفاقاً واسعة أمام تطور عاصف لكفاح الشعبين العربي والكوردي في آن واحد، على الاقل في هذه الحقبة التأريخية الهامة من صراع المنطقة بين شعوبها وقواها التحررية من جهة والامبريالية والصهيونية والرجعيات المتهرئة من جهة اخرى.

ومن شأن مثل هذا الحل أن يدفع بالشعب الكوردي الى أن يساهم بفعالية في الحركة التحررية العربية عن طريق تعزيز الكفاح المشترك مع عرب العراق، وبذلك سينهض بواجب تاريخي ليس بالنسبة لأكراد العراق فحسب، وانما بالنسبة لجماهير الأمة الكوردية بأسرها[٨٠]. فكوردستان العراق عندما تسهم في الحركة العربية الكفاحية، انما تسهم ليس فقط في تحرير الامة العربية من الاستعمار والرجعية، وانما في تحرير كوردستان العراق ايضاً. وعندما يسير كفاح كوردستان العراق جنباً الى جنب مع كفاح الأمة العربية في سبيل وحدة العرب، تستطيع كوردستان العراق ان تحافظ على كيانها القومي عن طريق ممارسة حقها في الاستقلال الذاتي في نطاق الوحدة العربية. وفي مثل هذه الحالة، وبالنظر للأمكانيات التحررية والديمقراطية

الكبيرة التي ستتعاظم دون شك كلما تقدم العرب نحو تعزيز وحدتهم، ستتاح لكوردستان العراق إمكانية كبيرة في اشغال موقع الطليعة بالنسبة للحركة التحررية القومية للأمة الكوردية بأسرها[٨١].

فالأستقلال الذاتي (وفق إتحاد اختياري كفاحي أخوي)، هو بهذا المعنى تدبير موقوت بظرفه، تقتضيه مصلحة الشعبين، وبصورة جلية مصلحة الشعب الكوردي نفسه، وهو بهذا المعنى ليس حلاً نهائياً للمسألة القومية الكوردية. وانما سيكون عاملاً هاماً في تحرير الأمة الكوردية وتحقيق وحدتها القومية. وفي تهيئة الظروف الملائمة لممارسة الامة الكوردية لحقها في تقرير مصيرها، بما في ذلك، تكوين دولة مستقلة لكوردستان كلها[٨٢].

وقد صاغت بعض الفصائل الاساسية للحركة التحررية الكوردية في العراق نظرتها الى مسألة الوحدة العربية بشكل واضح، ومحدد[٨٣]:

«اننا –على صعيد الجمهورية العراقية– نناضل من أجل دعم الأخوة بين العرب والاكراد».

«نناضل من أجل تمتين روابط الاخوة بين الأمتين الشقيقتين العربية والكوردية».

«نظراً للترابط القائم بين الحركتين القوميتين العربية والكوردية، وحقهما في تقرير المصير، ومتطلبات نضالهما المشترك من اجل التحرر والتقدم، فان احراز اي تقدم او تطور في الحركة القومية العربية في العراق ينبغي ان يصاحبه تقدم وتطور في الحقوق القومية للشعب الكوردي».

فالحل الصحيح للقضية الكوردية هو أن يترك للشعب الكوردي، في كافة البلدان التي يعيش فيها، حقه في تقرير مصيره بنفسه وبحرية، ليكون إتحاده مع هذه الشعوب اتحاداً طوعياً اختيارياً فيما لو اختار هذا الطريق.

وعبر أحد الباحثين الاكراد عن هذا عام ١٩٦٣، قائلاً بأن الحركة الكوردية:«ليست ولن تكون في حد ذاتها حائلاً دون تحقيق وحدة عربية سليمة تعبر عن مشاعر الشعوب العربية وتضمن مصالحها. إن أمر الوحدة العربية يرجع للعرب أنفسهم ولايريد الشعب الكوردي أن يقف حائلاً دونها اذا كانت مشيئة العرب كذلك. وبما ان كوردستان العراق لاتريد الإنفصال فلابد لكل وحدة عربية أن تحل المسألة الكوردية ديمقراطياً

بشكل يضمن شخصية الشعب الكوردي وحقوقه ومصالحه والاستقلال الذاتي لكوردستان»[٨٤].

ثم اضاف قائلاً:«ونحن لانعتقد على كل حال بأن الوحدة العربية يمكن أن تتحقق بالدم والحديد والفاشستية».. مشيراً الى حرب الإبادة التي شنته الحكومة العراقية آنذاك (١٩٦٣) ضد الشعب الكوردي، فكل وحدة قائمة على القوة وضد المبادئ التحررية لاتتحقق بل تكون ضد مصالح الامة العربية نفسها قبل غيرها. والحل هو:

اولاً: تحرير إرادة الجماهير الشعبية، تحرير الجماهير من الرجعيات، من الفاشية، من الانظمة الاقطاعية–العائلية، من التخلف، من كل اضطهاد وعسف. ان مثل هذه الجماهير المتحررة ستجد طريقها الى وحدة حقيقية قائمة على اساس احترام حق الانسان كأنسان وحق الأمم الاخرى كأمم متساوية متكافئة في الحياة والنماء والتطور.

القذافي- نظرة بعيدة المدى تأريخياً

القذافي يسبق المرحلة الراهنة الى المستقبل..

فهو، بطرحه نظرةً بعيدة المدى، مستقبلية (لكن لها اسباباً ومقومات موضوعية وحالية) انما يدين العلاقات الخاطئة، ويصححها، تلك العلاقات التي كان يراد للحلول العسكرية والفاشية ازاء القضية الكوردية ان تفرضها. كانت خاطئة فلم تنجح.. والحلول العسكرية، حلول «الانكار القومي» لوجود الاكراد، واكراههم على ذلك بالقوة، وصهرهم، وسياسة الارض المحروقة في كوردستان عبر أكثر من قرن، في تركيا، في ايران، في العراق.. هذه الحلول فشلت حتى الآن وستسقط نهائياً لأنها ضد التأريخ، العامل الاجتماعي او القومي هو الذي يتغلب[٨٥].. «لماذا يقاتل الاكراد؟ لأن قوميات اخرى، طغت عليهم منذ فترة، انهم أمة مستقلة..»، «وهذا هو موقف مبدئي، الاكراد يجب أن يكونوا أمة كوردستانية في تلك المنطقة، وتكون هذه الامة شقيقة للأمة العربية، والامة التركية، والامة الفارسية، وتأخذ مكانها على قدم المساواة مع هذه الأمم»[٨٦].

والا فان «محاولة دمج أمة في مجتمع آخر ليس من ذاتها، هو تدمير للكيانات الطبيعية من حياة الانسانية، ستخلق مشاكل أكبر من ذلك، وصراعات اجتماعية وسياسية بالدرجة الاولى..»[٨٧].

«فالتعصب القومي واستخدام القوة ضد الأمم غير القوية او التقدم القومي نتيجة استحواذ ما لأمة اخرى، هو شر وضار للأنسانية»[٨٨].

هكذا يتكلم القذافي..

وهكذا كان جمال عبدالناصر يتكلم[٨٩]:

«لا أحد ينكر للشعب الكوردي وجوداً، ولذلك فان له حقوقه. ومن بين تلك الحقوق كفاحه في سبيل الحكم الذاتي. لست ادري لماذا تخيفكم كلمة الحكم الذاتي».

«ان الكورد في الزمن البعيد (الآتي) يمكن ان يقوموا بمثابة دولة متوسطة صغرى بين البلاد العربية والاتراك والايرانيين».

قال عبدالناصر ما ينبغي التعبير عنه ازاء أمة مغبونة، مضطهدة... قال ما يمكن ان يحدث في المستقبل، لأن تحرر كافة الشعوب هو اقرب ما يمكن، وأصح ما ينبغي، أن يحدث.. وقال معمر القذافي مايفرض الفكر التحرري أن يقال عن أمة معذبة، ممزقة، تنزف دماً لقرون..

قال ما يمكن أن يتحقق لهذه الامة، لأنه يرى ما يمكن، وما ينبغي أن يتحقق لأمته هو، الأمة العربية.

بقية القوى التقدمية العربية... وعبدالناصر.. والقذافي.. هؤلاء أحسن المدافعين عن قضايا امتهم العادلة، وصداقتها مع بقية الأمم.

واذا كان القذافي قد سبق عصره، في وطنه، فأسيء فهمه من قبل بعض العرب، فان بالمقابل قد كسب الشيء الكثير لمستقبل جميع العرب، وتاريخهم..

القذافي اليوم رمز كبير للأخوة العربية–الكوردية.. للكفاح العربي–الكوردي، واذا ظهرت حكومات عربية شوفينية، مثل طغاة بغداد، تسحق الاكراد وتبيدهم، تشردهم وتهجر أكثر من نصف مليون انسان كوردي عن موطنهم، تهدم وتسوي بالأرض مئات القرى الكوردية، تُغيِّر الطابع القومي والتأريخي لكوردستان، تهدم وتدمر.. وكله بأسم «القومية العربية»..

فهناك من يتكلم بأسم الحركة التحررية العربية، هناك ناصر، والقذافي، والثوريين العرب قاطبةً، يدافعون عن الكورد وكوردستان..

هذا عزاء كبير للوطنيين الكورد، يمنحهم الثقة والعزم على الدفاع أكثر عن الاخوة بين الشعبين العربي والكوردي، وكفاحهما المشترك، ومصالحهما المشتركة.. وذلك نداء للجماهير الكوردية كي تلتحم بحركة الجماهير العربية.

فموقف تحرري مثل موقف القذافي يحفظ لليوم، مثلما يحفظ للمستقبل، قدسية التقاليد الطيبة، تقاليد الجيرة والصداقة والاحترام المتبادل بين الشعوب. ولاشك في ان وحدة كفاح الشعوب تخدم الكفاح التحرري العالمي ضد العبودية والاضطهاد ومن اجل الانعتاق النهائي وسعادة البشرية.

فغداً، كما اليوم، يمكن لأبناء كوردستان ان يقولوا بإعتزاز.. «في محنتنا القاسية، وقف الى جانبنا الابناء الحقيقيون للأمة العربية».

واما الذين يضطهدون الشعب الكوردي، فهم -في المحصلة النهائية- يعادون مصالح شعوبهم، ويعرقلون تحررها ووحدتها.

فالقذافي يخدم أمته.. يخدم المستقبل البعيد للعرب.. وان اسيء اليوم فهمه أحياناً..

فسيأتي اليوم الذي تشعُّ فيه هذه الافكار التحررية على أكثر زوايا المنطقة ظلمة وتحجراً..[٩٠]

هوامش ومراجع القسم الثاني:

نلفت إنتباه القاريء العزيز الى أننا، اختصاراً للكتابة، لانكرر اسم المراجع كاملةً، بل نشير في الهوامش التالية فيما بعد الى رقم اول هامش يرد ذكره:

(١) معمر القذافي/كلمته الختامية في اجتماع اعلان القيادة العامة للقوات الثورية في الوطن العربي بتأريخ ٣١/آذار/١٩٨٥.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) سنبحث في القضية الكوردية عموماً في الفصل الثالث.

(٥) صلاح الدين الايوبي هو يوسف صلاح الدين المولود في سنة ١١٣٧م في قلعة تكريت بشمال العراق حيث كان ابوه حاكماً لها. ينتمي الى قبيلة (راوند) أو (روند) -بفتح الراء والواو-، وهي قبيلة كوردية استوطنت منطقة ديوين الواقعة في اقليم يريڤان حسب رأي بعض المؤرخين. وهناك من يرى غير ذلك، ويعتبر موطن ميلاده منطقة صلاح الدين الحالية في كوردستان العراق، لكن الموضوع لم يحسم حتى الآن.

ويقول آخرون ان قبيلته كانت تستوطن منطقة رواندوز بمحافظة اربيل (حالياً)، والمهم ان الجميع يتفقون على اصله الكوردي وانتسابه الى تلك القبيلة. وان المناطق المذكورة بسكنى قبيلته هي ايضاً مناطق كوردية. أسس صلاح الدين الدولة الايوبية بأسم ابيه في سنة ١١٧٣م، وهو محرر القدس، ودافع عن جميع الشعوب المسلمة ضد الهجمات الصليبية.

(٦) ماجد عبدالرضا/القضية الكوردية في العراق/ص٢٠ من الطبعة الثانية- بغداد ١٩٧٥.

(٧) عصمت شريف وانلي/العالم العربي وحرب التحرر الوطني في كوردستان العراق/ ٢٨/١٠/١٩٦٣/ص٩-١٠ «كتبه في سويسرا حينما كان سكرتير عام لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي». اعيد الطبع من قبل الحزب الديمقراطي الكوردي في سورية عام ١٩٦٣.

(٨) رضا خان پهلوي هو والد آخر شاه ايراني (محمد رضا پهلوي) الذي اطاحت به الثورة الايرانية في شباط عام ١٩٧٩م.

(٩) أنظر هامش رقم (٧) ص١٠-١١.

(١٠) انظر هامش رقم (٦) ص٣٠. ايضاً كما يقول حليم احمد في كتابه «موجز تأريخ العراق

الحديث» /دار ابن خلدون ١٩٧٨/ ان داود باشا (١٨١٧-١٨٣١) قد قمع انتفاضات القبائل العربية والكوردية بقبضة حديدية. وظل مماليك وولاة بغداد يضربهم مثل هذه الانتفاضات بوحشية.

(١١) نستعمل مصطلح «الايرانية» أو «الفارسية» حسب ما يأتي في سياق النصوص التي نقتبس منها.

(٢١) انظر هامش رقم (٦)/ص٣١.

(١٣) انظر هامش رقم (٧)/ص١١:«منذ القرن السابع عشر عبر الشاعر الكوردي الكبير احمدي خاني ابلغ تعبير عن الشعور الوطني الكوردي وذلك في ملحمته المشهورة (مم وزين)».

(١٤) انظر هامش رقم (٦)/ص٣٧.

(١٥) المصدر السابق ص٣٦.

(١٦) المصدر السابق ص٣٧.

(١٧) ع.شمزيني/ الحركة القومية التحررية للشعب الكوردي/ منشور في جريدة «خه بات» العراقية بغداد-١٩٦٠م. الجريدة لسان حال الحزب الديمقراطي الكوردستاني العراق.

(١٨) كرماشان مدينة كوردية في كوردستان ايران. تكتب خطأ (كرمانشاه)، دخل الخطأ حتى الخرائط الجغرافية. وهي مدينة كوردية عريقة، غنية بالنفط، جميلة بطبيعتها، تقع على الطريق الدولي البري بغداد -طهران، وهي (طريق حرير) التأريخية.

(١٩) كانت هذه المناطق خاضعة للسيطرة التركية آنذاك. ماعدا الموصل، لاتزال بقية المناطق تحت سيطرة تركيا.

(٢٠) جليلي جليل/نهضة الاكراد الثقافية والقومية/الطبعة العربية- ترجمة «باڤي نازي» و«د.ولاتو» عام ١٩٨٤م. انظر ص٢٨.

(٢١) انظر هامش رقم (٦)/ص٤٠.

(٢٢) انظر هامش رقم (٢٠)/ص٧.

(٢٣) المصدر السابق ص١٤.

(٢٤) نفس المصدر السابق ص١٤ ايضاً.

(٢٥) نفس المصدر السابق ص٦١.

(٢٦) نفس المصدر السابق ص٤٦-٤٧.

(٢٧) الرئيس السادات ساهم ايضاً، بصورة غير مباشرة، في ابرام اتفاقية الجزائر التي ادت الى ضرب الحركة الكوردية، حيث كان له دور، الى جانب الرئيس الجزائري بومدين وآخرين، بالتمهيد لتلك الاتفاقية المشؤومة في ٦ آذار ١٩٧٥.

(٢٨) نقصد طرابلس الثورة، ثورة الفاتح من ايلول عام ١٩٦٩م.

(٢٩) د.كمال مظهر/كوردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى/الطبعة الكوردية، بغداد ١٩٧٥م.

(٣٠) انظر هامش رقم (٦).

(٣١) انظر هامش (٢٩)/د.كمال مظهر:«قبل نهاية القرن التاسع عشر كان الخبراء الجيولوجيون يتحدثون بحرارة عن آبار النفط الغنية غير المستخرجة في «باباگورگور» بمنطقة كركوك (كانت ضمن ولاية الموصل)، حتى ان الخبراء الفرنسيين استطاعوا تحديد حوض نفط منطقة كركوك وخانقين (مدينة كوردية اخرى جنوبي كوردستان العراق) وجبل كويخا خلف قصر شيرين (منطقة كوردية في كوردستان ايران) وتقدير هذا الحوض بـ٣٠٠كم٢»

(٣٢) انظر هامش رقم (٧) ص١٣-١٤ (نقل بتصرف).

(٣٣) نفس المصدر السابق ص١٣/عصمت شريف وانلي:«كان العراق العربي مؤلفاً من ولايتي بغداد والبصرة. اما كوردستان الجنوبي فكان مؤلفاً من ولاية الموصل». انظر كذلك:(حليم احمد/ موجز تأريخ العراق الحديث/ دار ابن خلدون، بيروت ١٩٧٨/ص١٩) و(غسان عطية/مجلة دراسات عربية -العدد ١٢ لسنة ١٩٧٢، ص٣٢) عن الكيان العراقي الحديث.

(٣٤) التأكيدات من قبل المؤلف.

(٣٥) كانت ولاية الموصل تضم مدن الموصل، اربيل، السليمانية، وكركوك. بعد تكوين الدولة العراقية الحديثة تم تقسيم الولاية الى اربعة الوية بأسماء هذه المدن الاربع، فصار (لواء الموصل) احد الالوية العراقية، وهو غير الولاية القديمة. وفيما بعد غير العراق الاسماء الادارية فسمى اللواء بالمحافظة، كما غير الاسماء القديمة لبعض المحافظات، وهكذا سمي لواء الموصل بـ«محافظة نينوى»، حيث تقع آثار العاصمة الاشورية المعروفة «نينوى»، ومركزها مدينة الموصل.

(٣٦) الملك محمود الحفيد: اول زعيم كوردي ثار ضد الانگليز بعد احتلالهم للعراق في الحرب العالمية الاولى. كان الشيخ محمود الحفيد البرزنجي يطالب باقامة دولة كوردية مستقلة في كوردستان الجنوبية (كوردستان العراق حالياً). استمرت ثورته الأولى من ١٩١٩/٥/٢١ حتى ٢٩ حزيران ١٩١٩، حيث دحرت القوات البريطانية المتقدمة صوب لواء السليمانية لأحتلالها قوات الشيخ محمود الحفيد الذي اسر مع عدد كبير من رجاله إثر ذلك قرب «به رده قارمان -الصخرة البطلة» في معركة مضيق «بازيان» بين مدينتي كركوك والسليمانية. تبع ذلك ابعاد الشيخ محمود الى جنوب العراق، ومن ثم نفي الى الهند ليعود ثانيةً في عام ١٩٢٢ ويستأنف ثورته من جديد حيث شكل دولة كوردية في نفس العام (عاصمتها مدينة السليمانية)، واعلن الشيخ محمود ملكاً على كوردستان. وشكل حكومة بعدة قوميات في يوم ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢، واتخذ لدولته شعاراً وعلماً وسك عملة وطنية، وأصدر طوابع بريدية وطنية، كما اصدر جريدة (روژى كوردستان- شمس كوردستان) باللغة الكوردية، التي لعبت دوراً خاصاً في الصحافة الكوردية. هذا وقد فشلت هذه الحركة ايضاً والقى القبض على الشيخ محمود وأبعد بعد أخذ الضمانات منه، إلاّ أنه انه في عام ١٩٢٧ ورغم هذه الضمانات عاد الى كوردستان وقاد حركة جديدة، ووجه كتاباً الى المعتمد السامي البريطاني في بغداد يطالب فيها بتخلي الحكومة العراقية عن المنطقة الكوردية

واقامة دولة كوردية. الا ان هذه الحركة فشلت ايضاً بعد ان تعاونت الحكومتان العراقية والبريطانية على قمعها.

ونفي الشيخ محمود مرة اخرى ولم يعد الى كوردستان إلاّ في آيار ١٩٤١ عند قيام حركة مايس الوطنية التي قادها رشيد الگيلاني والضباط القوميون العرب ضد الانگليز. توفي الشيخ محمود عام ١٩٥٤ وقد نقل جثمانه الطاهر الى السليمانية حيث اطلق الشرطة النار على المظاهرات الواسعة التي خرجت لأستقبال الجثمان واصابت عدة رصاصات نعشه مما الهب المشاعر القومية والوطنية لجماهير السليمانية وعموم كوردستان ضد الحكم الملكي الرجعي والاستعمار البريطاني.

(٣٧) انظر هامش رقم (٧) ص٢٩ عن مطلب الحكم الذاتي.

(٣٨) البند (ثالثاً) من التقرير الذي اقرته عصبة الأمم عن كوردستان في ١٩٢٥/١٢/١٦.

(٣٩) انظر هامش رقم (٧)/ ص١٧-١٨.

(٤٠) مصطفى البارزاني (١٩٠٣-١٩٧٩) الاب الروحي للكورد، وهو الزعيم المعروف الذي يرتبط باسمه حوالي نصف قرن من كفاح الشعب الكوردي من اجل حقوقه، اشترك البارزاني في وقت مبكر من حياته في الكفاح المسلح ضد الانگليز. والجدير بالذكر انه بعد الحركات المتعددة التي قادها الشيخ محمود الحفيد ضد الانگليز اندلعت حركات عديدة في منطقة بارزان في عام ١٩٢٠، ثم في عام ١٩٣١ بقيادة الشيخ احمد البارزاني (الشقيق الاكبر لمصطفى البارزاني) وساهم الاخير في هذه الثورة بدور بارز، الا انها فشلت حيث لعب سلاح الجو البريطاني دوراً في قمعها بشكل وحشي.

في عام ١٩٤٣-١٩٤٥ قاد مصطفى البارزاني هذه المرة ثورة في منطقة بارزان توسعت بسرعة هادفة الحصول على الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الكوردي في العراق.وبعد ان منيت القوات العراقية بقيادة الجنرالات الانگليز بهزائم شنيعة عقدت صلحاً مع الثوار، واستغلته خدعة سياسية حيث شن الجيش العراقي وبدعم من سلاح الجو البريطاني في صيف ١٩٤٥ حملة ضد الثوار الذي انسحبوا بقيادة البارزاني ومع عوائلهم الى كوردستان ايران بعد ان خاضوا معركة غير متكافئة ضد الانگليز وحلفائهم. هناك ساهم البارزاني وانصاره في الدفاع عن جمهورية مهاباد (كوردستان) الديمقراطية التي تأسست برئاسة الشهيد القاضي محمد في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦. بعد القضاء على الجمهورية الكوردستانية الفتية في كانون الاول ١٩٤٦ بدأ البارزاني وقواته وآلاف العوائل البارزانية معه بالأنسحاب الى الحدود العراقية-الايرانية في ظروف قاسية جداً، مع اصطدامات متفرقة مع الجيش الايراني، وفي ربيع ١٩٤٧ استطاع البارزاني (بعد استسلام العوائل للحكومة العراقية) استطاع مع ٥٥٠ مسلحاً نشطاً وفعالاً من انصاره ان يحقق مسيرة تأريخية باتجاه الحدود السوڤيتية على طول الحدود العراقية الايرانية التركية، بعد ان خاض معارك عنيفة مع الجيشين التركي والايراني، وعبر مع من معه نهر

(آراس) ودخل الاتحاد السوفيتي حيث بقي ورفاقه لاجئين حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، فعاد الى بغداد عام ١٩٥٩.

وفي ١١ ايلول ١٩٦١ قاد ثورة جديدة ضد حملات جديدة ضد عبدالكريم قاسم على الشعب الكوردي، دامت حتى آذار ١٩٧٥ (حيث انتكست بسبب اتفاقية الجزائر). أهم مكاسب هذه الثورة التي قادها على رأس الحزب الديمقراطي الكوردستاني-العراق والذي يعتبر ايضاً مؤسساً له في آب ١٩٤٦، انها توصلت مع الحكومة العراقية في ١١ آذار ١٩٧٠ الى اتفاقية تم بموجبها انتزاع الاعتراف بوجود الشعب الكوردي وحقه في الحكم الذاتي لكوردستان ضمن الجمهورية العراقية، وبذلك تكون ثورة (١٩٦١-١٩٧٥) اول ثورة كوردية تحقق هدفاً مباشراً من اهدافها، واستمر البارزاني في الكفاح حتى آخر يوم من حياته وهو على رأس الحزب والحركة. وساهم كفاحه الطويل في بث الوعي القومي بين ابناء كوردستان، وتعبئتهم وتوحيدهم وتعليمهم اساليب الكفاح المختلفة، وتعريف العالم بالقضية الكوردية اضافةً الى الاهداف المباشرة التي انجزها، وهو يعتبر من كبار قادة حرب العصابات في العالم.

(٤١) د.محمد الهماوندي/ فكرة الحكم الذتي والاقليات العرقية، دراسة تطبيقية في الوطن العربي/ القاهرة ١٩٨٥. «انظر جريدة گه ل/الشعب اواخر تشرين الاول ١٩٨٥».

(٤٢) (الكماليين) نسبة الى مصطفى كمال اتاتورك، الرئيس التركي الذي نكل بالشعب الكوردي بعد ان تحول عن سياسة التعاون وتنكر للمباديء التي وعد بها الأكراد من قبل. ومما يذكر ان الاكراد، وبناءً على وعود الكماليين، قد تعاونوا تعاوناً وثيقاً مع الحركة الكمالية التي اسقطت السلطان العثماني عام ١٩٢٢.

(٤٣) انظر هامش رقم (٧)/ص١٩-٢٠.

(٤٤) د.فؤاد محمد حسين/ كتابه (المفهوم القانوني لحق تقرير المصير والقضية الكوردية)/ باللغة الانكليزية، صدر في هولندا، كانون الثاني ١٩٨٥. «انظر جريدة گه ل/الشعب ١٦ آيار-حزيران ١٩٨٥).

(٤٥) د.جرجيس حسن/ص٣٨، انظر «بافيل بيفانوفيتش ديمچنكه/ كوردستان العراق الملتهبة/ الطبعة العربية- ترجمة د.جرجيس حسن، مطبعة خه بات ١٩٨٤».

(٤٦) معمر القذافي/ مداخلة في الندوة العالمية حول الكتاب الأخضر في بنغازي بتأريخ ١-٣ اكتوبر/١٩٧٩.

(٤٧) معمر القذافي/وكالة الانباء الليبية/ كانون الاول ١٩٨٠.

(٤٨) معمر القذافي/ جريدة السفير ٢١ آذار ١٩٨٥.

(٤٩) انظر هامش (٤٧).

(٥٠) نفس المصدر السابق.

(٥١) صحيفة «الزحف الأخضر»/ ٩ ديمسبر ١٩٨٥/ مقال (انذار.. انذار).

(٥٢) الشاعر الفلسطيني محمود درويش كتب اواسط الستينات قصيدة عن كوردستان: (عار على بغداد.. دم الاكراد مباح).. الخ، وحّياه شعراء اكراد بإهداء قصائدهم الى محمود درويش، مشيدين بالأخوة بين الشعبين الكوردي والعربي الفلسطيني. وترجموا قصيدته الى اللغة الكوردية. شعراء آخرون من فلسطين ذكروا كوردستان في قصائدهم.

(٥٣) راجع هامش رقم (١).

(٥٤) انظر هامش رقم (٢٩).

(٥٥) انظر هامش (٦)، كذلك ما يتعلق بهامش رقم (٤٣).

(٥٦) ابراهيم احمد، سياسي واديب كوردي، ولد في السليمانية عام ١٩١٢

(٥٧) علي عبدالله، سكرتير الحزب/ تأريخ الحزب الديمقراطي الكوردستاني-العراق/ الطبعة العربية/ ص١١-١٢- مطبعة خه بات ١٩٨٤.

(٥٨) انظر هامش رقم (٦)/ص٨٣.

(٥٩) المصدر السابق ص٩٤.

(٦٠) انظر هامش (٥٧)/ص٩.

(٦١) نفس المصدر السابق ص٢٧-٢٨.

(٦٢) انظر هامش (٧)/ص٣١.

(٦٣) (حلف بغداد) الاستعماري الرجعي عقد في شباط ١٩٥٥ وهو يتألف من ايران، تركيا، العراق، پاكستان وانگلترة باشراف ومساندة الولايات المحدة. كان هدفه ضرب وتجزئة الحركة التحررية العربية والحركة التحررية الكوردية. تحطم الحلف تحت ضربة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الوطنية في العراق، حيث خرج منه العراق. فواصلت بقايا الحلف عملها تحت اسم حلف (السنتو) الذي تحطم هو الآخر تحت ضربة الثورة الايرانية في شباط ١٩٧٩.

(٦٤) كانت زيارة البارزاني للقاهرة قبل وصوله الى بغداد تعبيراً عن تقدير الشعب الكوردي لدور الرئيس الراحل عبدالناصر وصمود الشعب المصري بوجه العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، كما كانت تتضمن تفاهماً حول أهمية التنسيق بين الحركتين التحرريتين العربية والكوردية. وقد استمرت العلاقات الثنائية الخاصة بين البارزاني وعبدالناصر حتى آخر أيام حياة الاخير الذي توفاه الله عام ١٩٧٠.

(٦٥) انظر هامش رقم (٤٥)/ص٣٤.

(٦٦) جريدة گه ل/الشعب، تشرين الاول ١٩٨٥.

(٦٧) شاكرو خوديڤينش/ مسألة الحكم الذاتي للشعب الكوردي في الجمهورية العراقية ١٩٥٨-١٩٧٠/ ترجمه من الروسية د.سيامند سيرني/مخطوطة عربية.

(٦٨) نفس المصدر السابق.

(٦٩) عبدالسلام عارف رئيس للجمهورية العراقية، وطاهر يحيى رئيساً للوزراء آنذاك.

(٧٠) انظر هامش رقم (٦٧).

(٧١) نفس المصدر السابق، يذكر الشاعر في مصدر آخر بـ(خطيب ياسين).

(٧٢) انظ هامش رقم (٤٥)/ص٣٤.

(٧٣) انظر هامش رقم (٦٧).

(٧٤) يقصد بها الثورة التي اندلعت منذ ١١ ايلول ١٩٦١ بقيادة ح.د.ك/العراق وزعيمه البارزاني.

(٧٥) تطلق ادبيات الحركة الكوردية اسم (اتفاقية) على بيان ١١ آذار، على اساس انها ليست مجرد بيان اصدرته الحكومة بل اتفاق بين طرفين: كوردي وحكومي. وقد ذكرنا (اتفاقية) أو (بيان) حسب سياق النصوص المستند عليها.

(٧٦) ميثاق الجبهة الوطنية والقومية الديمقراطية العراقية (جوقد) تشرين الثاني عام ١٩٨٠، وميثاق التعاون للجبهة الوطنية الديمقراطية العراقية (جود) اواخر تشرين الثاني ١٩٨٠، وثيقتان هامتان فيهما وجهات نظر القوى الاساسية للتيارات الثلاث: الحركة التحررية العربية (القومية)، الحركة الديمقراطية (اليسارية)، والحركة التحررية الكوردية، في العراق، حول المهمات الاساسية في تلك المرحلة.

(٧٧) انظر هامش رقم (٦)/ص١٦٤.

(٧٨) مثلاً كتبت «الحرية» في عددها (٩٩٠) الصادر في ١٩٨٠/١١/١٧، ضمن الرد على أسئلة أحد القراء، تقول:

«القضية الكوردية هي واحدة من حيث المبدأ، في العراق او ايران او تركيا.. قضية شعب بين أكثريات من شعوب اخرى ويناضل من اجل تقرير مصيره وضمان حقوقه القومية. وقد سبق لمجلة «الحرية» ان عالجت المنطلقات المبدئية واوضحت ان الاختلاف يكمن في طبيعة الانظمة وكذلك في المتمايزات بين قيادات الحركة الكوردية..».

وبعد ان تعدد المجلة امثلة ملموسة عن الاوضاع في العراق وايران، تختتم بالقول:«ان جوهر موقفنا هو المطالبة بالديمقراطية للشعب والحكم الذاتي للأكراد، ولكننا نميز تماماً بين الانظمة التي يناضل الاكراد ضدها، كسائر الاقليات الاخرى، وبين الاوضاع الثورية التي ينبغي تعميقها والتفاهم في اطارها من اجل حل القضية الكوردية».

(٧٩) اقوال للقذافي منشورة في الفصل الاول.

(٨٠) و(٨١) و(٨٢) انظر هامش رقم (٦).

(٨٣) منهاج الحزب الديمقراطي الكوردستاني- العراق، وهو ثاني اقدم حزب كوردستاني في العراق لازال يعمل، تأسس عام ١٩٤٦. واما اقدم حزب كوردستاني على مستوى كافة اجزاء كوردستان والذي لازال يعمل فهو «الحزب الديمقراطي الكوردستاني-ايران» الذي تأسس في عام ١٩٤٥، واول من ترأسه هو الشهيد الخالد القاضي محمد رئيس اول جمهورية كوردستانية في التأريخ المعاصر. اصدر هذا الحزب جريدة «كردستان» التي لازالت تصدر بهذا الاسم. سنتكلم عن

الشهيد القاضي في القسم الثالث بتفصيل اوفى. طبعاً هناك اليوم احزاب وقوى كوردية اساسية اخرى في سائر اجزاء كوردستان.

(٨٤) عصمت شريف وانلي/ انظر هامش (٧). هذا وقد قدم وفد كوردي مذكرة بهذا المعنى الى مؤتمر القاهرة حول الوحدة العربية بتأريخ ٨ نيسان ١٩٦٣، وكان الرئيس جمال عبدالناصر يترأس المؤتمر الذي كانت تحضره وفود رسمية من الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق، كان المؤتمر يبحث في الوحدة الثلاثية بين هذه الاقطار.

(٨٥) الكتاب الأخضر.

(٨٦) و(٨٧) و(٨٨) من اقوال القذافي وردت في القسم الاول.

(٨٩) جمال عبدالناصر/ ربيع عام ١٩٦٣ في حديثه للوفود الحكومية العراقية. (انظر باب «عبدالناصر: مرحلة ثالثة من الكفاح العربي-الكوردي المشترك» في هذا القسم).

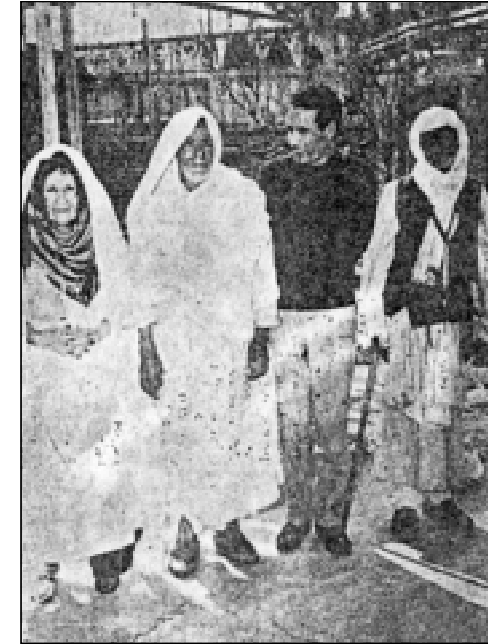
(٩٠) يدافع القذافي عن الحقوق القومية لكافة الاقليات التي تعيش في الوطن العربي، مثلما هو موقفه من مشكلة الاقليات في العالم قاطبةً.

(٩١) كما قلنا، فقد نقلنا -بتصرف- معلومات من مقال الاستاذ «رمي شيخو الفرحة».

وقد برزت اصوات خيرّة بين المثقفين تطالب بإلغاء تلك المشاريع المتخذة عام ١٩٦٢ بحق الشعب الكوردي، مثلما انعكس بشكل ما في الصحافة الرسمية. اثناء اعداد هذا الكتاب للطبع (اوائل عام ١٩٨٦) اشار احد كتاب صحيفة «تشرين» اليومية السورية/ الصفحة الاخيرة/ بتأريخ ١١ كانون الثاني ١٩٨٦ الى الآثار السلبية للأحصاء، اذ كتب الكاتب السوري «وليد معماري» عن بعض هذه الآثار، ومنها حرمان الطلبة الذين لم تدرج اسماؤهم أو اسماء آبائهم في إحصاء عام ١٩٦٢، ودعاء الكاتب بأنه «قد آن الأوان لإعادة النظر في أمور هذا الاحصاء الرجعي، والرجوع عن الخطأ فضيلة»، واضاف:«ان مثل هذه الاخطاء يمكن الرجوع عنها...».



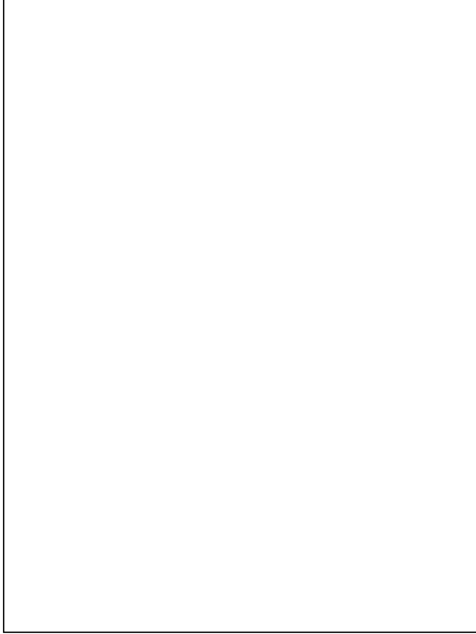
القذافي والضباط الأحرار في تظاهرة بعد الثورة – ١٩٦٩



من اليسار: عائشة والدة معمر القذافي، ابو مينار
والد القذافي، معمر القذافي وعم القذافي



القذافي في محطة اذاعة بنغازي يلقي كلمة
بداية الثورة الليبية ١/ايلول ١٩٦٩



القذافي إبان الثورة في طرابلس

القسم الثالث

القضية الكوردية

مقدمة: يتكون هذا القسم من بابين:

اولاً: الكورد وكوردستان– نبذة جغرافية– تأريخية، مع استعراض نضالات الأمة الكوردية وتضحياتها، وحاضر القضية الكوردية.

ثانياً: نظرة على الثقافة الكوردية.

هدف هذا القسم ببابيه هو التأكيد على صحة تسمية الكورد «بأمة»، من قبل القذافي، «أمة مستقلة» يجب أن تحترم، أمة لها كافة مقومات الأمة، الجغرافية والتاريخية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المشتركة.

سيتبين في هذا القسم بأن الأمة الكوردية هي إحدى الأمم العريقة في الشرق الاوسط، ذات التأريخ الطويل، تعيش مع الأمم الرئيسية الاخرى في المنطقة، الأمة العربية، والامة الفارسية، والأمة التركية. فهي أكبر أمة على سطح الارض لم تنل حتى الآن أبسط حقوقها القومية كأمة، ولا حتى حقوقها الثقافية والادارية في الاجزاء التي تتمزق عليها نتيجة التقسيم الاستعماري لكوردستان خاصةً منذ الحرب العالمية الاولى.

كل ذلك يفسر، ويؤكد صحة، قول القذافي بأن «الاكراد يجب ان يكونوا أمة كوردستانية في تلك المنطقة، وتكون هذه الأمة شقيقة للأمة العربية، والأمة التركية، والأمة الفارسية، وتأخذ مكانها على قدم المساواة مع هذه الأمم».

اما حاضر الامة الكوردية فيتميز بكونها «أمة.. ممزقة مستعمرة مهانة مضطهدة...» –يقول القذافي– «فينبغي أن تستقل هذه الأمة..وان تحترم هذه الأمة..»[١]

الفصل الأول

الكورد وكوردستان

يشكل الشعب الكوردي أمة تتميز بكافة المقومات العلمية لهذا التعبير، باعتبارها مجموعة بشرية ثابتة لها خصائصها، من لغة واحدة (هندية–اوربية من الفصيلة الآرية او الايرانية، مستقلة عن الفارسية، استقلال الفرنسية عن الايطالية مثلاً في فصيلة اللغات اللاتينية)، وارض واحدة (كوردستان) وتكوين تأريخي مشترك، وعلاقات اقتصادية داخلية مشتركة، وثقافة وطنية تعبر بقوة عن نفسية هذه الأمة ووحدة شعورها الوطني الكوردي، فالشعب الكوردي أمة قائمة بذاتها تقيم دون غيرها في وطنها كوردستان، ولكنها أمة مضطهدة مهضومة الحقوق، ومجزأة البلاد سياسياً.

فما يزال الاكراد، وهم مجموعة عرقية كبيرة في الشرق الاوسط، حتى اليوم محرومين من حقوقهم القومية، على الرغم من أنهم يكونون واحداً من أقدم الشعوب القاطنة في جنوب غربي آسيا. فالمصادر التأريخية الموثوقة تشير الى أن الاكراد موجودون منذ ألفي سنة قبل الميلاد[٢]، وان الاحداث السياسية والعسكرية والثقافية التي شهدتها الامبراطوريات الشهيرة البائدة (الآشورية، البابلية، الايرانية في مختلف عصورها ثم العصر الاسلامي، حتى العثماني، والامبراطوريات التي امتدت الى المنطقة من خارجها مثل الرومانية واليونانية، والمغول والبريطانيين ....الخ) والدول المعاصرة في هذه المنطقة لتشهد على أن الاكراد كانوا من المساهمين فيها. وكان بين الاكراد قادة عسكريون بارزون كثيرون (كالقائد الشهير صلاح الدين الايوبي الذي احرز النصر على الصليبيين، وكريم خان زند «أو الزندي») وشخصيات سياسية، وكانت منهم نجوم تألقت في مجالي الأدب والفن، كذلك في الإدارة والقضاء وعلوم الدين.

وقد أسهم الاكراد أسهاماً كبياً في حركة التحرر الوطني لشعوب تركيا وايران والاقطار العربية، تلك الحركة التي كانت ترمي الى التحرر من الاستعمار، وفي أيامنا

هذه يشترك الاكراد فعلياً في الكفاح الذي تدور رحاه على نطاق واسع في هذه المنطقة. ولهذا يزداد الاهتمام العالمي بالشعب الكوردي وتأريخه وثقافته واوضاعه الراهنة.

ان كلمة «الاكراد» او «الكورد»[٣] تطلق على ذلك الشعب الذي سكن منذ القدم وطنه المعروف بـ«كوردستان». يقول الكاتب الالماني «گونتر ديشنر»:«ان الاكراد بإعتبارهم من أقدم شعوب الارض التي عرفت الحضارة قد تم التطرق اليهم حوالي عام ٢٣٠٠ قبل الميلاد وذلك في الكتابات السومرية التي عثر عليها علماء الآثار. ومن الناحية العلمية ينظر الى الاكراد في البحوث التاريخية العلمية باعتبارهم أحفاد الميديين، كما يعتبر الميديون انفسهم اكراداً». (انظر كتاب احفاد صلاح الدين/لمؤلفه الالماني «گ.ديشنر»، والترجمة مقتبسة من مخطوطة ترجمة عربية للكتاب من قبل السيد عبدالسلام برواري، مقيم في ڤينا). كما وردت كلمات (الكورد وكوردستان) في مذكرات الكثير من القادة والشخصيات التأريخية الذين مروا او غزوا كوردستان. اذ ذكرهم المؤرخ اليوناني «زينفون»[٤] في مذكراته التي كتبها عام ٤٠١ قبل الميلاد، كذلك ذكر «اردشير بابكان» مؤسس الدولة الساسانية (الايرانية) عام (٢٢٦)م، اسم (ماكي) ملك الاكراد من بين أعدائه. واستعمل المؤرخون العرب اصطلاح كوردستان، فكان أول من استعمله هو المستوفي القزويني عام ٧٤٠هـ، في كتابه (نزهة القلوب).

وهكذا فان مصطلح (كورد) منذ الأزمنة الغابرة يعني مجموعة العشائر الكوردية القاطنة آنذاك في القسم المركزي من كوردستان الحالية[٥].

وهذا الواقع يدحض كافة النظريات الرجعية التي يروجها الشوفينيون من أبناء الدول المجاورة عن اصل الاكراد وعن انكار سماتهم كشعب متميز. منها النظريات التي تدعي بأن الاكراد هم «عرب سكنوا الجبال» وصارت لهم لغتهم الخاصة او انهم من أصل فارسي أو «أتراك جبليون» الخ... اي النظريات الرجعية التي يروج لها الاستعمار والعنصريون خدمةً لأغراضهم العدوانية والاستغلالية ضد الشعب الكوردي[٦].

ان تاريخ الشعب الكوردي حتى بالنسبة للقرون الاخيرة يتعرض للتشويه من قبل بعض البحاثة والكتاب الفرس والعرب وبعض المستشرقين الذين تجاهلوا الحقائق

بدافع التمييز ضد الاكراد او بسبب الجهل وانعدام الوثائق والمصادر. ولم يقف الأمر عند حد اقوال الصحف والتصريحات الرسمية، بل مارست الحكومات التركية والايرانية والعربية سياسة «التتريك» او «التفريس» أو «صهر الاكراد في بوتقة القومية العربية» -التعريب-، يضاف الى ذلك منع الاكراد من ممارسة حقوقهم الثقافية وبالتالي حرمانهم من الحديث عن اصل امتهم ووطنهم، بحيث لانجد حتى اليوم كتباً مدرسية مكرسة لتاريخ الكورد، كما هو شأن الأمم الاخرى. ولم يدرس هذا التأريخ دراسة شاملة ووافية. ولكن كانت قد صدرت كتب وبحوث موضوعية معدودة، تنصف تأريخ الاكراد، من قبل الكتاب والباحثين التقدميين العرب والاتراك والايرانيين، فان اعداداً مضاعفة، من الكتب والبحوث غير الموضوعية قد صدرت وهي تشوه هذا التاريخ. غير ان مالايقبل النقاش هو ان للشعب الكوردي شأن أي شعب آخر، تأريخه، امجاده، حضارته، تراثه الفكري... الخ، وليس صدفةً أن يكون هذا الشعب قد استطاع الاحتفاظ بلغته الخاصة وبأرضه التي سكنها طوال آلاف السنين صامداً امام حملات الغزو والابادة المتكررة مكابداً مآسي الاحتلال والاضطهاد والتجزئة المزمنة لوطنه[٧].

يتفق أكثر العلماء والباحثين عن أصل الاكراد على أنه منذ اقدم العصور كانت تقطن منطقة جبال زاگروس -كوردستان الحالية- اقوام وعشائر مختلفة منها: گوتي لولو، خالدي، كالدي، كاسي (كاثي) او كاتي، سورباهوري وغيرها. ولقد ابتدأ غزو تلك المنطقة منذ ٢٠٠٠ سنة ق.م (أي قبل حوالي أربعة آلاف سنة) من قبل الاقوام الهندو-اوريبة وعلى الاخص منها الشعوب الايرانية (الماديين والپارتيين والفرس) وقسم من الاقوام السامية وغيرها ثم استقرت هذه الاقوام في هذه المنطقة.

وخلال عصور عديدة ونتيجة اختلاط طويل الأمد بين الاقوام الغازية وسكان هذه المنطقة الاصليين تمكنت هذه الموجات الغازية من الاقوام الهندو-اوريبة وخاصةً الاقوام الايرانية ان تنصهر كلياً مع السكان الاصليين في هذه المنطقة.

ونتيجة لهذه العملية الطويلة الأمد تكون الشعب الكوردي الذي ساد فيه العنصر الهندو-اوربي اي ان الاكراد كما يؤكد اغلب الباحثين ينتمون الى المجموعة الآرية الهندو-اوربية[٨].

فالأكراد أمة مستقلة قائمة بذاتها تكونت تدريجياً وفي مجرى تطور طويل، مارّة

بمراحل التطور المختلفة؛ فهم ليسوا جزء من أية أمة أخرى. ونظراً لمجاورتهم للأقوام الاخرى فهناك روابط بين تاريخهم (تاريخ الاكراد) من جهة وتاريخ العرب والفرس والاتراك من جهة اخرى، تكونت عبر الزمن. فالأكراد قد اعتنقوا الاسلام بعد الفتح الاسلامي لبلادهم عام ٦٤٠م وساهموا بقسط ملموس في بناء الحضارة الاسلامية، وعاشوا حقبة زمنية طويلة سواء برغبة منهم أو بدونها، ضمن الامبراطوريات الاسلامية العربية والفارسية والتركية، وقد زوّدوا هذه الامبراطوريات بالعديد من القادة العسكريين ومن رجال العلم والادب والفن ممن كانوا اكراداً من حيث قوميتهم ولكنهم كرسوا نشاطاتهم لخدمة الحضارة والثقافة (الاسلامية) العربية او الفارسية[٩].

لقد حافظت اللغة الكوردية[١٠] على ذخيرتها الكلامية الاصيلة وقليلاً ما تأثرت باللغة العربية والتركية. واللغة الكوردية تنتمي الى عائلة اللغات الهندو-اوربية. وهذه الحقيقة تساهم في دحض الزعم الذي ينسب الاكراد الى اصل تركي أو عربي (حيث ان اياً من اللغتين التركية أو العربية لاتنتمي الى عائلة اللغات الهندو-اوربية)، وبرغم صلة القرابة بين اللغتين الكوردية والفارسية، فانهما لغتان متمايزتان شأن اللغتين الروسية والبلغارية مثلاً.

والاهم من ذلك انهما لغتان مختلفتان -مع العلم أنه قد تكون هناك لغة مشتركة لأمتين مختلفتين او لعدة أمم مختلفة.

لايصح القول بأن الاكراد من أصل فارسي أو ان الفرس من أصل كوردي. والصواب كما يبدو أن الاكراد والفرس انحدروا من أصل واحد لم يعد موجوداً الآن شأن الأمم السلافية مثلاً التي انحدرت من أصل واحد[١١].

كوردستان:

كلمة«كوردستان»[١٢] تعني حرفياً: موطن الكورد، او الاكراد.

تبلغ المساحة العامة لكوردستان (بكافة اجزائها) ما يزيد عن (٤٥٠) الف كيلومتر مربع[١٣]، وهي بذلك تبلغ ضعف مساحة بلدان مثل انكلترا أو المانيا الاتحادية.

يدخل حوالي نصف هذه المساحة ضمن اراضي تركيا المعاصرة، (كوردسان-تركيا).

واكثر من ١٥٠ الف كيلومتر مربع تقع ضمن ايران، (كوردستان-ايران).

وما يقارب ٧٥ الف كيلومتر مربع ضمن العراق، (كوردستان-العراق).

و١٥ الف كيلومتر مربع ضمن سورية، (كوردستان-سورية).

ان اراضي كوردستان متصلة ببعضها. وبغية إعطاء صورة أوضح عن التوزيع الجغرافي- السياسي لأجزاء كوردستان، في الوقت الحاضر، نقول:

ان كوردستان تركيا تشمل الولايات الشرقية من تركيا.

وكوردستان-ايران تشمل المحافظات الغربية من ايران.

وكوردستان-العراق تشمل المحافظات الشمالية، والشمالية-الشرقية.

وكوردستان-سورية تشمل ثلاث مناطق في شمال سورية، وهي: القسم الشمالي من محافظة الجزيرة، ومنطقة عين العرب عند مدخل الفرات في الاراضي السورية، وجبل الاكراد، عفرين.

وهكذا فكوردستان تشكل وحدة جغرافية واتنولوجية متواصلة الاجزاء، مجّزأة سياسياً بين عدة دول.

واذا أراد القارىء العزيز ان يتصور خريطة جغرافية لكوردستان الكبرى، فعليه أن يربط هذه المعلومات ببعضها:

تقع كوردستان بين الدرجتين ٣٤ و٤٠ من خطوط العرض الشمالية، وبين الدرجتين ٣٨ و٤٨ من خطوط الطول الشرقية. وهي تشغل كل الجزء الاوسط من الشكل الرباعي الذي يحده البحر الاسود والبحر الابيض المتوسط من الشمال الغربي والجنوب الغربي، وبحر الخزر (قزوين)، والخليج العربي من الشمال الشرقي والجنوب الشرقي.

وتمتد اراضي كوردستان من الغرب الى الشرق على مساحة تقارب الألف كيلومتر، ومن الشمال الى الجنوب على ما بين ٣٠٠ و٥٠٠ كيلومتر. فتبلغ المساحة العامة لهذه الاراضي ما يزيد عن (٤٥٠) الف كيلومتر مربع.

كما يمكن تحديد خريطة كوردستان بالشكل التقريبي التالي: في الشمال مبتدئة من جبال آرارات في تركيا باتجاه مباشر نحو القسم الجنوبي من جبال زاگروس وپشتكوه في ايران، ومن هناك بخط مستقيم الى الشمال الغربي باتجاه مدينة الموصل في

العراق، ومن هناك باتجاه مباشر نحو ميناء الاسكندرونة ومن ثم بخط مستقيم حتى أرضروم، ومن ثم بإتجاه الشرق حتى آرارات.

وأرض كوردستان على العموم جبلية تتخللها السهول، وتغطي الغابات مساحة كبيرة منها[١٤]. فسلاسل الجبال من الشمال كذلك سلسلة جبال زاگروس تقاطع كوردستان طولاً وعرضاً، ويزيد ارتفاع قمم بعض الجبال فيها على ثلاثة (٣-٤) آلاف متر، ولذلك فان كوردستان تشبه قلعة طبيعية محاطة بطرق برية يصعب الدخول اليها، وخصوصاً في الشتاء حيث البرد القاسي والثلوج الكثيرة[١٥].

كوردستان غنية بالثروات المعدنية،كذلك الزراعية والحيوانية.

في مقدمة ثروات كوردستان الطبيعية يأتي النفط. طبعاً ان حقول نفط كركوك[١٦] الواقعة في كوردستان العراق هي من أكثر الحقول شهرة، حيث تبلغ ارقاماً عالمية، سواء من ناحية انتاجية الآبار (من ٥ الى١٠ آلاف طن في اليوم) او من ناحية استخراج النفط لكل متر من الآبار المحفورة (٣٣٠٠ طن) أو من ناحية كلفة الاستخراج (في المتوسط في الستينات -٢ . ٤ سنت للبرميل نظير ١٥١ سنتاً في الولايات المتحدة الامريكية، و٦٣ سنتاً في فنزويلا، و٨ . ٩ سنتاً في الكويت، و٥ . ٩ سنتاً في السعودية).

وهناك حقول نفطية كثيرة يجري استغلالها وتقع في المناطق الاخرى من كوردستان في العراق وايران[١٧] وتركيا وسورية او تقع في اراضي قريبة جداً منها. ويكفي ان نذكر أن اغنى حوض «للذهب الاسود»[١٨] في العالم هو في منطقة الخليج التي تجاورها كوردستان مباشرةً.

هذه المعطيات تؤكد أهمية دور كوردستان في الساحة العالمية، وليس في سياسات بلدان الشرق الاوسط وحدها هذا الدور الذي يعنيه:

أولاً: موقعها الجغرافي.

ثانياً: طبيعة ارضها.

ثالثاً: ثرواتها الطبيعية ولاسيما النفط.

رابعاً: مجاورتها لأهم «حوض للذهب الاسود» في العالم (يعني في الخليج والشرق الاوسط، وفي حوض قزوين).

ان كوردستان، بهذا المعنى، تنام على آبار من النفط، في قلب الشرق الاوسط، وعلى مشارف الخليج، اضافةً الى طبيعة ارضها، وكونها قريبة من حدود الاتحاد السوڤياتي الجنوبية (ماوراء القفقاس). وبهذا المعنى ايضاً صار «النفط» الذي يضيء منازل الآخرين وحياتهم[١٩]، جحيماً للشعب الكوردي، لأن الاطماع الاستعمارية في هذا «الذهب الاسود» هي التي قسمت كوردستان[٢٠] تقسيمها الاخير في الحرب العالمية الاولى، مما شكل أكبر عقبة امام كفاح الشعب الكوردي وتحقيق امانيه المشروعة في التحرر الوطني والوحدة القومية والتقدم الاجتماعي.

عدا النفط والغاز الطبيعي والكبريت فان الاراضي الكوردية غنية بالثروات الطبيعية الاخرى من بينها خامات الكروم في كوردستان تركيا، وهي من أثمن الخامات وتوجد في كوردستان بكميات هائلة، كذلك معادن الحديد، النحاس، الرصاص والزنگ، النيكل، الفحم واحجار البناء بكميات ضخمة علاوةً على الرخام الذي يعتبر من أعظم ثروات كوردستان، وهو من نوعية جيدة جداً، ومعادن اخرى..

كما ان الموارد المائية، ومساقط المياه الطبيعية، في كوردستان تشكل قدرة اقتصادية هائلة، سواء لتوليد الطاقة الكهربائية او للزراعة.

اخيراً فان هذه البلاد الجميلة (لو تخلصت من الاضطهاد القومي والحروب العدوانية) تتمتع بامكانيات ملائمة لتطوير صناعة الاخشاب والزراعة، ولتربية المواشي، بفضل كثرة المراعي الممتازة المتوفرة هناك. فكوردستان -رغم الحروب والدمار- تزود بلدان المنطقة بالأنتاج الزراعي (الحبوب والفواكه لاسيما العنب والتفاح والتين والجوز، كذلك التبغ والقطن.. الخ) وبالأنتاج الحيواني مثل الماعز والابقار والبغال والاغنام، لاسيما كوردستان تركيا وكوردستان ايران... تشير التجارب الى انه، لدى توفر الظروف والامكانات الملائمة، يمكن تطوير زراعة التبغ وتحسينه، وزراعة التفاح والعنب والطماطة وغيرها بحيث ترقى كوردستان الى الدول النموذجية في العالم لأنتاج وتصدير هذه المحاصيل وجودتها.

اما الطبيعة الخلابة لكوردستان فتؤهلها لتكون موطناً لمئات المصايف الجميلة التي يمكن ان تكون موضع جذب خاص للسياحة والاصطياف. يكفي أن بعض القرى، ولوحدها تملك ٣٠-٤٠ ينبوعاً طبيعياً جميلاً، وهناك المئات من الوديان والمضايق

ومساقط المياه والينابيع والسفوح التي تصلح لأماكن الراحة والاستجمام والاصطياف، مثلما حلم بها الشاعر الكوردي (پيره ميرد)[٢١] في احدى قصائده الرائعة. فكوردستان «قارة مجهولة لم تكتشف بعد» مثلما قال اديب كوردي[٢٢]. فلاتكفي عدة اسطر للتعبير عن الجمال الفطري الكامن في هذه «القارة المجهولة»، هذا الجمال الذي يطمسه ويشوهه و«يحرقه» الدمار الشامل الذي تحدثه حروب الابادة والتصفية الجسدية الجماعية، والحرق المتعمد لغاباتها، وطمس ينابيعها، من قبل الحكومات الشوفينية المتسلطة.

عدد السكان:

يكون الاكراد الاكثرية الساحقة من سكان كوردستان. والمعطيات الحديثة تشير الى أن عدد الاكراد يبلغ حوالي ٢٠-٢٢ مليوناً، على اقل تقدير.وثمة تقديرات متنوعة تبين ان نسبة الاكثرية الكوردية في مختلف اجزاء كوردستان تبلغ أكثر من ٧٥٪ وتبلغ الـ٩٠٪ في بعض الاماكن.

يعيش ٨٥٪ من مجموع الاكراد في كوردستان، اي الوحدة الجغرافية المتصلة التي تكون «كوردستان» اما ١٥٪ الباقون فيعيشون في مناطق مختلفة من العالم؛ في افغانستان، وپاكستان، ولبنان، كما ان هناك الان جالية كوردية في اوروپا الغربية تقدر بـ(٦٥٠) الف نسمة، واماكن اخرى من العالم، تشردوا نتيجة الاضطهاد او الفقر. كما توجد مئات ألاآف من الاكراد في غرب تركيا، وشمال شرقي ايران. هؤلاء هم من بقايا حملات التهجير الجماعي للأكراد، التي نفذتها الامبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الاولى، والامبراطورية الايرانية منذ ٤ قرون وحتى اوائل هذا القرن بصورة خاصة، وحتى عهد قريب بصورة عامة.

يقدر الاكراد في محافظة خراسان (شمال شرقي ايران) بأكثر من مليون نسمة. فأغلبية الاكراد في المثلث الحدودي الايراني-الافغاني-السوفياتي (سواء داخل ايران أو داخل افغانستان او الاتحاد السوفياتي) هم من بقايا حملات التهجير «الشاهنشاهية!». كذلك يوجد اكراد في حوض البنجاب في الهند ومجموعات كوردية صغيرة شمال افريقيا.

قلنا ان ٨٥٪ من مجموع السكان الأكراد يعيشون الآن على رقعة كوردستان

الجغرافية. وإنطلاقاً من حسابات تقريبية فأن ٤٧٪ من جميع الاكراد يعيشون في تركيا، وأكثر من ٣١٪ في ايران وحوالي ١٦٪ في العراق و٥ . ٣٪ في سوريا و١٪ في الاتحاد السوفياتي و٥ . ١٪ في الاقطار العربية الاخرى. ونستطيع ان نستنتج من هذه الارقام استنتاجين مهمين على الاقل:

اولاً: أن الاكراد في هذه اللحظة الراهنة هم أكثر شعوب العالم المحرومة عدداً، فهو اكبر شعب لم ينل حتى الآن حقوقه الوطنية.

ثانياً: ان الاكراد يكونون أضخم أقلية عرقية في كل بلد من بلدان الشرق الاوسط التي يوجدون فيها. ففي تركيا يكونون ٨ . ٢٣٪ من مجموع سكان تركيا كلهم، وفي ايران ١٦٪ وفي العراق ٢٨٪ وفي سوريا ١١٪. ومن هذه النسب وحدها نستطيع ان ندرك أهمية المسألة الكوردية وجدّيتها.

طبعاً حين يتناول المسؤولون الرسميون والكتاب الشوفينيون من القوميات الاخرى السائدة، حجم ومجموع مساحة وسكان كوردستان ونسبها المختلفة فانهم يحاولون ما امكن التقليل من عدد السكان والمساحة الجغرافية وتقليصها الى أصغر رقم ممكن، هذا اذا لم لكن لهم بد من الاشارة الى وجود شعب بأسم الشعب الكوردي. لكن إلتهاب القضية الكوردية إلتهاباً مستمراً ومزمناً، بسبب عدم حلها، يدحض دوماً حسابات، هذه الحسابات الخاطئة التي تجعلهم دوماً يقدرون الوضع تقديراً سيئاً وخاطئاً فيقعون، ويوقعون انفسهم وشعوبهم، في مزالق وكوارث مما يزيد القضية ايضاً تعقيداً وإلتهاباً.

الدين والعادات:

كان الاكراد حتى النصف الاول من القرن السابع الميلادي (الى جانب دخول بعضهم في الدين المسيحي) يعتنقون الديانة الزردشتية التي أسسها «زردشت» الذي يشير الباحثون الى اصله الكوردي. تقول المصادر التأريخية أنه ولد وعاش خلال اواخر القرن السابع -اوائل القرن السادس قبل الميلاد. تحدد بعض المصادر حياته بـ(٦٢٨-٥٥١ ق.م). ولد من قبيلة (سپيتاما) الكوردية التي كانت تقطن عند اقدام سلسلة جبال زاگروس في منطقة شمال غرب كوردستان ايران حالياً. تعلم زردشت وتعمق في الديانة الكوردية السائدة آنذاك ثم صار رجل دين فيها، وبعد بلوغه الثلاثين من عمره

دعا الناس الى دينه الجديد، دين «اهورامزدا» خالق الخير والشر، والى تعاليمه المشهورة الملخصة في الثالوث «فكر خيراً، قل خيراً، اعمل خيراً» «فكر جيداً، قل جيداً، اعمل جيداً»، أو بالكوردية:« بيرى چاك، ووته ى چاك، كرده وه ى چاك» وتعني هذه التعاليم التزام الانسان بوحدة الفكر (او التفكير والضمير) والقول والعمل (الممارسة)، فكان كل زردشتي ملزماً بترديد وذكر ذلك مراراً وتطبيقه على كافة شؤون حياته العائلية، والزراعية والتجارية... الخ. كان زردشت يؤمن بان الله واحد (اهورامزدا) خلق العالم في ست مراحل (أو ستة أيام) كما يقول بعض المفسرين لمذهبه، وأنه في المرحلة السادسة قد خلق الانسان على صورته. هذا الاله الأوحد (حسب زردشت) هو خالق الخير والشر، وبذلك يكون قد قال بالديالكتيك، الصراع بين الخير والشر، بين النور والظلام، الذي سينتصر فيه الخير والنور في النهاية وذلك بمجيء المنقذ الذي يأخذ بيد البشرية ليخلصها من الشر والظلام.

انتشرت تعاليم زردشت انتشاراً واسعاً فصارت ديناً رسمياً للأمبراطورية الايرانية (٥٥٢–٤٨٦ ق.م)، وازدهرت في العهد الساساني (٢٢٦–٦٥٢ م)، كما ظلت منتشرة بين الاكراد حتى الفتح الاسلامي (عام ٦٤٠م)، ومازالت موجودة على نطاق ضيق في ايران، والهند وبلدان عديدة اخرى.

يقول البيروني (٩٧٣–١٠٤٨) ان زردشت قد استشهد على ايدي الغزاة الطورانيين، كما ان الشاعر الايراني الفردوسي في عام (١٠٠٠م)، يصف مصرع زردشت وصفاً دقيقاً. اما تعاليمه فقد جمعت في كتاب «آويستا/أو آفيستا» المكتوب باللغة البهلوية القديمة، القريبة من اللهجة الگورانية الكوردية القديمة (التي كانت احدى اللهجات الاساسية في الثقافة الكوردية قديماً). اما اكبر محقق معاصر في الديانة الزردشية فهو الباحث الايراني «بورداود». وقد اثرت تعاليم زردشت في الكثير من الفلاسفة والمفكرين، منهم «افلاطون» –حسب بعض الباحثين– الذي اقتبس منه جدليته، و«نيتشه» الذي كتب (هكذا تكلم زردشت)، ولتعاليمه، وحتى مصطلحاته، تأثير واضح في الكثير من اهل العرفان والتصوف الاسلامي والكتاب منذ فجر الاسلام.

بعد ظهور الاسلام ودخوله كوردستان (عام ٦٤٠م) فقد تقبلته الاغلبية الساحقة من الاكراد؛ واليوم فان الاغلبية من الاكراد هم من المذهب السني في الاسلام. وقرابة

٢٥٪ منهم من المذهب الشيعي، ومن بعض الطوائف وفرق التصوف والعرفان، بنسب مختلفة في كافة الاجزاء، قسم منهم[٢٣] اساساً هم من الفرق وطوائف التي تتميز بأنها تحتوي على عناصر من العقائد الكوردية والشرقية القدية مثل الزردشتية والميترائية (نسبةً الى ميترا الذي ظهر في منطقة كرماشان) كما اختلطت بها حتى البودائية والهندوسية والمسيحية واخذت في وقت لاحق أهم آدابها من الاسلام، وبسبب هذه الخواص تعتبر ايضاً فرقاً اسلامية.

واما اليزيديون فيزيد عددهم عن (٢٠٠) ألف كوردي وهم يؤمنون بدين خاص يحتوي كذلك على بعض عناصر العقائد الشرقية القديمة التي تعود جذورها الى الديانات الكوردية لما قبل الاسلام. ويعتقد علماء الاستشراق بأن اليزيدية (التي هي اقرب الى الزردشتية كما يرون) هي من الديانات الكوردية القديمة. وطرأت عليه بعض التغييرات تحت تأثير الاسلام. ولعل القرابة بينها وبين الزردشتية هي التي جعلت المستشرقين يؤكدون على اعتبار اليزيدية هو الدين القديم للأكراد، مثلما يقول بعض الباحثين ايضاً عن «اهل الحق» وطوائف اسلامية اخرى. ذات صلة بالزردشتية وربما قبلها ايضاً، مثل الاحتفال بعيد نوروز (٢١ من مارس كل عام). وهي طقوس جميلة ومفيدة اجتماعياً وثقافياً.

يلاحظ كذلك ظهور وتطور شبكة واسعة من طرق ومذاهب التصوف في كوردستان منذ قرون ولازالت جزئياً حتى وقتنا هذا. بعض الفرق الدينية الكوردية لم تكن في البداية سوى طرقاً أو مذاهب صوفية، او حركات اجتماعية ضد الظلم والاستبداد. وقد لعبت ولازالت طرق التصوف تلعب دوراً كبيراً في حياة الاكراد الدينية والاجتماعية والحضارية. وكان بعض قادة الثورات والانتفاضات الكوردية، في نفس الوقت، مرشدين او قادة لطرق التصوف.

اما عن العادات والتقاليد الاجتماعية للشعب الكوردي فقد كتب الكثير عن حبه للحياة، رغم مرارتها بالنسبة له، واحترامه للعمل، واحترام الرجل الكوردي للمرأة، وشجاعته، ودور المرأة الكوردية في الاسرة والمجتمع.. الخ، ولنترك جانباً ما يتحدث به الاكراد عن انفسهم، فلابد ان يصفوا انفسهم بما هو حسن وجميل[٢٤]. ولنقرأ ما كتبه الآخرون عنهم.

ورد في «دائرة المعارف الانكليزية الكبرى»: (أن الشؤون المنزلية والاحوال العائلية في الشعب الكوردي بلغت من التقدم والرقي مبلغاً عظيماً. فالكوردي بشوش طيب القلب شديد الغيرة، محب للضيوف. والمرأة الكوردية تتمتع بقسط كبير من الحرية الجريئة أكثر من نساء الفرس والترك، فهي سافرة غير محجبة. والاكراد عموماً لايميلون الى تعدد الزوجات سوى بعض الاغنياء منهم، ويحبون الموسيقى والرقص كثيراً). (أنظر: محمدأمين زكي/ خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، الطبعة العربية، ص٢٩٣، ترجمة محمد علي عوني، القاهرة ١٩٤٥م).

كما كتب الكثير من المستشرقين الكتاب والرحالة والصحفيين الاجانب عن طيبة هذا الشعب، ربما يلخصه حديث للصحفي السوڤيتي ب.ديمچنكه اثناء زياته لكوردستان العراق صيف عام ١٩٦٣، اذ يقول:

«... الى الشمال من كركوك تبدأ الجبال فتتراءى لك هنا وهناك على جانبي الطريق غابات من الحور واشجار السرو والصنوبر الألبي وأشجار الكروم. لقد مضى شهر حزيران ونقلت الحنطة والشعير من الحقول، فترى بين حين وآخر أكواماً من حبوب الذرة في اطراف القرى، والفلاحون مشغولون بسقي التبغ أو بدق (درس أو دوس) الحنطة والشعير بطرقهم الخاصة، بواسطة جرار يشبه، الى حد كبير، مزالقنا، وهو مشدود ببغلين او حمارين يسيران في محور مدور وهو يقطع السنبلة وتقشر الحبة».

«يختلف الفلاحون الاكراد في مظهرهم الخارجي عن الفلاحين والبدو الرحل العرب. فبدلاً من الرداء الطويل يلبسون دراعة وشروالاً واسعاً مع حزام من القماش، واهداباً على غرار العمامة. ارجلهم منعلة دائماً فالطرق الحجرية الجبلية والوعرة بيئة طبيعية بالنسبة للأكراد، فبأحذيتهم هذه لايرهقهم المشي كثيراً».

«كما أن المرأة الكوردية لاتغطي وجهها بالبراقع كبقية نساء العالم الاسلامي بالرغم من ان الاكراد هم مسلمون وأكثريتهم من المذهب السني. ففي الايام الاعتيادية تلبس الفساتين الغامقة الألوان وتلبس على رأسها كفية سوداء»[٢٥].

«وفي ايام الاعياد تختلف اثوابهن -يعني الكورديات- فتمتاز بالألوان الزاهية ويتّزينَّ بأطراز متعددة الالوان وعقد من الذهب والفضة وأخرى من الاساور على معاصمهن».

«تلعب المرأة الكوردية دوراً بارزاً في شؤون البيت، وهي تحب العمل. وهناك ميزة

للمرأة الحامل، فاذا كانت تشتغل وتمشي كثيراً فستلد ولداً واما اللواتي يأكلن وينمن كثيراً فسيلدن بنتاً. ومن هو المسلم الذي لايحب أن يكون له اولاد كثيرون حيث يقول المثل الكوردي:(من الممكن ان يتهدم البيت الذي يملك الذهب ولكن لن يتهدم البيت الذي يملك الاولاد)».

«ان الشعب الكوردي بشوش رحب جداً ويضرب المثل في كرمهم، وأكثر من مرة استضافنا الفلاحون في بيوتهم لشرب الشاي من السماور. قد لا تصدق عينيك في الوهلة الاولى عندما ترى في قرية نائية منقطعة عن العالم سماور تولي قديم ولن تملك نفسك من العجب عندما تعرف انهم يسمونه بالتمسية الروسية مع اختلاف في النبرة التي يضعونها على الحرف الثاني من الكلمة».

«قبل انتهاء المحادثات يجلبون فنجاناً صغيراً من القهوة للضيف. وقد جرت العادة ان يشرب هذا الفنجان بدون استعجال لينال المتعة، وبعد شرب القهوة توثق الصداقة مع الضيف. ومن الممكن مواصلة الطريق من جديد».

ثم يضيف الكاتب قائلاً:

«ان الشجاعة، الشرف، النزاهة، الكرم، حب الحرية واحترام النساء، صفات يتميز بها الشعب الكوردي».

«ان المثقف الأرمني المشهور البارز الذي كرس سنين عديدة من حياته[٢٦] لدراسة الاكراد قد وصفهم بـ(فرسان الشرق الحقيقيين). وكتب احد المستشرقين المعاصرين الاجانب:«للأكراد صفات حسنة كثيرة تطرق اليها كل من اختلط بهم»، اذ تحت مظهرهم الخارجي يكمن العقل والفكر السليم والفطنة، وهم يملكون خيالاً شاعرياً وشعوراً فكاهياً، وهم يحبون الغناء ويستمعون في ليالي الشتاء الطويلة الى الملاحم والاساطير بكل اشتياق».

«ان الظروف القاسية لحياة الكوردي قد كونت طبيعته. فالكوردي شغيل ومثابر يهتم بالصناعة ويستغل جميع منتجات أرضه بكل مهارة».

اجانب كثيرون وصفوا الشعب الكوردي بمثل هذه الخصال الطيبة.

لكن كان هناك، ولايزال، من يحاول ان ينسب الى الكوردي «الغريزة الحربية لدى الجبليين» وابرازه كشعب «شرير»، «يحب القتال دوماً» ولمجرد القتال! متناسين المحن

الكبرى التي نزلت عليه عبر التأريخ مما جعله دوماً مستعداً للقتال دفاعاً عن النفس، وعن البقاء.

كتب المؤرخ الالماني «ايگون فون آياك شتيت» عام ١٩٦١ في معرض حديثه عن الكاتب كارل ماي وكتابه «رحلة الى كوردستان البرية»، فقال:«... ان الرأي العام في اوروپا لايعرف في الحقيقة اي شيء عن الاكراد سوى كونهم قطاع طرق ومصدر قلق واضطرابات ومشاكل للحكومات التركية والايرانية...».

هكذا انعكست التصورات المشوهة عن «الغريزة الحربية» المزعومة للكورد، وورد في كتابات الأوروپيين، لاسيما منذ القرن الثاني عشر الميلادي اثر انهزام الصليبيين أمام القائد الكوردي صلاح الدين الايوبي[٢٧]. والغريب ان يتردد صدى ذلك على لسان حاكم عربي في الثمانينات[٢٨].

هكذا كان الأمر ايضاً في روسيا القيصرية حيث كان الرأي الباطل عن الاكراد سائداً حتى اوائل هذا القرن. ففي عام ١٩١٢ توصل «تشيركوف»[٢٩] نائب القنصل الروسي في خوي[٣٠] عبر دراساته الى استنتاج بأنه كان يوجد في بلاده رأي باطل عن الاكراد اذ تنسب اليهم «الغريزة الحربية» لدى الجبليين. وبغية تفنيد هذا الرأي اقترح «تشيركوف» مراراً تنظيم دراسة علمية واسعة للبنية الاجتماعية والاقتصادية المعقدة للمجتمع الكوردي.

وقال المستشرق الروسي «غوردليفسكي» اوائل هذا القرن:«لقد حان الوقت لتتخلى الشخصيات الدبلوماسية الروسية والعلماء عن آرائها السابقة عن الاقليات القومية التي ربطت آمالها في التقدم مع روسيا».

وقال بخصوص الشعب الكوردي:«لقد حل اليوم الذي يحتم علينا ان نتطهر من ذنوبنا التي تكمن في جهلنا المتهاون، او معرفتنا الخاطئة عن تلك الشعوب التي ترغب عن طريقنا اللحاق بالحضارة العالمية».

ولقد كتب «تشيركوف» بتعاطف كبير مع الاكراد في شباط ١٩١٣ مايلي:

«ما الذي رآه الاكراد قبل الآن؟ الدمار فحسب، ملاحقة الاتراك لهم واستخدامهم كلحم للمدافع وكمادة لتلبية جشع الحكام الفاسدين العاجزين في إيران».

«حافظ الاكراد على أصالتهم وبلغوا العلو الممكن على الاقل في المجالين المذكورين،

يعني البسالة الفائقة وازدراء الموت، ان نصيب البعض منهم -بالطبع ليس المنورين- هي حراثة الارض وزراعتها وحصادها مستخدمين بذلك الأدوات الزراعية المتخلفة، وأهمها شجرة مقلوعة من الجذر وتستخدم كمحراث وليس كل واحد منهم قادراً على الثبات والصبر».

التقويم والعيد القومي:

للشعب الكوردي تقويمه التأريخي الخاص، وعيده القومي الخاص.

يبدأ رأس السنة الكوردية من الاول من شهر (نوروز/اليوم الجديد) الذي يقابل ٢١ آذار في السنة الميلادية. وهذا اليوم هو ايضاً يوم العيد القومي الكوردي، عيد نوروز، يحتفل به الاكراد في كل مكان احتفالاً واسعاً.

مناسبة العيد تعود، كما تقول احدى الاساطير، الى ذكرى تاريخية عن انتصار الكادحين الكورد على حاكم ظالم سفاك كان يمتص دماءهم، وقد رفعوا يوم النصر مشاعل في اعلى القمم لتنقل الخبر عن هذا الانتصار الذي تم بقيادة ابن الشعب البطل (كاوه) الحدّاد على السفاح «اژدهاك» او الضحاك كما هو معرَّب. لذا فان اسم (كاوه) بالكوردية يعني كل شجاعة ورجولة واقدام، ويرمز اسم الضحاك الى الشر والبغي والاستبداد. يصعب تصديق اسطورة (كاوه والضحاك)، والارجح ان عيد نوروز سابق للملك الميدي الضحاك (استياك).

هناك روايات تفصيلية عديدة، بعضها تدخل في باب الاساطير، عن هذه المناسبة، إلاّ ان المتفق عليه هو أن ذاكرة الشعب الكوردي تحتفظ بذكرى نضالية عزيزة انتصر فيها على أحد الطغاة السفاحين في تاريخه. ويرجح آخرون أن العيد لايبدأ من حادثة تأريخية معينة، وانما ينبع من عادة احترام النار والنور منذ القدم، وهي عادةً لاتتعلق بالكورد وحدهم، بل تشاركهم فيها شعوب جبلية كثيرة. ولفظ «نوروز» يعني «اليوم الجديد» مشيراً بذلك ايضاً الى بدء العام الجديد، كذلك بدء الربيع الذي يبدأ في كوردستان مع حلول ٢١ آذار، وبذلك يعتبر «نوروز» عيداً للحرية والربيع في كوردستان، وعيداً للكفاح ايضاً.

خلال هذا القرن كان الاحتفال به ممنوعاً في معظم اجزاء كوردستان (باستثناء ايران حيث يحتفل الايرانيون بهذا العيد منذ القدم)، وكان الاكراد يحتفلون به، رغم

ذلك، عنواناً للتحدي والتمسك بالشخصية القومية. وكثيراً ماكانوا (في العراق وتركيا) يعتقلون ويعذبون بسبب ذلك، فكانوا يحتفلون به حتى في السجون والمعتقلات، مثلما يجري اليوم.. ويحتفل به الانصار (الپيشمه ركه) في الجبال.

وبمرور الزمن صار للأكراد في كل مكان حرية الاحتفال به ما عدا في كوردستان تركيا حيث لا يزال ذلك من المحرمات الكبيرة على الشعب الكوردي.

اما في ايران فلم يكن محظوراً لأن «نوروز» هو عيد لكل الشعوب الايرانية. وفي العراق اعترف به عيداً قومياً رسمياً للكورد في عام ١٩٦٩م بعد ان ظلت المطالبة بذلك مطلباً سياسياً وقومياً من مطاليب الحركة الكوردية. وقد سمح بالأحتفال به في سوريا خلال السنوات الاخيرة. اما في جمهوريات الاتحاد السوڤياتي فيحتفل به الاكراد منذ فترة طويلة. وتحتفل الجالية الكوردية الواسعة في العالم، لاسيما في اوروپا الغربية وامريكا بهذا العيد كل عام حتى صار اسم «نوروز» معروفاً لدى الكثير من ابناء الشعوب الاوروپية وغيرها في بقية القارات.

يتحدث التاريخ عن أن الشعب الكوردي يحتفل بعيده القومي «نوروز» منذ أقدم العصور، وتحتفل به شعوب عديدة ايضاً. وظل يحتفل به حتى ما قبل القرن العشرين الذي تشوهت فيه الحياة الاجتماعية والثقافية الكوردية اثر تقسيم كوردستان الاخير بعد الحرب العالمية الاولى.

ففي القرن السابع عشر الميلادي يتحدث الشاعر احمدي خاني[٣١] في ملحمته المعروفة «مم وزين» عن احد الاحتفالات الشعبية الرائعة بعيد نوروز في إمارة «بوتان» الكوردية، ويخصص فصلاً من ملحمته لهذا الحدث القومي منظماً فيه شعراً كوردياً خالداً، كما ظل اسم «عيد نوروز» يتردد على ألسنة الشعراء الكورد منذ مئات السنين، ورد في نصوص دينية كوردية لبعض الطوائف قبل أكثر من (١٢٠٠) عاماً، مما يدل على أن الكورد كانوا، منذ أقدم العصور، يعرفون هذا العيد، ويباركونه.

وقد حاول اعداء الشعب الكوردي منعه من الاحتفال بعيده وبعثه خلال هذا القرن، لاسيما بعد تقسيم كوردستان، لأن «نوروز» رمز قومي هام (من بين رموز اخرى)، يشير الى الشخصية الكوردية المتميزة بين الأمم الاخرى، بينما كان المتسلطون على كوردستان يريدون شعبها أن ينسى ذاته وتاريخه وثقافته «لينصهر».

يعود الفضل في بعث العيد القومي «نوروز» بشكله الحالي (في كوردستان العراق ثم في بقية الاجزاء)، الى حد كبير، الى الشاعر «پيره ميرد» الذي اتخذ منذ العشرينات من نوروز مناسبة للتعبير عن الاحاسيس والمشاعر القومية، حيث كان (في ٢١ آذار من كل عام) يقيم سفرة او نزهة او تظاهرة ويضفي عليها طابع العيد القومي، وذلك في مدينة السليمانية (في كوردستان العراق حالياً).

يكتب نوري شاوه يس[٣٢]:«حتى عام ١٩٣٧ كانت لپيره ميرد عادة، اصبحت فيما بعد من التقاليد القومية، حيث كان في يوم نوروز من كل عام يذهب الى تل (مامه ياره)[٣٣] ويشعل عليه النار، ويأخذ معه اعضاء جمعية المعرفة[٣٤] والطبل والمزمار ويقيم حفلاً شعبياً يحضره جمهور غفير من اهالي السليمانية من العمال والكسبة والطلاب والتجار والموظفين والمعلمين. وبتلك المناسبة كان پيره ميرد (بمعونة الاهالي) يذبح الذبائح ويقدم الطعام للحاضرين. ثم كان يروي على مسامع الحضور ملحمة كاوه الحدّاد، ويعقبها انغماس الجمهور في تقديم الدبكات وتبادل التهاني. ولكن السلطة (العراقية) كانت تتذمر من تلك التظاهرة. وفي تلك الفترة كان مجيد اليعقوبي متصرفاً للسليمانية وكان يحاول، بكل السبل، منع اقامة الاحتفال بعيد نوروز، حيث كان يدعي ان نوروز ليس عيد الكورد وانما «عيد الفرس والايرانيين». ولكن نحن اعضاء (عصبة حرية الكورد/آزاد كورد) -تأسست عام ١٩٣٥-، اعطينا منذ ذلك العام أهمية أكبر لعيد نوروز، وحاولنا جعله عيداً وطنياً رسمياً بأقامة التظاهرات والقاء الخطب والقصائد في الجمهور. وكنا نحث على إشعال شعلة نوروز (التي ترفع في أعلى القمم والمرتفعات والاسطح مساء اليوم الذي يسبق الاحتفال بالعيد) في كل حي وزقاق من ازقة السليمانية، ويخصص بعض الطلبة من اعضاء العصبة لأضرام النيران في قمة تل «مامه ياره». إلاّ أن الشرطة منعونا ولم يسمحوا لنا بإضرام شعلة نوروز بل القوا القبض علينا...» الخ.

«ومنذ ذلك العام (١٩٣٧) أصبح عيد نوروز يقام من قبل الجمعيات والاحزاب الكوردية. وغدا أحد المطالب الكوردية القومية من الحكومات المتعاقبة ليكون عيداً رسمياً للشعب الكوردي».

هذا عن العيد القومي..

اما التقويم الكوردي، فيتفق بعض المؤرخين والبحاثة الكورد على أنه يبدأ مع تأسيس مملكة «ميديا» قبل حوالي ٢٥٩٠ سنة، التي تعتبر اول دولة كوردية في التأريخ، كانت عاصمتها «اكباتان» او «همگتانا» كما يلفظها بعض الكتابات القديمة. وتسمى اليوم «همدان» وهي مدينة كبيرة تقع حالياً في ايران، مجاورة لمحافظة كرماشان (كرمانشاه).

تعتبر هذه المدينة (الى جانب مدينة اربيل) من المدن التأريخية النادرة المأهولة منذ تأسيسها على مَرّ الزمن حتى اليوم[٣٥].

ان التقويم الكوردي كما يقول هؤلاء، يبدأ من تأسيس مملكة «ميديا» الكوردية. وقد مررنا اثناء كتابة هذا البحث بعام (٢٥٩٧) كوردية، وفي ٢١ آذار ١٩٨٦ سندخل اليوم الاول من عام ٢٥٩٨ كوردية. وهناك مؤرخون آخرون يضعون تقويماً يبدأ حوالي (١٥) عاماً متأخراً، وهو التقويم المستعمل في كوردستان العراق. وبمعنى آخر فان آذار المقبل سيشهد بداية عام ٢٥٨٣ كوردية.

كما ان للأشهر الاثني عشر في التقويم الكوردي أسماء كوردية خاصة، مثلما لأيام الاسبوع أسماء كوردية خاصة.

يعتقد البعض ان اليوم المقدس في الاسبوع لدى الكورد، قبل الاسلام، كان يوم الاربعاء، ولكن منذ اعتناق الكورد للأسلام صاروا يعتبرون -مثل بقية المسلمين- يوم الجمعة هو اليوم المقدس (أو يوم العطلة الأسبوعية).

في بعض المعتقدات الكوردية القديمة -لما قبل الاسلام- لكل يوم من أيام الاسبوع شأن خاص في عملية تكوين الخليقة وبناء الكون والانسان. فيرمز لكل يوم بأسم أحد الآلهة او الملائكة، مثلما تصنف الايام حسب الألوان، وكل لون يرتبط بأسم احد الملائكة.. وهكذا مثل هذه التسميات، خاصةً ايام الاسبوع والشهور، قريبة في الشكل مما كان سائداً في الثقافة الزردشتية.

كما ان للسنين، وللشمس والقمر، والنجوم، والافلاك، وما الى ذلك من التكوينات والظواهر الطبيعية، اسماؤها الكوردية ورموزها ودلالاتها الخاصة لاسيما في المعتقدات القديمة، بقي بعضها عالقاً بالأذهان حتى اليوم.

اما اشهر السنة الكوردية، فتبدأ كما قلنا من شهر «نوروز»/العام الجديد، ومدة

السنة الكوردية ثابتة مثل السنة الميلادية. يبدأ الشهر الجديد من ٢١ من كل شهر آذار ميلادي ينتهي في مثله من الشهر الميلادي المقبل، فبعض الأشهر ٣٠ يوماً وبعضها ٣١ يوماً.

معظم معاني اسماء الأشهر الكوردية تماثل تقريباً حالة مناخ فصول السنة. مثلاً شهر «گولان» (نيسان-مايس) يعني شهر الورود، أو تفتح الورود. شهر «خه رمانان» ويعني البيادر، او موسم البيدر، كذلك اول شهر للخريف يسمى «گه لاريزان» ويعني حرفياً تساقط الأوراق. وهناك شهر معروف في الشتاء «به فرانبار» ويعني: تساقط الثلج أو مهبط الثلج.. ويصادف موسم تساقط الثلوج.. الخ!

بعض الصحف والمجلات والكتب الكوردية، الصادرة سابقاً أو الآن، يتصدرها التقويم الكوردي باليوم والشهر والسنة، الى جانب التقويم الهجري والتقويم الميلادي.

هذا الاستطراد عن العيد والتقويم القومي هو لأعطاء القارىء غير الكوردي صورة واضحة عن كافة جوانب الشخصية الكوردية والحياة الثقافية القومية المتميزة، عن كافة الملامح الخاصة بالهوية الوطنية التي تميز الاكراد -كما يقول القذافي- كأمة «مستقلة» قائمة بذاتها، «أمة يجب ان تستقل» و«أن تحترم».

العلم الكوردي والنشيد القومي:

كان للكورد علمهم الخاص، وترسخ في أذهان الجمهور الكوردي بأن الأصفر هو اللون الاساسي للعلم الكوردي، لاسيما ان صلاح الدين الايوبي كان يتخذ اللون الاصفر شعاراً لجيشه، وكانت رايته صفراء اللون. وفي القرن العشرين اتخذ اهم حزب سياسي كوردستاني معاصر، وهو الحزب الديمقراطي الكوردستاني الذي أسسه مصطفى البارزاني عام ١٩٤٦، اتخذ اللون الاصفر شعاراً له وعلماً خاصاً به. واما شواهد التأريخ القريب فتشير الى ان القادة التأريخيين، منذ الثلاثينيات، كانوا يستعملون الألوان الحمراء والبيضاء والخضراء، مع الصفراء في صورة شمس ذهبية اللون، ألواناً اساسية للعلم، أي أن اللون الأصفر يدخل في علم كوردستان. لسنا هنا بصدد استعراض تأريخي شامل للعلم القومي، فهذا يتطلب بحثاً خاصاً. لذا ان ما نطرحه هو مجرد ملاحظات تأريخية، ونرجو أن تؤخذ هكذا، حتى يستكمل البحث مستقبلاً عن الشكل النهائي للعلم، وللشعار القومي الكوردي. ومما يذكر ان القرون

الوسطى شهدت أكثر من ٤٠ إمارة كوردية مستقلة في كوردستان كان لكل منها قلعتها، وجيشها، ورايتها... الخ، فان رفع العلم كان متداولاً لدى الامراء والملوك الاكراد منذ اقدم العصور. اما علم صلاح الدين الايوبي(او الدولة الايوبية الكوردية) فكان، كما قلنا، اصفر اللون يتوسطه رمز للنسر.

اما اقرب النماذج التاريخية في هذا القرن.. ففي ربيع عام ١٩١٤، مع بوادر الحرب العالمية الاولى، راحت الحكومة التركية تفرض زيادات جديدة على الضرائب المفروضة على الفلاحين الاكراد، كما بدأت في تجنيدهم قسراً، اضافةً الى المظالم الاخرى ما ادى الى انتفاضات جماهيرية واسعة في كوردستان. فقد كان على المجندين الجدد ترك بيوتهم الخاوية المهجورة واموالهم وعوائلهم، هذا وسبب التجنيد العام قلقاً كبيراً حيث ان الكثير من النساء الكورديات الشابات تعرضن بعد سفر ازواجهن الى الاعتقالات، اما الاطفال فكانت مناظرهم تمزق القلب. كان الفقر المدقع بانتظارهم، بالأمس –يكتب احد الصحفيين الأرمن في ٢٩ آذار ١٩١٤– توجهت امرأة (كوردية) مع رضيعها الى الدائرة الحكومة وهي تقول لطفلها: «فلنذهب يا صغيري كي يدفنونا احياء ايضاً، لقد سلبوا منا عمادنا وأملنا الوحيد. فكيف وعلى ماذا سيعيش سبعة اطفال قد تيتموا»[٣٦].

نذكر هذه اللحظة التأريخية كي نؤكد على أن العلم الكوردي لايرتفع الا دفاعاً عن حق مهضوم. فبسبب هذه الكوارث قام ملا سليم (احد قادة الانتفاضات الكوردية عام ١٩١٤) بإتخاذ تدابير سريعة لحماية بلده «كوماتش».. حيث وزع المنتفضون المناشير بين السكان يدعونهم الى النهوض ضد النير التركي وسرعان ما رفع المنتفضون –رمزاً للأستقلال– العلم الكوردي في كوماتش، وانتقلت فيما بعد –بسرعة– السلطة الى المنتفضين في مناطق اخرى مثل «تاتيك، خيزان وغيرها» (كلها الآن في كوردستان تركيا) وسيطر الثوار على كل الطرق والممرات، وجرد الاكراد كل الشرطة والعساكر الاتراك من سلاحهم. كان الاكراد المسلحون يتوافدون على المنتفضين من كل حدب وصوب[٣٧].. الخ.

وقد فشلت الانتفاضة في حزيران ١٩١٤م بعد ان قمعها الاتراك بوحشية بالغة، واجروا اعتقالات وتعذيباً شديداً بحق المنتفضين..

الحالة الثانية في التأريخ القريب هي أن ثورة الشيخ سعيد پيران عام ١٩٢٥ قد رفعت عالياً علم كوردستان رمزاً للطموح الى الاستقلال القومي. الحالة الثالثة اثناء قيام ثورة آگري داغ في كوردستان تركيا عام ١٩٣٠. يقول قائد الثورة «احسان نوري پاشا» في مذكراته:«أن مطالب الآگريين كانت تنحصر في كلمتين فقط وهما: تحرير كوردستان.. ولم يكن يراودهم ادنى شك في ان الدولة تعرف ذلك، وان قيام أحرار كوردستان برفع علم استقلال كوردستان، الثلاثي الالواني، خفّاقاً فوق قمم آگري، وجبال جزيرة بوتان، ومديات، وساسون وخرزان وجبال كوردستان الاخرى، كان اسطع دليل على وضوح اهدافهم..». الحالة الرابعة هي قيام جمهورية كوردستان عام ١٩٤٦، بقيادة الشهيد القاضي محمد والواقع أن العلم الكوردي قد رفع في ١٧ ديسمبر ١٩٤٥ وذلك في مدينة «مهاباد» التي صارت عاصمة للجمهورية، ثم رفع في بقية مدن وقصبات كوردستان ايران حالياً، وسط ابتهاجات واعراس شعبية واسعة كانت تعبر عن ذروة الثورة الشعبية الكوردية التي اندلعت ضد التسلط الشاهنشاهي واستبداده. فالعلم رفع قبل تأسيس الجمهورية. كان العلم يتضمن اربعة الوان: الاحمر، والابيض، والأخضر، فالأصفر الذهبي.

وشكل العلم كالتالي: اذا رسمنا مستطيلاً (هو العلم) وقسمناه الى ثلاث مستطيلات متساوية، فالمستطيل الاعلى احمر، والاوسط ابيض، والاسفل اخضر. وترتسم على المستطيل الابيض شمس ذهبية تمد اشعتها الى الاحمر والأخضر، بعض الاشعة – حسب اعتقادي– تشير الى الصناعة، والشمس رمز للنور.

اما شعار الجمهورية فكان سنبلتي قمح اثنتين ورأس قلم رمزاً للعلم (بكسر العين). رفرف علم كوردستان فوق مبنى رئاسة الجمهورية وعلى منضدة الرئيس وفي سائر انحاء الجمهورية حتى اوائل كانون الاول ١٩٤٦. لكنه –كذكرى عزيزة– ظل يرفرف في قلب كل وطني كوردي وقد سلمه الشهيد القاضي محمد «قبل استشهاده» الى القائد الكبير ملا مصطفى البارزاني.

هناك الكثير من القصائد الكوردية للشعراء الكورد عن ألوان العلم الكوردي ومعانيها، فوصفوا كل لون بما هو محبب الى قلوب الجماهير، وألّفت اغان ثورية عن هذه الالوان الزاهية تؤديها الفنانات والفنانون في المناسبات القومية، تلون الالوان

بمعاني الكفاح والصمود والامل والانتصار والغد السعيد للكورد كبقية الأمم[٣٨].

مثلما ان للكورد علمهم، فلهم نشيدهم القومي. اول ما القى النشيد هو مع الاعداد لقيام جمهورية كوردستان (١٩٤٦)، ولازال نفس النشيد يتلى في المناسبات القومية والثورية من قبل الجماهير الكوردية في كل مكان، سواء في السجن أو المهجر، في قواعد الانصار أو المظاهرات الشعبية.

كلمات النشيد القومي الكوردي هي من قصيدة للشاعر يونس دلدار، ولد في مدينة كويسنجق في كوردستان العراق، عاش في النصف الاول من هذا القرن. توفي وهو في عز الشباب.كان رومانسياً ويمثل رائد المدرسة الرومانسية في الشعر الكوردي، فهو في حياته القصيرة ورومانسيته، ومركزه في الادب الكوردي، وموته المبكر، يماثل الشاعر ابوالقاسم الشابي في الشعر العربي، وبوشكين في الشعر الروسي، وشيلي في الشعر الانگليزي. (كتبت اواسط الستينات مقالة قصيرة عن هذه المقارنة الادبية، نشرتها لي جريدة يومية بغدادية).

اول ما لحنت القصيدة كان في مدينة السليمانية، ويرجع الفضل للثوار في جمهورية كوردستان الديمقراطية في جعلها نشيداً قومياً للشعب الكوردي. يعرف النشيد بـ«ئه ي رقيب!– ايها الرقيب(الخصم)!». فيما يلي[٣٩] معاني بعض ابياته:

«ايها الرقيب!
ليعلم الجميع ان الامة الكوردية ليست فانية،
الامة الكوردية خالدة،
علمها خالد، لن ينتكس ابداً..
«ايها الرقيب!
نحن ابناء اللون الاحمر والثورة،
فأُنظر الى تاريخنا.. المدمّى..
«ايها الرقيب!
الشباب الكوردي مستعد دوماً، متحفز..
فدائي،
فدائي،

فدائي... ابداً،
«ديننا.. ايماننا.. هو الوطن.
«ايها الرقيب!
لم يبق سوى قوم الكورد
مَنْ لم يحطمه مدفع الزمن..»

وقد التبس على البعض معنى هذا البيت:«ديننا.. ايماننا.. هو الوطن.»، وأظن ان الشاعر كان يشير الى ان حب الوطن والدفاع عنه، هو دفاع عن الشرف والكرامة، وهو بمثابة الدفاع عن الدين والمعتقد والفكر.

الحضارة والثقافة:

افردنا للثقافة الكوردية باباً خاصاً في نهاية هذا القسم. وكان الأصح هو ان يبحث هذا الباب معه. نكتفي هنا بإشارات سريعة الى ان الثقافة الكوردية غنية نسبياً رغم الحرمان، لاسيما التراث الفولكلور الذي يعكس مدى غنى اللغة الكوردية والثقافة الكوردية. ولدى توفر حريات نسبية للشؤون الثقافية الكوردية بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، كذلك خلال اعوام (١٩٧٠-١٩٧٤)، أثبت المثقفون الكورد جدارتهم في خلق ثقافة وطنية وتطوير التراث القومي الغني بمصادره ومواده الغزيرة التي لم تجمع حتى الان سوى بنسبة ضئيلة.

عن الحضارة في كوردستان.. يمكن الحديث مئات الصفحات عن معالمها المتميزة تعبيراً عن اصالة حضارة عريقة الجذور في هذه الارض. منذ فترة طويلة تنادى المثقفون، والمؤرخون الكورد خاصةً، الى أهمية وضرورة اقامة متحف في كوردستان، متحف يضم الآثار الحضارية، القديمة والحاضرة، بما فيها الفولكلورية في متحف خاص بالتراث.

اذا كان ينبغي الحديث عن المعالم القومية المتميزة لشعب ما، فلابد من التطرق الى كافة جوانب حياته، وشخصيته القومية التي تميزه، ليس من باب عزله عن الشعوب الاخرى، او التفاصيل والتفاخر القومي... وغيرها من النعرات والمفاهيم القومية الضيقة، بل من باب ابراز تنوع حياته الخاصة. هذا التنوع لايفرق، بل يوحد بين الشعوب. فالشعوب يمكن ان تتوحد وتتآخي في مصالحها الاساسية وطموحاتها

المشروعة مع الاحتفاظ باشكالها وازيائها ومعالمها التأريخية والقومية الخاصة. هذا التنوع -لاسيما في مجال الفن والادب- يضفي الجمال والغنى على الحياة.

وفي هذا بالذات تكمن قوة الافكار التحررية، قوة الحرية التي توفر الظروف الملائمة للأزدهار الحر في الشخصية القومية الى جانب ازدهار الحياة الاجتماعية وتحرر الانسان من الاستغلال الاجتماعي والاضطهاد القومي.

كانت ولاتزال للأمة الكوردية ثمة حاجة، تزداد إلحاحاً، لتطرح كافة جوانب حياتها القومية المتميزة لتقول للشعوب المتجاورة معها ولشعوب العالم بأنها أمة، أمة ذات معالم قومية متميزة لن تقف حائلاً دون تحالفها مع بقية الأمم من اجل الانعتاق والتحرر النهائي. ان الاضطهاد القومي العنيف الذي تتعرض له الامة الكوردية، في الاغلبية الساحقة من اوصالها، الى جانب الاستغلال الاجتماعي ونهب ثرواتها بينما ابناؤها يجوعون ويتشردون، جعل الطابع القومي يطغى على الحركة الكوردية المعاصرة بشكل صارخ، فيزداد الالحاح على التعريف بالذات كقومية ذات جذور وأمة ذات حضارة. ولاننسى ان اوساطاً امبريالية ورجعية تسعى احياناً الى ابراز هذا الجانب «كحامية للقومية الكوردية» كلما تطلبت مصالحها، ليس لتحقيق التحرر القومي للكورد بل لأستغلال عدالة قضيتهم وتوظيفها لخدمة تلك المصالح. هذا لايعني قط -مثلما تعمل الحكومات الشوفينية غالباً- اعتبار النهضة الثقافية والاجتماعية الكوردية الواسعة هي من «صنع الاستعمار» أو «مؤامرة امبريالية دولية» أو «مجرد ورقة ضغط دولية».. الخ. ينبغي التمييز وبدقة بين امرين:

اولاً: حق الأمة الكوردية، وحقيقة وجودها، ومعالمها المتميزة حتى لو لم يستطع ابناؤها الدفاع عنها. بل يجب التمييز ايضاً بين اصالة وحقيقة وجود الأمة الكوردية من جهة،واخطاء هذا أو ذاك من الاحزاب والمنظمات الكوردية من جهة اخرى. ان اخطاءها تجاه نفسها او تجاه الامة الكوردية او حتى تجاه قضايا التحرر -لو وقعت في مثل هذه الاخطاء- لا تبرر قط انكار حقيقة وجود الامة الكوردية.

ثانياً: دعايات ودسائس الامبريالية والانظمة الاستبدادية التي تسعى دوماً لإفراغ نضال الشعوب من محتواه الديمقراطي والتقدمي. فاذا تمكنت هذه الاوساط من استغلال بعض جوانب حرمان الشعب الكوردي وعدالة قضيته، فالذنب لايقع على

القضية الكوردية التي هي عادلة في جميع الاحوال، بل يقع اساساً على الضعف الكبير في الانظمة التي تتحكم بالشعب الكوردي، هذه الأنظمة التي لاتستطيع الاقرار بحقوق هذا الشعب وتتنكر حتى لحقيقة وجوده احياناً، ويقع الذنب احياناً على الضعف الذاتي للحركة القومية ذاتها حين تقع في مواقف انعزالية ويمينية فتنعزل عن معسكر الشعوب وحركتها التحررية ليتقلفها المعسكر الآخر، المعادي من الاساس لقضية تحرر الشعب الكوردي.

فثمة فرق بين التطلع القومي لشعب محروم مضطهد، يريد القول: هذا أنا، أنا موجود، لكن مغبون ومهضوم الحقوق. ادعو -واناضل- لأنصافي كبقية الشعوب، من جهة، وبين حركة استعلائية، قومية شوفينية، تريد محو الشعوب الاخرى او احتوائها لأستغلالها ونهب ثرواتها، كما هو حال الاستعمار منذ قرون ثم الفاشية والنازية حتى الأمثلة المعاصرة للأنظمة العنصرية والدكتاتورية والشوفينية.

فلو تتبع المرء كتابات، وشتى اشكال التعبير الاخرى، للكتاب والفنانين الكورد سواء باللغة الكوردية أو بغيرها، لأستنتج مدى المرارة التي يعانونها، ومدى عمق الاحساس بالغبن التأريخي الذي لحق بأمتهم الكوردية. لماذا، نحن أمة ذات معالم متميزة، ولاتريد التحرر على حساب أية أمة اخرى، وناضلت وضحت وشاركت في كفاح كافة شعوب المنطقة، ومع ذلك.. نحن، هذه الأمة المقهورة والمضحية بسخاء، لانتمتع بأبسط الحقوق الانسانية والقومية في ديارنا؟؟

ينبغي ان يدرك ابناء بقية الشعوب المتجاورة للشعب الكوردي، ان يدرك هؤلاء بالذات قبل غيرهم في العالم، هذه الحقيقة، لا ان يسمعوها من صحفيي وكتاب البلدان الاوروپية وغيرها، او يقرؤها في عشرات الكتب والوثائق التي يصدرها المستشرقون والخبراء عن القضية الكوردية سنوياً، او يسمعوها غداً من اجهزة اعلامية تبعد عن المنطقة آلاف الاميال.

ان جزءاً هاماً، واساسياً، من تحرر شعوب المنطقة متعلق بتحرر الشعب الكوردي. ان جانباً هاماً من تحرر ابناء الشعوب المتجاورة بالذات للكورد، لايتحقق ما لم يتحرر الشعب الكوردي ايضاً. وان قسماً كبيراً من مآسي هذه الشعوب، كما قلنا، تعود الى إهمال هذا الشعب وقضيته المشروعة.

لسنا بصدد عرض تفصيلي لجوانب الحضارة الكوردستانية، وذلك، كما اسلفنا، يستغرق الكثير من الوقت. نكتفي بالقول ان للأمة الكوردية نمطاً قومياً خاصاً في كل شيء في الحياة بدءً من الازياء وعادات الأكل حتى الموسيقى، فالثقافة عامة، وطراز البناء والآثاث النزلي (راجع هامش رقم ٢٥) وغير ذلك.

في الموسيقى مثلاً، كان الطنبور أحد أقدم الآلات الموسيقية الكوردية، ويعتقد بأنه كان الآلة الموسيقية المذهبية قديماً.وهذا ما يمّيز الطنبور الكوردي وتنوع الألحان التي تؤدى به. كلمة «طنبور» اساساً كوردية. يقال لها بالكوردية «تميره (بفتح الياء)» أو «تمبوره «ايضاً بفتح التاء)» حسب مناطق استعمالها. حين نقول ان الآلة كوردية، لانقصد بأن الكورد اخترعوها او انهم وحدهم دون بقية الشعوب يعرفونها، بل نقصد بالذات انها كانت آلة موسيقية رئيسية، وتم تلحين واداء الاغاني والاناشيد الدينية بها. ارتقى بالطنبور فنانون معاصرون الى مستوى فنون بقية الشعوب، منهم محمد عارف الجزراوي (كوردستان العراق) واخيراً الفنان المعروف عالميا شڤان (كوردستان تركيا).

ينتشر استعمال الطنبور حتى اليوم في كوردستان تركيا خاصة منطقة جزيرة بوتان كذلك بين اكراد سورية، واكراد منطقة كرماشان (كرمانشان) في ايران. الى جانب الطنبور هناك آلات موسيقية شعبية اخرى لاسيما الناي الذي يعزف به الرعاة الحاناً ساحرة. وبالتالي ايضاً تعرف الحان جنائزية حزينة في بعض المناطق الكوردية. وثمة آلات موسيقية اخرى، منها الدف، كذلك الطبل والمزمار.

ننتقل الى فن آخر.. فن صناعة السجاجيد الذي هو في نفس الوقت حرفة وفن. كوردستان لها فنها الخاص، وللسجاد الكوردي الوانه وحتى رسومه وأشكاله الهندسية. في متاحف ايران والمنطقة وعواصم اوروپية نماذج من السجاد الكوردي الرائع يعود الى القرن السادس عشر، صنع في مناطق سنه «سنندج» وسقز ولرستان ووان ودياربكر وغيرها.

اكتشف الاركيولوجيون سجاجيد في منطقة كرمانشاه، قرب جبل بيستون، تعود الى ما قبل ٤ آلاف عام كذلك سجاجيد تعود الى عهد الميديين؛ اي قبل ٢٦-٢٧ قرناً.

لبناء المدن ايضاً فنه الكوردي الضارب الجذور في القدم. يقول الباحثون ان كوردستان تحققت فيها مشاريع ايصال المياه وحفر الكهاريز قبل ٥-٦ آلاف سنة،

ومثل هذه المشاريع تأسست للمدن الكوردستانية الكبيرة: اكباتان (همدان)، اربيل، كركوك، آمد (دياربكر)، ماردين، قصر شيرين... وغيرها. فكانت للكورد فنونهم في حفر الكهاريز، وبناء الجسور، والقلاع باسوارها العالية، بناء المعابد الدينية الكبيرة، والاسواق والقصور وغيرها.

كانت الحرف والصناعات الصغيرة مزدهرة في كوردستان (راجع هامش رقم ٢٥)، يشير اليها المؤرخ الكوردي شرفخان البدليسي في كتابه (الشرفنامه) في القرن السادس عشر الميلادي، بإسهاب، كذلك السائح التركي اولياء چلبي الذي زار الامارات الكوردية، فكتب -كما يعتقد ايضاً- لأغراء السلاطين العثمانيين لغزو هذه الامارات. مع ذلك يعتبر كتابه سياحة نامه، أي: كتاب السياحة، الذي وضعه باللغة التركية مرجعاً لمعرفة احوال المدن والامارات الكوردية في القرون الوسطى، حيث يذكر ازدهار اسواقها ووجود المدارس والدكاكين والحمامات فيها، والحرف والمهن المتنوعة، وركز على امارة بدليس الغنية التي غزاها العثمانيون فيما بعد ونهبوا كل نفيس فيها.

اما الآثار التأريخية المكتشفة في كوردستان فكثيرة، رغم الاعتقاد بأن ما لم يكتشف هو أكثر. عثر المكتشفون وعلماء الآثار في كهوف وسهول كوردستان على آثار حضارات قديمة جداً، في شانه درى، بيستون، هرسين، لرستان، حسنلو، وغيرها.

نتوقف قليلاً عن آخر وأهم الاكتشافات الاثرية اعلنت عنها وكالات الأنباء عام ١٩٨٥، اشترك فيها ما يقرب من ١٠-١٥ من علماء النبات، كذلك عدد من السوسيولوجيين والاركيولوجيين والمختصين الآخرين من الامريكان والأتراك والالمان انشغلوا منذ عام ١٩٦٤ باعمال التنقيب والبحوث في مدينة دياربكر، حوالي منطقة ارغني في كوردستان تركيا. بعد ٢١ عاماً من البحث والتنقيب الى عام ١٩٨٥ قطف الاركيولوجيون ثمار عملهم المضني فأعلنوا النبأ على الصحف ووكالات الانباء العالمية، فافصح پروفيسور في لجنة التنقيب عن هذا الاكتشافات المثير في كوردستان قائلاً:

«لقد اكتشفنا خلال ابحاثنا وتنقيباتنا مواد جديدة تعود في قدمها الى ما قبل ٩ آلاف عام. تعتبر هذه المواد من اقدم وأهم المواد المكتشفة في تأريخ البشرية في العالم كله. فقد تغير مجرى تاريخ البشرية باكتشاف هذه المواد، وانقلبت الكثير من الحقائق والمسلمات التأريخية رأساً على عقب. واستناداً الى ابحاثنا وتنقيباتنا هذه، فأن سكان

هذه المنطقة قد اجتازوا مرحلة المجتمع القبلي، منذ ما يقارب الـ(٩٠٠٠) عاماً، وتخلوا ايضاً عن حياة البداوة».

«ان سكان هذه المناطق قد عاشوا حياة الاستقرار، وقاموا بتربية الدواب والماشية. وكان عملهم في مجال الحراثة والزراعة متطوراً ايضاً، وبشكل جيد، حيث أقاموا القرى والمزارع، على كهوف صغيرة. وبتطور وتقدم تنقيباتنا ظهر لنا الكثير من البنايات الكبيرة حيث كانوا يبنون بيوتهم وقصورهم، آنئذٍ، بالكلس والموزائيك».

«كذلك تثبت لنا الجماجم والهياكل العظمية المكتشفة، انهم قد زاولوا حياة الاستقرار. لقد عثرنا على تلك الجماجم والهياكل في بيت.. شيد منذ مايقارب ٩ آلاف عام ولكن جداره بقي على حاله، وكأنه شيد حديثاً...».

«إن الابحاث التي أجريت على العظام قد اكتشفت ايضاً انهم قد زرعوا في تلك الفترة الحمص والعدس وماشاكل ذلك. وانهم قد دجنوا ايضاً الكلاب والحيوانات الاخرى، ولكنهم قد دجنوا الكلاب اولاً، ثم دجنوا الاغنام ايضاً. وقد صنعوا مختلف الاواني الفخارية من الطين، واكتشفوا النحاس ايضاً حيث جلبوه من ارغني. وقد أكتشفت بعض الابواب والمواد الاخرى المصنوعة من النحاس».

يختتم البروفيسور عضو لجنة التنقيب تصريحه بهذه العبارات:

«هذا يعني ان سكان هذه المنطقة قد سبقوا العصر النحاسي، في استعمالهم النحاس واستخدامه، بألفي عام. وهذا يظهر لنا بجلاء ان تأريخ البشرية والمجتمعات لم يستوف حقه من البحث والتنقيب والمعرفة بعد!».

وعلقت احدى الصحف الكوردية على هذه التنقيبات تقول: نعم، في ارضنا، في وطننا، تجري البحوث والتنقيبات. وليست البحوث والتنقيبات التأريخية هي وحدها التي تجري، ولكن هناك تنقيبات عدة حول نفطنا، ثرواتنا المعدنية، والمناطق الاستراتيجية.

ان هدف القوى الاستعمارية وخبرائها والانظمة المتسلطة هو سلب ونهب كل ما ظهر أو بطن من خيراتنا وثرواتنا المعدنية وهم الآن ينبشون في تأريخنا..

ثم دعت الصحيفة العلماء كي لايقعوا تحت التأثير المباشر للسلطات الشوفينية التركية التي تنكر «كوردية» المنطقة وشعبها وتأريخها، وان يعرضوا اكتشافاتهم ونتائج

ابحاثهم وتنقيباتهم هذه، وكل ما يعرفونه عن الكورد وكوردستان.

(للمزيد من الاطلاع راجع جريدة گه ل/الشعب، اواخر تشرين الاول ١٩٨٥، واستفدنا من اعداد سابقة لمعلومات اخرى عن الحضارة الكوردستانية).

الكيان الكوردي عبر التأريخ:

يلخص أحد المستشرقين تاريخ كفاح الكورد قائلاً:«ان الاكراد شعب شديد الشكيمة ومحب للحرية وكل تاريخ الاكراد حافل بالأنتفاضات والهبات التحررية ضد ظلم الاجانب. أن سبب هزيمة هذه الانتفاضات في آخر المطاف في الأزمنة القديمة هو التشتت الاقطاعي الذي كان يسود كوردستان وجبروت الامبراطوريات العسكرية التي كانت تقتسم الاراضي الكوردية بينها وتمزقها، وفي القرن التاسع عشر نشطت حركة التحرر الكوردية وتوسعت كثيراً بسبب تدهور الامبراطورية العثمانية وحكم الشاه الايراني، اللذين قسما بينهما كوردستان من اوائل القرن السادس عشر. وقد تحولت هذه الحركة واصبحت حركة تحررية وطنية بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة، اذ ان هدفها النهائي هو إقامة دولة كوردية واحدة».

شهد التأريخ مملكة، ودولاً وامارات كوردية كثيرة، مثلما ساهم القادة الاكراد البارزون مثل صلاح الدين الايوبي الذي يلقبه بعض المؤرخين الاوروپيين بالسلطان النبيل، وكريم زند (أو زندي) في انشاء وقيادة دول كبيرة ذات شأن في المنطقة. الاول أسس الدولة الايوبية في الشام والقدس ومصر وحتى قسم من كوردستان، وجنوباً حتى اليمن. اما الثاني فأقام دولة في ايران ولقب نفسه بـ«وكيل الرعايا» وليس «الشاه»، فيعتبر من الحكام العادلين والشجعان في تاريخ ايران. كانت عاصمته «شيراز» وحكم خلال ١٧٦٠-١٧٦٩م.

وكما قلنا لدى الحديث عن التقويم الكوردي بأن أول دولة كوردية قد تأسست بقيام مملكة «ميديا» قبل حوالي ٢٦ قرناً، دامت هذه المملكة أكثر من نصف قرن. وهي تعتبر، من قبل بعض المؤرخين، أول دولة في التأريخ تؤسس ماهو معروف اليوم بجهاز الامن والاستخبارات لمراقبة الخصوم وأول دولة تبتكر «ديواناً للتشريفات واصولاً للپروتوكولات» فلا يصل الزائرون والرعايا الى الملك ألاّ من خلال الحاجب ومتصدي امور التشريفات والبلاط والوزير.

ورغم سقوط الامبراطورية الميدية على يد الملوك الفرس الذين نقلوا عاصمتها من همدان (اكباتان قديماً) الى منطقة شيراز حالياً في محافظة فارس في ايران، فان الكورد وكوردستان بقيا كشعب ووطن ووحدة متماسكة، يشير الى ذلك المؤرخ اليوناني «زينفون»[٤٠] في كتابه المعروف (انا بازيس) قائلاً:(بعد ١٥٠ عاماً من إنهيار امبراطورية ميديا):

«إستناداً الى اقوال الأسرى فان الكاردوخيين (الاكراد) الذين يعيشون في المناطق الجبلية، قوم محاربون اشداء، رفضوا الخضوع لملك الاخمينيين. ويحكى ان الملك الفارسي قد زحف عليهم بجيشه البالغ تعداده (١٢٠) ألف جندي، ولم يَنجُ فرد واحد من هذا الجيش المهاجم. وكان من الصعوبة بمكان لسكان المناطق السهلة الاختلاط بهم، إلاّ بعد عقد المعاهدات معهم».

هذا يعني بأن الاكراد ظلوا يدافعون عن وطنهم كوردستان رغم المآسي التي حلت بهم، وهو يعتبر أقدم دليل تأريخي يتحدث عن اصالة الشعب الكوردي وبسالته في الدفاع عن وجوده ووطنه وكفاحه من أجل الحرية والاستقلال.

فيتحدث «زينفون» في كتابه عن المقاومة الشديدة التي لاقاها جيشه هو أيضاً من الكاردوخيين (الكورد أو الاكراد)، حيث كانت اشد المعارك التي شاهدها طوال اشتراكه في الحروب الى جانب ملوك الاخمينيين.

وقد احتفظ الاكراد بأشكال من الاستقلال التي كانوا ينتزعونها عنوة، متحصنين في الجبال التي كان يصعب على الغزاة استحكام السيطرة التامة عليها، فظلت امارات ودويلات كوردية عديدة قائمة، منها دولة أو ولاية (شهرزور)[٤١] التي كانت تفرض حكمها على منطقة واسعة، عاصمتها مدينة (شهرزور) التي تقع آثارها في محافظة السليمانية في كوردستان العراق حالياً، واحياناً يمتد حكمها غرباً وشمالاً حتى كركوك واربيل والموصل، وجنوباً حتى خانقين، وشرقاً وشمال شرق حتى اطراف بحيرة ارومية (اقليم آذربايجان الغربي في ايران حالياً).

كانت دولة (شهرزور) قائمة حتى الفتح الاسلامي عام ٦٤٠م، وقاومت الجيش الاسلامي بضراوة، وسقطت بعد هذه المقاومة، واندثرت آثارها في وقت لاحق.

كانت كوردستان دائماً هدفاً لهجوم الاقوام الاخرى، بعد وقوعها تحت حكم

الامبراطورية الاخمينية انتقلت الى الحكم اليوناني حينما استطاع الاسكندر الأكبر القضاء على تلك الامبراطورية. وفي خلال القرنين الثالث والاول قبل الميلاد استطاع الارمن ان يسيطروا على كوردستان الى أن انتقلت السيطرة من ايديهم الى ايدي الرومان حيث دامت حتى القرن الثالث الميلادي. ومن ثم حكمت الامبراطورية الساسانية كوردستان حتى الفتح الاسلامي. والواقع، كما قلنا، فان القبائل الكوردية لم تكن تخضع لتلك الدول خضوعاً حقيقياً بل كانت تعيش في شبه استقلال ذاتي وهي محصنة في الجبال.

كذلك بعد الفتح الاسلامي قامت امارات ودويلات كوردية (مستقلة أو شبه مستقلة) حكمت لفترات متباينة وعلى مساحات مختلفة. مثلاً دولة اردلان التي تأسست سنة ١٢٢٠م بعد سقوط الخلافة الاسلامية تحت ضربات المغول، دامت مستقلة استقلالاً تاماً الى عام (١٥٧٢م).

ففي القرون الوسطى[٤٢] كانت كوردستان تتألف من نحو أربعين إمارة كوردية مستقلة ذات نظام اقطاعي، شأنها شأن معظم الأمم الأوروبية آنذاك.

واما سبب عدم قيام دولة كوردية مركزية شاملة مشرفة على جميع أرجاء كوردستان فيفسره الباحثون بعدة اسباب منها:

- نتيجة الاستيلاء العنصري على أرض كوردستان وإستعباد شعبها.
- طبيعة أرض كوردستان الجبلية المنيعة وموقعها الجغرافي.
- ظروف الري وسقي المزروعات، لأن الزراعة[٤٣] في كوردستان اعتمدت منذ أقدم العصور على الامطار للمزروعات الشتوية وعلى عشرات الألوف من عيون المياه والانهار الصغيرة في المزروعات الصيفية. وكان بأمكان كل قرية أو جماعة صغيرة (أو عائلة واحدة) ان تمارس الزراعة والرعي، مكتفية ذاتياً الى حد كبير، دون الاعتماد على وجود الدولة التي تنشيء مشاريع الري الكبرى (كانت ظروف الري سبباً اساسياً لظهور الدول المركزية في وادي الرافدين في العهد العبودي..).

وعن دور طبيعة ارض كوردستان في عدم قيام الدولة، يقول الباحثون: كانت مناعة أراضي كوردستان الجبلية سداً منيعاً للدفاع ضد حملات الغزو الكاسحة وللحد من مفعولها التدميري. فكانت حملات الغزو الكاسحة تعبر كوردستان عبوراً دون أن

تستطيع مد سيطرتها على ارجائها.

وهذا ما اغنى الاكراد الى حد معين عن انشاء دولة مركزية شاملة تقوم بمهام الدفاع ضد حملات الغزو. ان مناعة الطبيعة كانت عائقاً في وجه الامراء الاكراد انفسهم الراغبين في بسط سيطرتهم ونفوذهم على مناطق واسعة وإقامة دولة مركزية. ولنفس السبب كانت سيطرة الامبراطوريات (التركية والايرانية والعربية) على كوردستان سيطرة شكلية وحسب، ولم تستطع اي منها اقامة سلطة وطيدة وشاملة على المناطق الكوردية.

تلك اسباب تخص الماضي البعيد من تاريخ المجتمع الكوردي، ولاتخص بأي حال من الاحوال تأريخه الحديث[٤٤]. فمنذ نهاية القرن الثامن عشر قامت في كوردستان العديد من الحركات التي كانت تهدف الى رفع الظلم والحيف عن الاكراد وتحقيق مطامحهم القومية. اذ رفع بعضها شعار الاستقلال لكوردستان كما قامت بعض الامارات الكوردية التي كانت تستهدف الاستقلال عن الامبراطورية التركية متى ما كان ذلك ممكناً لها. ومن ابرز هذه الامارات الكوردية:

– امارة (بابان) التي اسسها بابا سليمان الذي بنى مدينة السليمانية والتي اصطدم احد امرائها المعروفين، وهو عبدالرحمن باشا بابان الذي تولى امارتها عام ١٧٨٨، اصطدم مع الاتراك، وكان يهدف الى تأسيس حكومة كوردية مستقلة في كوردستان الجنوبية (العراق حالياً).

– قامت في رواندوز (في كوردستان العراق حالياً) امارة كوردية في عام ١٨١٠م واعلن حاكمها (محمد مصطفى بگ) الذي عرف فيما بعد بالأمير الكبير، استقلاله عن الوالي العثماني في بغداد عام ١٨٢٠. وقد قضى الجيش العثماني على هذه الامارة وسائر الامارات الكوردية ولم يبق سوى امارة بابان التي كانت آخذة هي الاخرى بالزوال.

– في منطقة الجزيرة العليا قامت امارة كوردية نشطت بقيادة بدرخان باشا في عام ١٨١٢. ثم قضى الجيش العثماني على امارته. وبعد ذلك انتهز ابن بدرخان الذي كان يقود جموع المتطوعين الاكراد الذي جندتهم الحكومة التركية في قتالها مع روسيا سنة ١٨٧٧ وفر الى الجزيرة سنة ١٨٧٩، واعلن استقلال امارتها.

– وكانت امارة پشتكوه آخر امارة كوردية في ايران، تسقط في عهد الشاه رضا خان بهلوي وذلك في القرن العشرين.

لقد حارب السلاطين العثمانيون والشاهنشاهات الايرانيون، كما اسلفنا، حاربوا الامارات الكوردية الخاضعة لنفوذهم الاقطاعي، وكانت الارستقراطية الكوردية الحاكمة المجزأة الى فئات متخاصمة أعجز من أن تتحد لمجابهة هذا الخطر. وكلفها ذلك وجودها ونظامها وادى الى فقدان الشعب الكوردي لحريته. ولكن هذه الاسباب الاقتصادية والتأريخية والسياسية والعاطفية ادت الى رد فعل شعبي واسع، ألا وهو نشوء الفكرة القومية الكوردية، ثم تطورها لحركة تحررية وطنية. ففي غمار الحرب الروسية التركية عام ١٨٨٠ اندلعت انتفاضة كوردية عارمة في قضاء (شمدينان) – كوردستان تركيا حالياً– بقيادة الشيخ عبيدالله النهري المتوفي عام ١٨٨٣م، استهدفت تحقيق الاستقلال. وقد تعرضت الانتفاضة الى قمع شديد من قبل الدولتين الايرانية والعثمانية. وتعتبر هذه الحركة مقدمة للحركة الوطنية الكوردية المعارضة التي واصلت طريقها عبر عشرات الثورات والوثبات والانتفاضات الشعبية في شتى ارجاء كوردستان وحتى اليوم (١٩٨٥)، أي طوال ما يزيد عن قرن كامل.

يلخص أحد المستشرقين هذه المرحلة قائلاً: ان عوائق جديدة اخذت تعترض طريق تنفيذ طموح وآمال الشعب الكوردي القومية. وأهم هذه العوائق هو تصاعد تدخل الدول الاستعمارية الكبرى التي كانت تهدف الى الحصول على مستعمرات هامة اقتصادياً واستراتيجياً، مستغلةً ضعف الامبراطورية العثمانية ووهن ايران الشاهنشاهية. وكانت تستخدم لهذا الغرض وعلى نطاق واسع الحركات الوطنية وتسعى لأكسابها طابعاً دعائياً موالياً للأمپريالية، وكانت تحرض بعضها على بعض وتشتري ذمم شيوخ العشائر، ورؤساء القبائل وما شابه ذلك. ولم تحصل الاقليات العرقية في الامبراطورية العثمانية وايران على شيء مطلقاً من وراء هذا التدخل. بالعكس، فان اوضاعها، ومن بينها الاكراد، تعقدت، بل وتردت في كثير من الجوانب. وكانت النتيجة ازدياد تجزئة الشعب الكوردي بعد الحرب العالمية الاولى[٤٥] (بين تركيا وايران والعراق وسوريا)، فقد اصبح الاكراد الذين كانوا يعيشون سابقاً في البلدان العربية التابعة لتركيا قد وجدوا انفسهم في العراق وسورية، البلد الاول غدا مستعمرة

لبريطانيا والثاني مستعمرة لفرنسا. ثم ان تدخل الامپريالية مباشرةً في كوردستان أقام موانع جديدة بوجه حل المسألة القومية الكوردية.

إلاّ أن الشعب الكوردي عمل لتكييف أشكال كفاحه مع هذه الصعوبات الجديدة، وواصل الكفاح على نطاق اوسع وخاض ثورات في شتى أجزاء كوردستان، مصمماً على نيل التحرر والوحدة القومية والتقدم الاجتماعي.

إن تصاعد التيارات الثورية في العالم أجمع بعد ثورة أكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧، وحلول عصر أزمة النظام الكولونيالي وانهياره، فتح امام الشعب الكوردي آفاقاً واسعة لم يشهدها من قبل. ان هذا العمل بالذات هو الذي كانت له أهمية مقررة بالنسبة لمصير الشعب الكوردي، وليست الصعوبات المؤقتة التي ظهرت بسبب ازدياد نشاطات الامپريالية في منطقة الشرق الادنى[٤٦].

وفي العشرينات والثلاثينات عمَّت تركيا وايران والعراق موجة جبّارة من الانتفاضات الكوردية الموجهة ضد السيطرة الامپريالية والسياسة الشوفينية التي تنتهجها حكومات بلدان الشرق الاوسط حيال المسألة الكوردية. ومرة اخرى كانت الهزيمة من نصيب الاكراد. فلم يتسن لهم أن يحققوا مطالبهم الشرعية ولو جزئياً، ولا في بلد واحد من هذه البلدان. وكان ذلك بسبب ضعف هذه الانتفاضات عسكرياً وسياسياً[٤٧] وبقاء المثل الاجتماعية المتخلفة في المجتمع الكوردي، واخيراً الوضع العالمي غير الملائم آنذاك للأكراد. ومع ذلك فأن هذه الفترة تميزت بانتقال الحركة القومية الكوردية الى مرحلة جديدة، حيث ظهرت بجلاء ضرورة تجاوز أساليب النضال الإقطاعية والعشائرية واقامة تنظيمات سياسية جماهيرية وفعالة في وسعها ان تقود الشعب كله. ان دروس الفترة بين الحربين العالميتين أفادت الشعب الكوردي في أيام نهوض كفاحه التحرري في أواخر الحرب العالمية الثانية وبعدها[٤٨].

ان التغييرات التأريخية العالمية التي حدثت بعد الحرب العالمية الثانية تميّزت بحلول مرحلة جديدة للحركة القومية التحررية، من ناحية قواها المحركة وقيادتها وطبيعتها، يمكننا أن نَصِف هذه الحركة بكونها حركة قومية ديمقراطية رغم انها توحد قوى طبقية واسعة جداً. وان معركة الاكراد في سبيل تقرير مصيرهم على أسس ديمقراطية انتشرت على جبهة واسعة، مع العلم ان دوافعها الاجتماعية التي تعكس المصالح

الطبقية للجماهير الكادحة بالذات تكتسب أهمية متزايدة.

(الى هنا ينتهي الاقتباس من حديث المستشرق).

كنا بصدد الحديث عن الكيانات السياسية القومية التي جاهد الاكراد اقامتها في وطنهم، وقد شهد القرن العشرون، على الاقل، ثلاث محاولات جدية لإقامة حكومات كوردية، ذات إستقلال ذاتي:

– الاولى: حكومة كوردستان الجنوبية، وعاصمتها مدينة السليمانية، التي أسسها الشيخ محمود الحفيد في اوائل العشرينات من هذا القرن– سبق الحديث عنها في الفصل الثاني.

– الثانية: جمهورية كوردستان (ايران) وعاصمتها مدينة مهاباد، التي أسسها الشهيد القاضي محمد، ودامت حوالي سنة (كانون الثاني ١٩٤٦– كانون الاول ١٩٤٦).

– الثالثة: الادارة الذاتية (شبه الاستقلال الذاتي) التي اقامتها الثورة الكوردية في كوردستان العراق (التي استمرت من ايلول ١٩٦١ حتى آذار ١٩٧٥)، وذلك في المناطق المحررة الواقعة تحت سيطرة الثورة بقيادة القائد الراحل مصطفى البارزاني. كانت منطقة الثورة عموماً تدار ذاتياً من قبل الهيئات الادارية والسياسية التي شكلتها قيادة الثورة، خاصةً منذ اواخر ١٩٦٤. وفي عام ١٩٧٤ شكلت هيئات (أمانات) متكاملة للمجلس التنفيذي للحكم الذاتي لأدارة المناطق المحررة. في حين ان الحكومة العراقية كانت في نفس الوقت قد عينت اعضاء لمجلسين (تشريعي وتنفيذي) لممارسة الصيغة الحكومية للحكم الذاتي[٤٩]، عاصمته مدينة اربيل. هذه الصيغة رفضتها الحركة الكوردية، بينما كانت الحكومة تريد فرضها. مازالت هيئات (الحكم الذاتي) الحكومية قائمة (١٩٨٥) لكن بصلاحيات محدودة للغاية، ورؤوساؤها يفرضون من قبل السلطة المركزية بدون أخذ ارادة الشعب الكوردي بنظر الاعتبار، اضافةً الى تقليص منطقة الحكم الذاتي الى اقل مساحة ممكنة، كل ذلك يعطي لتلك الهيئات صفة إدارة ذاتية باهتة ومشلولة عملياً.

ومما يذكر أنه خلال الفترة من (آذار ١٩٧٠–آذار ١٩٧٤) كانت إدارة معظم المحافظات الكوردية (بإستثناء كركوك وأقضية في محافظة ديالى ونينوى) عملياً في

أيدي الثورة الكوردية من خلال تحالفها مع السلطة المركزية بموجب اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠، فكانت اجزاء واسعة من كوردستان العراق تتمتع بالأستقلال الذاتي، رغم ان ذلك لم يعلن بالأسم رسمياً.

فاستئناف القتال في كوردستان العراق (آذار ١٩٧٤- آذار ١٩٧٥) قد اضاع استقلالاً ذاتياً كوردياً قائماً (وفي تفسيرنا لهذا الانعطاف الخطير فان الجانب الحكومي العراقي هو الذي يتحمل افشال المفاوضات آنذاك، ويتحمل مسؤولية إستئناف القتال ضد الشعب الكوردي).

واليوم فإن الشعب الكوردي، في كل جزء من اجزاء كوردستان يخوض كفاحاً واسعاً متعدد الاشكال حسب الظروف الموضوعية والامكانات الذاتية المتاحة، من أجل نيل حقوقه القومية، وصولاً الى التحرر النهائي.

اما في الاتحاد السوفيتي فقد منح الاكراد ظروفاً ملائمة لتطورهم الثقافي القومي[٥٠].

حملات التهجير الكبرى للكورد:

تعرض الشعب الكوردي، طوال تاريخه، الى حملات تهجير واسعة لأبنائه من ارض آبائهم واجدادهم الى مناطق نائية، أحياناً بعيدة عن وطنهم بأكثر من الفي كيلومتر.

تعرض هذا الشعب للتهجير، سواء قبل مراحل تقسيم كوردستان، أو اثناءها، أو بعدها. كما تم تهجير ابنائه مراراً حتى قبل الميلاد، وذلك من قبل الغزاة الذين كانوا يواجهون المقاومة الشديدة للقبائل الكوردية، فأحياناً كانت قبائل بكاملها تباد أو تؤسر وتهجر.

وظلت هذه الصورة تتكرر، بأشكال اخرى، حتى اليوم.

والمقصود بالتهجير، هي عملية قلع وابعاد السكان الاصليين قسراً من منطقة الى اخرى وحرمانهم من العيش والسكن في اماكن سكناهم الاصلية، او ما يسمى اليوم بالتطهير العرقي. وكانت الاسباب الكامنة وراء تهجير الكورد تتلخص في عاملين يشكلان وجهاً لغرض واحد:

الاول: التهجير وسيلة لقمع القبائل الكوردية والانتفاضات الكوردية.

الثاني: اخلاء كوردستان من سكانها الاصليين للإستيلاء على خيراتها، عبر تغيير طابع سكانها القومي.

فالأضطهاد القومي والاستغلال الاجتماعي كامنان في أصل سياسة التهجير، مهما تبرقعت بالحجج والمعاذير. وقد مورست سياسة التهجير ضد مختلف شعوب العالم في مراحل مختلفة من كفاحها. وتعرض الكورد مراراً لما تعرض له العرب بعد سقوط غرناطة الاندلس عام ١٤٩٢م، حين شهدت اسپانيا المآسي التي عاناها العرب، والتي أدانها التاريخ، كذلك سوء المعاملة منذ عهد فيليپ الثاني (١٥٥٦-١٥٩٨) لأجبار العرب في اسپانيا على ترك لغتهم القومية ومعتقداتهم الدينية. ثم أقر فيليپ الثالث عام ١٦٠٩ مرسوماً يقضي بأبعاد جميع المسلمين (أكثر من نصف مليون نسمة) من اسپانيا حيث توجهوا تحت تهديد السلاح الى اقطار المغرب العربي[٥١].

تعرض الكورد ايضاً لحملات تهجير واعتقال داخل الوطن، مشابهة لما تعرض له الشعب العربي الليبي منذ عام ١٩١١م على ايدي الغزاة الايطاليين الذين جمعوا ابناء ليبيا معسكرات سكنية قسرية في (معتقلات) جماعية كجزء من حملة الابادة. ففي كتاب (من داخل المعتقلات) لمؤلفه سعد محمد ابوشعالة شرح مستفيض لهذه المعتقلات والاهداف من بنائها[٥٢]:

«عقب اخفاق كل الجهود والحيل التي بذلها (غراتسياني)، الجنرال (الايطالي) الفاشي، وهو يقود جيشه الجرار المزود بالأسلحة الثقيلة بهدف القضاء على المقاومة الشعبية في الجبل الأخضر في ليبيا، لجأ هذا الجنرال السفاح الى فكرة المعتقلات الجماعية، وذلك من أجل عزل المجاهدين عن الاهالي لكي يتمكن من حصارهم وحرمانهم من كل دعم مادي او بشري فأقام على عجل عدداً من المعتقلات على اطراف الصحراء احيطت بالأسلاك الشائكة والحراسات المشددة».

«في هذه المعتقلات الرهيبة حشد (غراتسياني) قبائل بكاملها فلم يوفر احداً حتى الاطفال والنساء».

«اما ظروف الحياة في هذه المعتقلات فقد كانت أقسى من أن تحتمل، فقد تفشت الامراض بين السكان الذين اسكنوا في خيام مهلهلة تمتد الى مسافات طويلة، اما طعامهم فقد اقتصر على الدقيق الاسود الذي كان يوزع عليهم بمقادير قليلة لاتشبع فأراً».

«كما انعدمت الرعاية الصحية في المعتقلات فكان الموت يجوس بين المخيمات ليلاً ونهاراً يختطف الناس بالجملة، ومن هنا فلم يكن غريباً أن يسمى أحد ابواب المعتقل بباب الموتى».

«في ساحة المعتقل نصبت مشنقة في موقع متوسط حتى يراها الناس في كل وقت فلا تغيب عن بصرهم لحظة واحدة. وكان العسكر يتجولون بين الخيام ويجلدون كل من يصادفهم في طريقهم من الرجال والنساء بلا تفرقة، وكم من مرة أفاق سكان المعتقل على صوت امرأة تجلد وهي عارية»[٥٣].

وكأني بالكاتب الليبي يتحدث عن آهات المعذبين في معتقلات ومعسكرات كوردستان عبر قرون طويلة، لاسيما خلال القرنين الاخيرين، ان ما فعله العثمانيون، ومن ثم اخلافهم، كذلك شاهنشاهات ايران، وأخيراً حكام العراق في هذا القرن، ان ما فعله هؤلاء بالشعب الكوردي يمكن التعبير عنه باستعارة صور مماثلة لما رسمه الكاتب الليبي، وأحياناً أشد ايلاماً وقسوةً. هنا يتم التهجير داخل الوطن، بوضع شعب بكامله في سجن رهيب. وكم تعرضت كوردستان الى اشكال عنيفة من الحصار السياسي والعسكري والاقتصادي لخنق صوت شعبها.

وعانى الكورد ايضاً ما عانته شعوب اخرى حيث استعمل سلاح تهجير السكان في ماليزيا (الملايو) من قبل الاستعمار البريطاني بعد الحرب العالمية الثانية الى عام ١٩٥٥ لعزل حركة انصار تقدمية اندلعت في غابات الملايو، وفي الجزائر من قبل المستوطنين الفرنسيين لتحجيم الثورة الجزائرية ١٩٥٦–١٩٦٢، وفي جنوب افريقيا لاسيما زيمبابوي قبل الاستقلال من قبل العنصريين البيض. وفي فلسطين من قبل الصهاينة، كذلك في فيتنام وغيرها، مثلما جرى ايضاً بحق الهنود الحمر في امريكا باقتلاعهم من جذورهم التي تشدهم بمواطنهم الاصلية وابادتهم ببطء وبشكل ثابت، كذلك ما جرى للزنوج.. الخ.

اما مجمل ما تعرض له الشعب الكوردي فهو أكبر من كل ذلك لسببين:

اولاً: بسبب طول الفترة الزمنية التي يعاني فيها الكورد مثل هذه المعاناة.

ثانياً: بسبب حجم الأمة الكوردية ذات الملايين، وسعة ارض كوردستان، فكانت كل حملة من حملات التهجير الكبرى تشمل مئات آلاف الناس دفعة واحدة. هذا بينما

استمرت حملات التشريد والتهجير الصغيرة والمتفرقة طوال الايام والاشهر والاعوام، بحيث –لو نظرنا الى القرون الأربعة الاخيرة– لرأينا بأنه قلما مرّ عام لم تحدث فيه حملات تشريد وتهجير لمجموعة او مجموعات من ابناء كوردستان على ايدي مختلف الغزاة والمحتلين.

كنموذج للتهجير الواسع، نذكر ثلاث حملات تهجير كبرى للكورد في ايران، وتركيا، والعراق.

التهجير في ايران:

في بداية القرن السادس عشر حدث تغيير هام في تأريخ الشعب الكوردي عندما حطم جيش السلطان التركي سليم الاول، عام ١٥١٤ في معركة چالديران، حطم جيش شاه اسماعيل الصفوي، فأصبح القسم الغربي والاوسط من كوردستان ضمن الأمبراطورية العثمانية، وظل باقي كوردستان ضمن الامبراطورية الايرانية. إلاّ أن تقسيم كوردستان بين هاتين الامبراطوريتين لم يجلب الهدوء والاستقرار. ففي خلال الثلاثمائة سنة التالية أصبحت كوردستان ساحة لحرب لا نهاية لها بين العثمانيين والايرانيين، او ما عرف بحرب (السنة والشيعة)، وغالباً ما كان الاكراد في الطرفين وقوداً لها وضحايا تسحق بلا رحمة من قبل الجانبين. التقسيم الثاني لكوردستان، كما قلنا، جرى بموجب معاهدة ١٦٣٩ بين الامبراطوريتين العثمانية والايرانية. اما التقسيم الثالث والاخير فجرى بعد الحرب العالمية الاولى، كما اسلفنا في القسم الثاني.

خلال كل هذه المراحل (التقسيمية) كان الشعب الكوردي يتعرض للتهجير والتشريد، تارةً من هنا الى هناك، وطوراً الى خارج كوردستان، وتارةً ثالثة بشن حرب الابادة عليه في عقرداره.

قبل أربعة قرون، وبعد ان استنفذ الشاهات الصفويون الايرانيون اغراضهم من زج العديد من القبائل الكوردية القوية في الحروب ضد العثمانيين، وبعد ان رأى الصفويون قوة وبسالة الاكراد في القتال، فقد فكروا في نقل قبائل كوردية بكاملها الى اقصى شمال شرقي ايران، وذلك لتحقيق هدفين في آن واحد:

الاول: التخلص من خطر هذه القبائل الكوردية لاسيما بعد أن لمس حكام الامبراطورية الصفوية النزعة والاستقلالية لدى بعض الزعماء الاكراد.

الثاني: وضع هذه القبائل في مواجهة الغزوات والهجمات الآتية الى ايران من آسيا الوسطى.

وهكذا تم تهجير عدة قبائل كوردية بكاملها من منطقة موكريان (مركزها مهاباد حالياً) ومن قبيلة الشكاك (منطقة خوي وسلماس حتى اقصى شمال غربي ايران)، وتبع ذلك تهجير كل قبيلة أو مجموعة كوردية في كرماشان ولرستان وغيرها قد تبدي معارضة او تعبر عن نزعة استقلالية. وكل حركة كوردية تقمع كان يتبعها تهجير واسع، كما حدث للفيليين الذين ثاروا تحت قيادة المرأة الكوردية الباسلة (قدم خير فيلي) التي ماتت في سجون الشاهات، بعد ان تشرد الآلاف من أبناء المنطقة (پشتكوه/لرستان).

كان الصفويون يبعدون هؤلاء الاكراد الى وسط وشمال واقصى شمال شرقي ايران اي على بعد حوالي (٢٠٠٠) الفي كم بعيداً عن كوردستان. وحتى الآن مثلاً توجد قبائل كوردية بكاملها لازالت تعيش في محافظة مازندران (على بحر الخزر «قزوين»)، تملك بعضها (٧٣) قرية في مكان واحد.

اما المهجرون الى خراسان (اقصى شمال شرقي ايران) فقد ازداد عددهم على كر الايام، حتى صاروا قوة لايستهان بها، استند اليها شاهات ايران في مختلف الحروب لاسيما ضد الغزوات القادمة من الشرق والشمال، وبرز بين هؤلاء الاكراد، الذين يحتفظون حتى اليوم بلغتهم وسننهم وتقاليدهم القومية، قادة عسكريون واداريون اكفاء لعبوا ادواراً هامة. ويقدر عددهم الآن بأكثر من مليون نسمة حسب ما نشرته الصحافة الايرانية في أواخر ايلول ١٩٨٠ حين نشرت برقية بأسم هؤلاء يعلنون الاستعداد للوقوف بوجه القوات العسكرية العراقية التي دخلت الاراضي الايرانية.

كما قلنا آنفاً، فأن المهجرين الاكراد انتشروا على طول الحدود في المنطقة، فصار منهم من يعيش في الاتحاد السوڤياتي او افغانستان بجوار محافظة خراسان الايرانية.

كان الشاه عباس الصفوي قد فاق اسلافه في عملية التهجير سواء بحق الاكراد او الارمن. رافقت حملات التهجير القسرية اعمال ارهابية واعتداءات وتصفيات جسدية لاقى الكثيرون حتوفهم قبل الوصول الى مناطق سكناهم الجديدة. استمرت سياسة

التهجير الجماعي للكورد طوال عهود مختلف الشاهات الايرانيين حتى آخر سلسلتهم. رضا خان بهلوي هجر وشرد عشرات الآلاف من پشتكوه وكرماشان (كرمنشاه) ومناطق كوردستان الاخرى، وآخر شاه ايراني محمد رضا بهلوي الذي سقط عام ١٩٧٩ تحت ضربة الثورة الشعبية الايرانية، ارتكب مجازر اعدامات جماعية بحق الكورد سواء عام ١٩٤٧، او ١٩٥٨–١٩٥٩، كذلك ١٩٦٧–١٩٦٨، وكلما رفع الشعب الكوردي صوته احتجاجاً على الاضطهاد القومي والطغيان.

اما بعد الثورة الاسلامية الايرانية عام ١٩٧٩، فلم تحصل حملة تهجير للأكراد، رغم ما عانت القضية الكوردية هناك من ملابسات وتعقيدات.

التهجير في تركيا:

في العهد العثماني هجر السلاطين مراراً قبائل كوردية بكاملها والى بعد آلاف الكيلومترات خارج كوردستان مثلما حصل لقبيلة (هموند) الكوردية –الساكنة حالياً في قضاء چمچمال/محافظة السليمانية/العراق– التي ثارت ضد العثمانيين الذين قمعوها بعنف وابعدوا القبيلة الى اقطار شمال افريقيا، وخاصةً ليبيا حيث اقيموا في منطقة بنغازي. وقد تمكن بعضهم من الهرب والعودة مشياً على الاقدام الى كوردستان، بعد ان توفى كثيرون في طريق العودة، وما ان استقروا في موطنهم حتى اعلنوا الثورة ضد العثمانيين مرة اخرى.. وهكذا.

إلاّ أن اوسع عملية تهجير قد جرت خلال الحرب العالمية الاولى. وبهذا الصدد يقول المؤرخ الكوردي المعاصر د.كمال مظهر(٥٤):

أثار استمرار النضال التحرري لشعوب الامبراطورية العثمانية، والذي اتخذ بالنسبة لعدد غير قليل منها طابعاً في غاية الجدية، حقد الحكام العثمانيين أكثر من ذي قبل، وألهب فيهم روح التعصب العنصري في أسوأ اشكاله. وبالنسبة للأكراد فقد اتخذوا هذا الامر طابعاً خاصاً بعد ان فشل الحكام العثمانيون من تحويلهم الى عنصر مؤثر في الحرب الجارية كما كان عليه الأمر في الماضي، اذ بدأ الجنود الاكراد يتركون صفوف الجيش العثماني افواجاً، وكثيراً ما كانوا ينضمون بكامل اسلحتهم الى جانب الثوار من أبناء شعبهم.

ومما كان يثير العثمانيين أيضاً، أنهم لم يستطيعوا جعل أبناء الشعب الكوردي آلة

في أيديهم ضد الاقليات الدينية في الدولة العثمانية، وبشكل خاص ضد الشعب الأرمني المجاور.. من جهة، اضافةً الى اتصالات الرؤوساء الاكراد بالروس والانگليز والزعماء العرب والأرمن، أي بكل المناوئين للأمبراطورية العثمانية، من جهة اخرى.. ولما باتت الفئات العثمانية الحاكمة واثقة من انها خسرت عواطف الشعب الكوردي نهائياً، فانها بدأت تعمل في المرحلة الاخيرة من الحرب بقسوة وفظاظة لصهر الشعب الكوردي واطلقت يدها فيه واهمة أن ذلك خير سبيل للحفاظ على كوردستان.

ولتحقيق هذا الغرض أصدر الاتحاديون الاتراك قبيل انتهاء الحرب، سلسلة من المراسيم والفرمانات تقضي بتشتيت الاكراد في القرى الكوردية على أن لاتتجاوز نسبتهم في أي مكان ٥-١٠٪ من السكان الاصليين للمناطق التي يعاد توطينهم فيها. وكان من المقرر اسكان الشخصيات ورؤوساء القبائل الكوردية في مدن الاناضول الغربية ووضعهم هناك تحت الاقامة الجبرية ومنعهم من الاتصال فيما بينهم أو برجالهم الموزعين في القرى.

وتمكن الحكام الاتراك من ابعاد عدد كبير من الاكراد خلال الفترة الاخيرة من الحرب (العالمية الأولى)، وتقدر مصادر مختلفة عدد المهجرين بما لايقل عن (٧٠٠) ألف شخص، وهذه المصادر هي كتب ونشرات انگليزية وفرنسية كتبها الأجانب.

لقد مات أكثر من نصف المهجرين في الطريق جوعاً ومن شدة البرد او فتكت بهم الامراض، ولم يستطع إلاّ قلة منهم العودة الى اماكنهم الاصلية وذلك بعد انتهاء الحرب. اما الذين استقروا في مهاجرهم فقد عاشوا في ظروف بالغة القسوة من البطالة والامراض، مما ادى الى أن يموت من هؤلاء خلق كثير. وهكذا اعاد العثمانيون بعد أكثر من ثلاثة قرون ونيف صورة اخرى للمآسي التي شهدتها اسپانيا بحق المسلمين هناك -كما اسلفنا في بداية هذا الموضوع-.

وفضلاً عن كل ذلك فان الجيش العثماني شرد وطرد معظم سكان (دياربكر، موش، بدليس -وهي مناطق كوردية-) من مواطنهم تحت ستار متطلبات القتال، فاضطر الكثيرون من هؤلاء الى اللجوء الى مدن مثل حلب والموصل، يعيشون فيها في حر الصيف وبرد الشتاء على ارصفة الشوارع ويأكلون تحت وطأة الجوع جيف الحيوانات الفاطسة في تلك الانحاء، بل وحتى جثث الموتى من ذويهم الذين هلكوا بدورهم من

شدة الجوع. يظهر من ذلك ان المهجرين والمضطهرين الى الهجرة زاد عددهم عن مليون نسمة. ومن جانب آخر، ادت السياسة الاقتصادية للإتحاديين في سنوات الحرب (الاولى) الى الحاق الدمار بجميع اصقاع الامبراطورية بما فيها المناطق الكوردية.

ينقل المؤرخ عن لسان جريدة ارمنية كانت تصدر آنذاك بأن المنطقة الممتدة الى الجنوب والغرب من بحيرة (وان) -حالياً في كوردستان تركيا- كانت خالية من السكان بعد الحرب العالمية الاولى بعد ان كان يقطنها في السابق ما لايقل عن (٨٠٠) الف كوردي.

وقد استمرت عمليات التهجير والتشريد بعد الحرب ايضاً، بعد انتصار كمال اتاتورك. وخير ما نستشهد به هو قول العالم الاجتماعي التقدمي التركي اسماعيل بيشيكچي[٥٥] الذي كتب في رسالة قدمها الى منظمة اليونسكو عام ١٩٨١ دفاعاً عن الامة الكوردية، يقول هذا العالم التركي:

«في قانون ١٩٢٤ (القانون التركي) نرى للمرة الاولى محاولة حل المسألة الكوردية بالوسائل الايديولوجية، وكان يجب ان يفرض هذا «الحل الايديولوجي» طبعاً بالوسائل العسكرية. ومن وجهة نظر قانون عام ١٩٢٤، كل من يعيش في حدود الدولة التركية هو تركي، وسعيد لكونه تركياً...».

ثم يقول:

«وفي هذه الحالة فان اولئك الذين يزعمون انهم كورد، واولئك الذين يطالبون بالحقوق القومية الكوردية هم مجرمون امام القانون، وهم «خونة الوطن» كما ينص القانون..».

«بعد عام ١٩٢٣ بذلت جهود كبيرة لأيصال الاوضاع العامة الى الوضع المرسوم في القانون. فقد جرى رفض وانكار وجود الامة الكوردية. اما اولئك الذين لم يسحبوا انتماءاتهم لكوردستان وللأمة الكوردية، فقد جوبهوا وجهاً لوجه بمضايقات كبيرة. وكان النفي على الاغلب الوسيلة المستخدمة. وقد تم إرسال الكورد بشكل جماعي الى النفي، كما جرى اخلاء مدن وقرى بأكملها، ونفيت عشائر كاملة، ورسمت مناطق محرمة، وكان الهدف هو صهر الكورد في بوتقة الامة التركية والثقافة التركية، والقضاء على الخصائص القومية للأمة الكوردية».

ثم يتابع العالم التركي قائلاً:

«وكأمكنة للنفي، جرى استخدام بحر ايجة، والبحر الابيض المتوسط، ووسط الاناضول وتراكيا. وفي الوقت نفسه بذلت جهود كبيرة لأسكان الاتراك الذين أتوا من يوغسلافيا ورومانيا واليونان وبلغاريا والاتحاد السوفيتي في كوردستان».

ويقول في مكان آخر:

«ولكن رغم أن هذه السياسة تطبق منذ ٥٥ عاماً (كتب المذكرة عام ١٩٨١)، فان الحركة الكوردية لاتزال تستمر. في اعوام ١٩٢٣-١٩٢٨ مثلاً كانت الامبريالية الانكليزية في جنوب كوردستان (كوردستان العراق حالياً) غالباً ما كانت تستخدم القدرات الجوية الملكية البريطانية ضد الحركة القومية الكوردية. وقد خلقت شتى المعوقات في وجه عملية تشكل الكورد كأمة، وتشكيل الدولة الكوردية، وكانت القيادة الكمالية في شمال كوردستان تشدد من يوم الى آخر، سياستها العنصرية واجراءاتها الكولونيالية، ومحاولات القضاء على الأمة الكوردية عن طريق الإبادة الجماعية، وعن طريق التهجير الداخلي والاذابة. وكان ذلك يستمر بطريقة وحشية وسريعة».

وعن الصعوبات امام الكفاح الكوردي يقول العالم التركي أن:

«الكورد يخوضون نضالهم الوطني-التحرري بين الاعداء، وهم يجب أن يقاوموا المصاعب التي يخلقها اعداؤهم، وليس لهم اصدقاء تقريباً، الأمر الذي يعود الى تقسيم وتجزئة كوردستان. ان البلدان التي تستخدم كوردستان -متعاضدة فيما بينها- تتخذ شتى الاساليب القمعية ضد الكورد. وتنسق بين بعضها البعض.

والكورد الذين يخوضون النضال من أجل الحرية والاستقلال في كل واحدة من هذه البلدان، لايمكن أن يجدوا حماية في أي مكان. بالعكس تماماً، فالحدود تغلق. كما يجري القبض على مناضلي حركة التحرر الوطني الكوردية على الحدود، ويسلمون الى البلدان المطالبة بهم، وتنصب لهم المشانق. ولايستطيع الكورد الحصول على أي دعم إقتصادي او سياسي. وهم لايستطيعون ان يتخلصوا بسهولة من الأنشطة التي تقيّدهم، والموضوعة من قبل الحكومات العنصرية والكولونيالية المستعبدة لكوردستان.

فالكورد لايمكن حتى مجرد مقارنتهم -من ناحية التسهيلات المتوفرة- برفاقهم المناضلين الفلسطينيين».

وفي مكان آخر، يتحدث العالم التركي عن إصرار الأمة الكوردية على خوض

النضال:«كانت الأمة الكوردية تريد أن تكون حرة ومستقلة، لم تكن تريد أن تكون مدانة، لم تكن تريد ان تظل عبداً وخادماً، ولهذا فقد خاضت كل اشكال النضال».

ويتحدث في فقرة اخرى عن جانب آخر من اضطهاد الاكراد في ظل الكماليين منذ عام ١٩٢٣ خاصةً:

«... كان الكورد يخضعون الى اضطهاد وحشي. وكانت كوردستان تخضع لحكم مراكز المراقبة العامة، اي الحاكميات. وكانت تقدم الادعاءات التي تقول ان الكورد هم «اتراك الجبال» من جهة، وتنفيذ سياسة الاذابة والتدمير الوحشيين من جهة اخرى. وتحت اسم الاسكان الاجباري سنت واخضعت لتنفيذ قوانين خاصة، جرى بموجبها ارسال الكورد -عوائل بأكملها رجالاً ونساء وشباباً وشيوخاً- الى النفي في الاجزاء الغربية من تركيا. وقد جرى اخلاء القرى والمدن، كما جرى ترحيل قبائل بكاملها، وشكلت مقاطعة محرمة، وكانت السلطة في كوردستان استبدادية بكل معنى الكلمة»[٥٦].

شهادة تأريخية اخرى.. فقد وصف الزعيم الهندي الراحل «جواهر لال نهرو» المآسي الاليمة التي تعرض لها الكورد في تركيا اعوام ١٩٢٣-١٩٢٥، لاسيما بعد ثورة الشيخ سعيد پيران، فادان جرائم الحكومة التركية بحقهم، واشاد بشجاعة الشعب الكوردي وتصميمه على مواصلة الكفاح الذي تنبأ له «نهرو» بالنجاح في نهاية الامر. كتب، عام ١٩٣٥، عن الكورد قائلاً:

«كيف يمكن للمرء ان يصدق بإمكانية الاستمرار في اضطهاد شعب يصر على نيل حريته، ومستعد لدفع أي ثمن في سبيل ذلك».

وقد جعل الكاتب الالماني «گونتر ديشنر» هذه العبارات ديباجة لأحد فصول كتابه (احفاد صلاح الدين) الصادر في برلين الغربية عام ١٩٨٣. اقتبسنا العبارة من مخطوطة الترجمة العربية لهذا الكتاب. اما عن حديث «نهرو» عن الكورد فيمكن ملاحظة ما ورد في كتابه «لمحات من تأريخ العالم» المترجم الى العربية، والذي يتكون من مجموعة رسائل بعث بها الزعيم الهندي في حينه الى ابنته الراحلة «انديرا غاندي» بينما كان هو في السجن في الثلاثينات.

التهجير في العراق:

جذور سياسة التهجير في كوردستان العراق تعود الى اصول السياسة البريطانية القائمة على حرمان الشعب الكوردي من ثروات أرضه وخيراتها. ففي عام ١٩٤٣–١٩٤٥، ومن جراء الحملة العسكرية البريطانية –العراقية على الثوار الاكراد، تحولت أكثر من (٥٠) قرية الى خرائب وانقاض نتيجة القصف الشديد.

ودأبت بريطانيا والحكومات العراقية الرجعية على التقليل والتقليص دوماً من الوجود الكوردي في المناطق الكوردية الاصيلة، تاريخياً وجغرافياً، مثل كركوك وخانقين، حيث تتوفر منابع النفط. وقد سنت منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة، خطط ومشاريع لتغيير الطابع القومي لهذه المناطق بإبعاد الاكراد عنها. لذلك فان كافة الحكومات العراقية التي مارست سياسة تهجير الاكراد، انما نفذت في الواقع سياسة بريطانية قديمة، لكن بأهداف جديدة، مشابهة للهدف الاستعماري، وجوهر هذا الهدف هو استغلال الثروات الطبيعية لكوردستان وحرمان سكانها الاصليين منها.

ظهرت نزعة الحكومات العراقية[٥٧] نحو تهجير الاكراد بصورة خاصة منذ عام ١٩٦٣، حيث قامت بهدم الآلاف من دور الاكراد في احياء الشورجة وآزادي في مدينة كركوك ومسحها بالأرض وتشريد سكانها، وتهجير سكان (٢١) قرية في ناحية دبس بمحافظة كركوك بعد تهديم دورهم ايضاً، وقد بلغ عدد هؤلاء آنذاك حوالي (١٥) ألف عائلة، وشنت السلطات العراقية بالجيش وكافة اجهزة القمع حرب ابادة شاملة ضد الشعب الكوردي في ١٠ حزيران ١٩٦٣، كانت تصاحبها عملية هدم وحرق القرى الكوردية مع تشديد الحصار الاقتصادي على سكان المدن والقرى.

كتبت الصحافة العالمية عن هذه الحرب، التي سمتها هي الاخرى بحرب «الابادة الشاملة»، وعلى سبيل المثال لا الحصر، نذكر فقط اسماء بعض الصحف التي تناولت بالتفصيل عمليات الابادة: صنداي اكسبريس اللندنية في ١٩٦٣/٦/١٦، ديلي تلگراف في ١٩٦٣/٦/١٩، صحيفة (لورد) الفرنسية في ١٩٦٣/٨/١١، لوموند الفرنسية في نفس الفترة، درشتيرن الالمانية في العدد الاول ١٩٦٤، وكتب الصحفي السوڤيتي ب.ب.ديمچينكه تقريراً مفصلاً اصدره في كتاب ترجم بعنوان (كوردستان العراق الملتهبة) وقد ورد ذكره في الصفحات السابقة مراراً، مثلما تناولت الموضوع شخصيات

عربية تطرقنا لها في القسم الثاني من هذا الكتاب، كذلك صحف كمبوديا، غانا، فرنسا، بلغاريا وغيرها.

وبهذا الصدد كان الاتحاد السوڤيتي قد حذر حكومات دول حلف السنتو عام ١٩٦٣ «من التدخل في أحداث شمال العراق». كذلك مشروع قرار الاتحاد السوڤيتي الى الدورة ٣٦ للمجلس الاقتصادي والاجتماعي لهيئة الامم المتحدة في جنيف في تموز ١٩٦٣ والذي جاء فيه بأن العمليات العسكرية ضد الاكراد في العراق تعتبر من حيث طابعها عملاً من أعمال سياسة الابادة الشاملة او الجماعية ضد الشعب الكوردي.

وفي ٢/تموز/١٩٦٣ وجهت جمهورية منغوليا الشعبية رسمياً الى هيئة الامم المتحدة تطلب ادراج موضوع «سياسة الإبادة الاجماعية ضد الشعب الكوردي في العراق» في جدول اعمال الدورة العامة للهيئة.

لكن الحكومات العراقية، متحدية الرأي العام العالمي، واصلت سياستها، ووسعت من نطاقها لاسيما منذ أواخر الستينات وفي السبعينات وحتى كتابة هذا البحث.

اواخر عام ١٩٦٣ كتبت (لومانيتيه) الفرنسية عن مواصلة الحكومة العراقية لحرب الابادة ضد الاكراد، واشارت الى تدمير القرى والمدن الكوردية بمساعدة سلاح الجو والصواريخ والقنابل المحرمة دولياً..

في ١٥ نيسان ١٩٦٥ اشارت (لوموند) الى القصف الوحشي في منطقة السليمانية. وقالت (لومانيتيه) بعد ذلك بفترة بأن الحكومة تستخدم قنابل الناپالم والصواريخ ضد الاكراد العزل.

في عددها الرابع لسنة ١٩٦٦ كتبت مجلة (قضايا السلم والاشتراكية) عن هدم وحرق القرى الكوردية في اقضية ونواحي طوز خورماتو، چمچمال، كفري، آغجلر، وشوان في محافظة كركوك واستعمال الناپالم والقنابل الحارقة والقنابل الكيميائية السامة ضد الشعب الكوردي.

عام ١٩٦٦ كتب الصحفي الفرنسي جان بارتولينو في صحيفة لاكرويكس عن الحرائق الهائلة التي تحدثها القنابل في كوردستان واعمال الارهاب الاخرى للحكومة.

في ١٩٦٦/٢/٧ كتبت صحيفة البرافدا عن ضرورة وقف الحرب ضد الاكراد. خلال ١٢–١٣ شباط ١٩٦٦ انعقدت في باريس الدورة العمومية للجنة الدولية للنضال في

سبيل العفو عن المعتقلين السياسيين، فاستنكرت بشدة الحرب ضد الشعب الكوردي وجاء في القرار:«تم تدمير ٦٠٠ قرية في كوردستان العراق منذ فترة قصيرة واحرقت المحاصيل. ويموت الناس الابرياء..».

وهناك صحف وقطاعات اخرى من الرأي العام العالمي تعاطفت مع الشعب الكوردي المعرض للأبادة الجماعية. ولم نستطرد في عرض بعضها إلاّ للتدليل على ذلك كإستشهادات ملموسة.

وفي مذكرة قدمتها قيادة الحركة الكوردية في العراق الى هيئة الأمم المتحدة في اواسط تشرين الاول سنة ١٩٦٩ ورد انه خلال الفترة من ١٩٦١ حتى ١٩٦٩ تعرضت مئات القرى الكوردية الى القصف والتدمير والحرق، وان ٢٨١ قرية كوردية قد دمرت نهائياً وسويت بالأرض من قبل الحكومات العراقية، وان بعضها قد احرقت عدة مرات حتى لم يبق لها اثر. تضمنت المذكرة اسماء القرى بالتفصيل موزعة على المناطق الكوردية كالتالي:

لواء (محافظة) كركوك ٥٨ قرية، لواء السليمانية ٦١ قرية، لواء اربيل ٦١ قرية، لواء الموصل ودهوك ٦٠ قرية، لواء ديالى ٤١ قرية.

وقد اثيرت سياسة التجويع والحصار المفروضة على الشعب الكوردي في العراق في الأمم المتحدة مرة اخرى، وذلك من قبل وزير خارجية ايسلنده، في الدورة ٢٤ للهيئة العامة للأمم المتحدة في اجتماعها ٦٢ المنعقد في نيويورك في نهار الثلاثاء الموافق ٢٥ ايلول ١٩٦٩، وطالب بالتدخل لصالح الكورد وتقديم مساعدة فعالة لامثال هذه الاقليات التي تتعرض الى الابادة عن طريق التجويع فيموت المئات بل الألوف لسوء التغذية والقحط.

تفاقمت سياسة التهجير منذ عام ١٩٧٠م ومابعده، حيث رحلت وهجرت السلطة حوالي (٦٩) الف من الاكراد الفيليين الى خارج البلاد بحجة انهم «من اصل ايراني» في ظروف قاسية وارهابية. وقصفت (٢٣) قرية كوردية في قضاء سنجار، واخلت عدة قرى في ناحية دبس، وجرى تعريب واخلاء (١٣) قرية في اقضية كفري وطوز خورماتو. وطردت (٥٠٠) عامل كوردي من منشآت النفط في كركوك، وابعدت عام ١٩٧٤ (٥٦٠) عاملاً كوردياً آخر من مختلف مرافق كركوك.

بلغ التهجير الجماعي ذروته بعد إتفاقية الجزائر بين العراق وايران عام ١٩٧٥ وفي ظل (الحكم الذاتي!) حيث هجرت حوالي (٣٠٠) الف شخص كوردي من كوردستان الى الوسط والجنوب الغربي من العراق، ووزعتهم وشتتهم على شكل معسكرات او في مجاميع متكونة من (٣-٥) عوائل على القرى العربية في دي قار (الناصرية) والقادسية (الديوانية) والمثنى (السماوة) والانبار (الرمادي) وميسان (العمارة) وبموازاة ذلك تم تهجير واعادة توطين حوالي (٣٠-٤٠) الف مواطن كوردي ضمن المحافظات الكوردية، في مجمعات سكنية ليست في حقيقتها سوى أماكن احتجاز جماعية حيث تفرض الاقامة الاجبارية على ساكنيها (مثلما جرى للشعب الليبي على يد الفاشيين الطليان، او ماجرى للأكراد على يد تركيا في اوائل العشرينات).

رافق هذه الحملات إخلاء القرى وتدمير وحرق القرى الكوردية (خلال ١٩٧٧-١٩٧٨) على طول الحدود العراقية-التركية، والعراقية-الايرانية، وبعمق ٢٠ كم واحياناً أكثر، وابادة المواشي واتلاف المحاصيل وطمس الينابيع وتفجيرها..، مما كان تخريباً وحشياً للبيئة ايضاً. كذلك زرعوا الالغام واعلنوا هذه المناطق محرمة..، واسفر كل ذلك عن إمحاء أكثر من (٢٠٠٠) قرية كوردية وازالتها من الوجود، مع مارافقها من اعمال بطش وارهاب وتصرفات لا إنسانية واعتداءات.

مرة اخرى نستشهد بالأصوات الاخرى التي ارتفعت احتجاجاً على هذه الاعمال. فقد اصدرت «المنظمات الشعبية العراقية» وهي منظمات عربية عراقية، مقرها دمشق، ملفاً عن الفاشية في العراق[٥٨] عام ١٩٨٤، تحدثت فيه عن عمليات الترحيل الجماعية للمواطنين من مناطق سكناهم الاصلية الى مناطق اخرى. قارنت فيه بين عملية تهجير الكورد ومحاولة هتلر في الحرب العالمية الثانية بتهجير جميع سكان هولندا الى بولندا.

وجاء في هذا الملف القانوني الذي اصدرته منظمات شعبية عربية في العراق، بصدد تهجير الاكراد من سكناهم في «شمال العراق» واسكانهم قسراً في جنوب العراق بأن السلطات العراقية اتخذت، بعد عام ١٩٧٥، اجراءً انتقامياً بنقل واسكان هؤلاء المواطنين في المناطق الوسطى والجنوبية اضافةً الى استمرارها بترحيل المزيد من العوائل الكوردية، ونقلتها من مناطق سكناها الاصلية بسيارات «اللوري» العسكرية واسكنتها في مجمعات ومعسكرات سكنية مشيدة من القصب والبردي غاية في السوء،

لاتصلح اطلاقاً لسكن بني البشر، تنعدم فيها الأولويات الضرورية لمقومات الحياة المعيشية، والتي كانت دائماً عرضة للحرائق والتداعي والسقوط، خاصة في مواسم الامطار. وفرضت عليهم الاقامة الجبرية في تلك المجمعات والمعسكرات السكنية التي لاتتوفر فيها الشروط الصحية، ولا يمكنهم مغادرتها إلاّ في احوال استثنائية وبموافقات خاصة، بعد ان صودرت أموالهم وحجزت ممتلكاتهم وبشكل تعسفي ودون تعويض عادل. وان هذه المجمعات السكنية شبيهة بمجمعات سكن للزنوج في جنوب افريقيا العنصرية التي تمارس الفصل العنصري المقيت هناك، بل ان تلك المجمعات في بعض جوانبها أفضل وأحسن بكثير من مجمعات هؤلاء المواطنين الذين كانوا يعانون شظف العيش وقساوة الحياة والتشرد اضافةً الى عمليات الاذلال المستمرة والمتعمدة التي كان يمارسها جلاوزة اجهزة القمع المكلفين بحراسة هذه المجمعات والمعسكرات السكنية».

«هذا ومن جهة اخرى قامت السلطة بنقل واسكان قسم من العشائر العربية في المنطقة الكوردية تنفيذاً لسياستها الحمقاء وفي هذا المجال بغية ضرب طوق من الحزام الأمني على تلك المنطقة، الا ان بعض هذه العشائر قد عارضت بشدة اجراءات السلطة..» الخ. ويتناول الملف بقية وقائع التهجير والارهاب.

انه صوت من الاصوات العربية الخيّرة، من الضروري الاستشهاد به لأدانة عمليات التهجير في العراق، مثلما استشهدنا بصوت العالم الاجتماعي التركي في إدانة الحكومة التركية لإجراءاتها الشوفينية ضد الاكراد في تركيا.

ورغم ان السلطة تراجعت عن بعض اعمال التهجير الى الجنوب وذلك تحت ضغط الشعب العراقي وحركته الوطنية وتصاعد الحركة الكوردية والرأي العام الخارجي، فان اصل سياسة التهجير لم يتغير.

اجمالاً بلغ عدد الفلاحين المهجرين[٥٩] الى مجمعات سكنية قسرية (تسميها السلطة «قرى عصرية») أكثر من (٣٠٠) ألف شخص في تلك الفترة، وزادوا عن نصف مليون فيما بعد، حرموا من العمل بعد ان كانوا في قراهم يزاولون الزراعة وتربية المواشي. وجرى جمع كل هؤلاء في (٤٩) مجمعاً سكنياً.

اما عدد القرى التي دمرتها الحكومة العراقية فتبلغ (حتى عام ١٩٨٥) أكثر من

(٢٠٠٠) قرية. على سبيل المثال لا الحصر، دمرت السلطة خلال شهر واحد تقريباً (من ٦/١٥ حتى ١٩٧٨/٧/٢٣) ما مجموعه (٤٩٢) قرية في محافظات اربيل، وكركوك، والسليمانية.

استمر التهجير بعد عام ١٩٧٩، إلا أنه أخذ اواخر عام ١٩٨١ ومن ثم خلال عام ١٩٨٥، ابعاداً خطيرة باتت تهدد كيان الشعب الكوردي في العراق كقومية لها مقوماتها وشخصيتها المتميزة.

في صيف ١٩٨١ اخلت السلطة حوالي (٢٠٠٠) عائلة كوردية من سكان قضاء چومان وناحية گلالة، ورحلتهم الى مناطق اخرى. في نفس الفترة جرى تدمير وتسطيح ناحية شيروان/قضاء ميرگه سور، يبلغ سكانها أكثر من ٥٠٠ عائلة، تم تهجيرهم عنوة.

ثم جاء قرار مجلس قيادة الثورة العراقي بترحيل أكثر من (٢٠) ألف عائلة كوردية وتركمانية من كوردستان الى الجنوب، والقرار رقم بـ(١٣٩١) مؤرخ في ١٩٨١/١٠/٢٠، منشور في الجريدة الرسمية (الوقائع العراقية) العدد ٢٨٥٦ في ١٩٨١/١١/٢. وقد تأجل تنفيذ هذا القرار تحت ضغط الكفاح الجماهيري المتصاعد في العراق، نتيجة فضح القرار عالمياً. إلاّ أنه مازال قائماً..

أما في عام ١٩٨٥ فقد صار التهجير يأخذ ابعاداً أخرى أشد خطورة تهدد بإزالة مئات القرى الكوردية الاخرى عن الوجود، وستكشف الايام عن هول هذه المأساة فيما لو استمر هذا النهج الخطر السائد في العراق.

عموماً شمل التهجير داخل، والى خارج، اقليم كوردستان حوالي ثلث ابناء الشعب الكوردي.

مما يجدر ذكره ايضاً، ان الحكومة العراقية، تحت ضغط الرأي العام الخارجي، تحاول في بعض المحافل تغطية اجراءات التهجير بمبررات غير موضوعية كتسهيل الخدمات الاجتماعية للسكان الاكراد المهجرين، او لأسباب «أمنية اقتصادية حيوية»[٦٠] او لأسباب «شخصية بحتة» حيث تدعي ان الاكراد يرغبون الانتقال من ديارهم.

أما حقيقة الأمر فأن أصل سياسة التهجير سواء كان في ايران، او تركيا، أو

العراق، ينبع من الاضطهاد القومي والاستغلال الاجتماعي لشعب آخر ونهب ثرواته وخيرات بلاده، والسعي لتحكيم هذه الهيمنة.

ان حملات التهجير، الكبرى منها والصغرى، إدانة للأنظمة الشوفينية والقوى الامپريالية الداعمة لها، وقد جاء الوقت الذي ينبغي فيه للهيئات والاوساط الدولية، ومنها هيئة الأمم المتحدة أن تضع في جدول عملها الدعوة الى الكف عن تهجير وملاحقة ابناء كوردستان في عقردارهم، وانصاف هذه الأمة المغبونة تاريخياً، والتي ستواصل الكفاح حسب الظروف الموضوعية والامكانات الذاتية المتاحة حتى التحرير، مهما كانت الصعوبات والمعوقات، فليس امامها ثمة خيار ثالث: امّا التحدي أو الموت. لذا كان الشعار الذي يردده الانصار الكورد (الپيشمه رگه) حيثما كانوا هو «كوردستان أو الموت».

أهم الثورات والانتفاضات المعاصرة:

خاض الشعب الكوردي ثورات وانتفاضات كثيرة، تطرقنا الى بعضها خلال سياق الحديث في المواضيع السابقة. يكفي أن نقول أنه خلال فترة (١٧٨٨–١٩٧٥) شن الشعب الكوردي أكثر من (٢٥) انتفاضة وثورة في مختلف اجزاء كوردستان. فقد كان القرن التاسع عشر عهد الحركات الكوردية المناهضة للأتراك.

في عام ١٨٢٨ هبَّ الاكراد اليزيديون في منطقة سبيراتسك للنضال ضد الاتراك. ويرى بعض الباحثين الكورد أن ثورة الامير بدرخان عام ١٨٤٣ هي أول انتفاضة يمكن تسميتها بالوطنية بالمفهوم الحديث. ثم كانت انتفاضة القائد الكوردي يزدانشير ضد الدولة العثمانية (١٨٥٤–١٨٥٥) وقد سبق ذكرها، ويكاد معظم الباحثين يتفقون على اعتبار ثورة الشيخ عبيدالله النهري (النقشبندي) عام ١٨٨٠ بداية الحركة التحررية الكوردية المعاصرة. فمنذ هذه الفترة بدأت تتبلور الحركة الكوردية رافعة شعار توحيد كوردستان. شهد عهد الشيخ النهري ظهور نواه اول تنظيم سياسي قومي كوردي. كذلك ظهرت، في نفس الفترة، حركة بين المثقفين الكورد في المدن الكبرى دعت الى احياء التراث القومي الكوردي.

فكانت الانتفاضات والوثبات الكوردية تتسع بحلول القرن العشرين، ورغم القمع الوحشي من قبل الامبراطوريتين العثمانية والايرانية فان ولادة وتكوين تنظيمات

واحزاب الحركة الوطنية الكوردية لم يتوقفا لحظة. في ربيع عام ١٩٠٥ نشبت حركة كوردية بقيادة جعفر آغا شكاك (سمكو) في كوردستان ايران وكانت تهدف الى استقلال كوردستان. وفي عام ١٩٠٧ اندلعت حركات تحررية كوردية عديدة في مناطق بتليس وارضروم والموصل. في عام ١٩٠٨ قامت انتفاضة كوردية في بارزان بقيادة الشيخ عبدالسلام البارزاني، وفي ربيع عام ١٩١٤ وبعد ان ازدادت الضرائب المفروضة على الفلاحين سعى الشيخ لإلهاب نار الانتفاضة في سائر انحاء كوردستان.

وكانت فكرة (كوردستان الحرة)[٦١] تتمتع بشعبية واسعة في أوساط عدد كبير من الزعماء للأكراد والطلاب الشباب في العاصمة العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. فقد طرحت اليقظة القومية بالدرجة الاولى شعار تحرير الوطن من الاستبداد العثماني، والسعي الى خلق قاعدة جماهيرية للحركة مما دفع بعضهم الى نشر افكار الوعي القومي في كوردستان وتشكيل الجمعيات والتنظيمات السياسية والثقافية.

وفي آذار ١٩١٤ نشبت حركة تحرير الامارة الكوردية في بدليس، والتي كانت، بحق، حركة الجياع، فحسب اقوال شهود العيان فان المنتفضين كانوا يمثلون[٦٢] «الجماهير الجائعة والحافية، الذين كانوا يتقدمون الى الأمام سائرين عبر الثلوج خلف حامل رايتهم. كان معظمهم حفاة، البعض كان مسلحاً بالخناجر والآخرون بالفؤوس والرماح والسيوف. كانت الفصيلة تضم النساء المسلحات اللواتي كنَّ يجلبن الأكل والذخيرة الحربية وكذلك كن يحاربن الى جانب الرجال. لقد قدم المنتفضون أمثلة رائعة على البسالة والشجاعة، وتحدث الجميع عن ذلك بأعجاب، على أن العمليات الحربية كانت تسير في ظروف سيئة بالنسبة للأكراد اذ توجب عليهم ان يتخندقوا لمدة طويلة في الثلوج».

وشهدت أعوام الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) حركات كوردية عديدة ضد الاتراك وضد المشاركة في الحرب العالمية الاولى.

بعد الحرب نشبت انتفاضات وثورات كوردية واسعة، تحدثنا في الصفحات السابقة عن انتفاضات وثورات الشعب الكوردي في سورية ضد الاستعمار الفرنسي، وانتفاضات وثورات الشيخ محمود الحفيد وبارزان (في الثلاثينات والاربعينات) ثم

ثورة ايلول الوطنية الكوردستانية بقيادة مصطفى البارزاني (١٩٦١–١٩٧٥) والمقاومة مستمرة حتى الآن.

اما في كوردستان ايران فكانت ثورة سمايل آغا شكاك (سمكو) خلال (١٩٢٢–١٩٢٥) حيث بسطت سيطرتها على المنطقة الواقعة الى الغرب من بحيرة اورمية بكاملها واطلق شعار استقلال كوردستان. في ٢١ حزيران ١٩٣٠ استدرجه ممثلو القوات الايرانية في (اشنويه) بكوردستان ايران بحجة التفاوض معه وهناك اقدموا على اغتياله.

واما في كوردستان تركيا، فكانت ثورة الشيخ سعيد پيران عام ١٩٢٥ التي تعتبر من الثورات الهامة في تاريخ الحركة الكوردية، سنتوقف عندها فيما بعد.

ثورة آگري دا غ/جبل آگري، في حزيران –تموز ١٩٣٠ بقيادة احسان نوري پاشا. أحرزت هذه الثورة إنتصارات كبيرة خاصةً في شهر تموز، لكنها فشلت وقمعت بوحشية بسبب تواطؤ الحكومة الايرانية مع الحكومة التركية. كانت الحكومة الايرانية تتظاهر بمساندة الثورة حتى استنفدت اغراضها بالحصول على تنازلات أرضية من تركيا، ثم اتفقتا معاً، فسمحت ايران للقوات التركية بدخول الاراضي الايرانية لضرب قوات الثورة الكوردية من الخلف. (يقال أنه في ٦ آذار ١٩٧٥، لدى اتفاق نظامي بغداد وطهران ضد الحركة الكوردية بموجب اتفاقية الجزائر، كان مقرراً –لو استمرت الحركة الكوردية في الكفاح المسلح– ان تسمح ايران الشاه للقوات العراقية بدخول الاراضي الايرانية وضرب قوات الحركة الكوردية من الخلف، كذلك السماح للقوات التركية بالتدخل ضد الثورة الكوردية).

في عام ١٩٣٧ اندلعت في درسيم في كوردستان تركيا ثورة كوردية بقيادة الشهيد سيد رضا، قمعتها القوات التركية بضراوة، حتى أن السلطات التركية غيرت فيما بعد أسم درسيم الى «تونجلي» كي ينسى الناس اسم الثورة التي سموها بثورة درسيم.

ثورة الشيخ سعيد پيران[٦٣]:

تشغل انتفاضة الشعب الكوردي لعام ١٩٢٥ في كوردستان تركيا مكاناً خاصاً في تاريخ الحركة الوطنية الكوردية. اذ ان نشاطات الجمعيات الكوردية السرية منذ بداية العشرينات اثمرت ولادة جمعية «استقلال كوردستان» في آيار ١٩٢٣. وفي خريف

١٩٢٤ اجتمع القادة الاكراد وتوصلوا الى أن تأمين الحقوق القومية للشعب الكوردي يمكن أن يتحقق فقط عن طريق الانتفاضة المسلحة. وجرى الاتفاق على تفجير الانتفاضة في نوروز (٢١/آذار) ١٩٢٥. لقد اشتعلت الانتفاضة في كوردستان والولايات الشرقية في تركيا. كان قادة الانتفاضة وعلى رأسهم الشيخ سعيد پيران ينوون اعلان الدولة المستقلة بعد تحرير دياربكر، إلّا أن فشل الثوار في السيطرة على دياربكر قد غير مجرى المعارك لصالح السلطات التركية. في ٢٦ آذار شنت القوات التركية هجوماً مكثفاً على دياربكر؛ في نهاية ١٩٢٥ اضطر قادة الانتفاضة الى التراجع باتجاه الشرق. بعد فشل الهجوم على «خنس» ارغم الثوار على الدخول الى ايران واستقبلتهم الحكومة الايرانية بالنار والحديد حيث استشهد العديد من القادة بينهم (عباس) نجل الشيخ سعيد پيران.

ان سبب فشل وتراجع الثوار الكورد في جميع المناطق، يعود بالدرجة الاولى الى التهيئة المكثفة من قبل الحكومة التركية، إدارياً وسياسياً وعسكرياً في قمع الانتفاضة، اضافةً الى غياب العمل المشترك والموحد بين القادة الاكراد والتي يعتبرها (أ.حسرتيان)[٦٤] واحدة من تراجيديا الحركة التحررية الكوردية.

بعد إخماد الانتفاضة خلال عامي ١٩٢٥–١٩٢٦ دمرت مئات القرى وأُحرقت آلاف البيوت وقتل وشرد الآلاف من السكان الآمنين، رغم كل ذلك بقي واقع الشعب الكوردي بمنأى عن أعين وعطف المنظمات العالمية مثل عصبة الأمم. فقد شنت الحكومة التركية حرب إبادة ضد الشعب الكوردي واعدمت خيرة ابنائه. وكان تحدّي قادة الانتفاضة للاعدامات تعبيراً آخر عن إرادة هذا الشعب الصامد رغم المحن، فقد هتف إحسان خيري أمام حبل المشنقة قبيل اعدامه:

«عاش الشعب الكوردي، يا شهداء كوردستان؛ الآن ينضم اليكم احسان خيري». فقد قدم الى المحكمة التركية الجائرة جميع من وقعوا في اسر الاتراك، وحكم بالإعدام (١٢٠) منهم، بينهم قائد الانتفاضة الشيخ سعيد پيران (وكان طاعناً في السن)، الذي قال اثناء اعدامه، وهو رابط الجأش:

«لقد بلغت نهاية الحياة الطبيعية. ولست بنادم على أنني الآن اضحي بحياتي في سبيل وطني ومن آجل شعبي، ويكفينا أن احفادنا سوف لن يخجلوا أمام الاعداء».

وامام حبل المشنقة ايضاً هتف الدكتور فؤاد:

«كنت احلم دائماً بالتضحية بنفسي في سبيل وطني ولايساورني ادنى شك بأن راية الاستقلال سترتفع على هذه الارض حيث نعدم الآن».

ان انتفاضة الشيخ سعيد پيران، واسباب فشلها، أكدت مرة اخرى أهمية وحدة كفاح جميع الاكراد، ففي هذه الفترة بالذات التي نشبت فيها الانتفاضة كانت توجد حركات للشيخ محمود الحفيد في كوردستان العراق، وسمكو في كوردستان ايران، إلاّ ان غياب التنسيق بين هذه الحركات القائمة من آجل هدف قومي واحد كان من اسباب الفشل.

مما يذكر ان الحكومة التركية حاولت تشويه وجه الثورة الكوردية والتشهير بقادتها واتهامهم بحب الذات وما الى ذلك، لكنها لم تستطع مع ذلك ان تنكر حقيقة ان هؤلاء الثوار قد قاموا وضحوا من أجل هدف وطني كبير.

فقد خاطب رئيس المحكمة التركية القادة الاكراد اثناء المحاكمة بهذه العبارات:

«قاد بعضكم حب الذات والطموح السياسي البعض الآخر، ولكنكم متحدون في نقطة واحدة وهي قيام كوردستان مستقلة. ولعملكم في هذا السبيل ستدفعون ثمن جرائمكم على المشنقة».

اما القادة الاكراد، وكما تبين من اقوالهم اثناء الاعدام، فلم يعتبروا ما فعلوه «جرائم»، بل ان سكوتهم على الاستبداد والاضطهاد كان سيكون «جريمة». ان دماءهم الطاهرة اوصلت صوت القضية الكوردية الى كل مكان، فقد ناضلوا حتى وهم في الثانية الاخيرة من حياتهم. فالساحة التي شنقوا فيها في دياربكر ستظل روضة المناضلين الكورد وقبلة مشاعرهم حتى تتحقق أمنيات الشهداء -كما قال د.فؤاد- فترتفع راية الاستقلال فيها.

جمهورية كوردستان الديمقراطية:

ماجرى في كوردستان ايران منذ عام ١٩٤٤-١٩٤٥ حتى أواخر عام ١٩٤٦ كان ثورة شعبية واسعة عبرت عنها نهضة إجتماعية وثقافية أعقبتها محاولة جريئة لإقامة كيان سياسي كوردي في اوائل كانون الثاني ١٩٤٦، فكان ميلاد اول جمهورية

كوردستانية معاصرة، عاصمتها مهاباد، ذات مؤسسات متكاملة وجيش وعلم، التفت حولها الجماهير الكوردية في كل مكان، وصارت املاً قومياً للجميع.

وقد تحدثنا في الصفحات السابقة، عن هذه الجمهورية عدة مرات، وكيف أن علم كوردستان ارتفع في مهاباد وبقية المدن والقصبات الكوردية.

اعطى قيام الجمهورية وسقوطها السريع دروساً غنية للحركة التحررية الكوردية ولازالت تجربتها تدرس كمثال حي ملموس عن تجربة وطنية كوردستانية معاصرة.

فان قيام جمهورية كوردستان الديمقراطية عام ١٩٤٦، يشغل مكاناً خاصاً وعزيزاً في قلوب الكورد، ترأسها الشهيد القاضي محمد.

ولد الشهيد من عائلة دينية معروفة، وكان هو ايضاً عالماً بارزاً في مهاباد. ونظراً لشخصيته الاجتماعية ودوره السياسي ارتؤي ضَمَّه الى صفوف جمعية الانبعاث الكوردي (ژ.ك)، التي كانت حتى ذلك التأريخ أهم تنظيم سياسي في كوردستان ايران، فقررت لجنتها المركزية قبوله في صفوفها وانتخابه رئيساً لها. بعد هذه الخطوة اتسع نشاط الجمعية وتنظيماتها أكثر فأكثر، والتف الناس حول رايتها أكثر من ذي قبل معتبرين اياها طليعتهم الحقيقية. تحولت الجمعية في آب ١٩٤٥ الى حزب سمى بالحزب الديمقراطي الكوردستاني الذي اصدر جريدته المركزية «كوردستان» التي صارت ايضاً لسان حال الجمهورية، وكانت توزع على نطاق واسع في كوردستان ايران وكوردستان العراق.

اعلن الزعيم القاضي محمد في إجتماع واسع عقد في مهاباد في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦ قيام جمهورية كوردستان الديمقراطية، عاصمتها «مهاباد»، والتي بدأت بإقامة مؤسسات الحكم في المناطق المحررة، دامت الجمهورية حتى كانون الاول ١٩٤٦، وكان لمصطفى البارزاني ورفاقه دور بارز في الدفاع عن الجمهورية. وقد تسلم البارزاني علم كوردستان من القاضي محمد قبل إعتقاله وإعدامه.

هذا وبعد سقوطها نتيجة لمساومات وتواطؤ القوى والاوساط الامريكية والسوڤيتية والبريطانية، والرجعية الايرانية، تم اعتقال الزعيم القاضي محمد واعداد كبيرة من قادة وكوادر الجمهورية من قبل قوات النظام الشاهنشاهي.

في ٣١ آذار ١٩٤٧، الساعة الثالثة صباحاً، صعد على المشنقة، في ساحة

(چوارچرا) بمدينة مهاباد، ١٥ مناضلاً كوردياً في مقدمتهم الزعيم القاضي محمد، واعدم عشرات وملاحقة آلاف من المناضلين في المدن والقصبات الكوردية الاخرى، كل في مدينته، لأرهاب الجماهير. وتواصلت عمليات المطاردة والاعتقال والاعدام وقصف القرى والتهجير أشهراً طويلة انتقاماً من الثورة الشعبية الكوردية المغدورة، وانعكس ذلك في الصحف والمجلات العالمية، وعرض «مولوتوف» وزير خارجية الاتحاد السوفيتي آنذاك هذه المسألة على الأمم المتحدة مطالباً بوقف سير المعارك ضد أبناء كوردستان ايران وان تعطي للأكراد حقوقهم المتمثلة في الحكم الذاتي ضمن ايران.

كتبت مجلة (العصر الجديد)[٦٥] طبعة موسكو في عددها -١٥ نيسان ١٩٤٧- ما يلي:«ان جواسيس الاستعمار الانگليزي والأمريكي حاولوا جاهدين جر القاضي محمد الى طرفهم ودفعه الى خيانة الأمة الكوردية. ولكنهم عندما لم يفلحوا في مساعيهم تلك اصدروا قرارهم بإعدامه».

وكذلك كتبت جريدة (ازفستيا)[٦٦] لسان حال الدولة السوفيتية في عددها ٢٠ نيسان ١٩٤٧ قائلةً:«ان اعدام القادة الاجلاء والمتنفذين الكورد (القاضي محمد وصدر القاضي وسيف القاضي) كان بسبب عدم استعدادهم لقبول خطة الاستعمار الامريكي والانگليزي حول كوردستان. ولكي لا تنكشف خطط الامريكان فانهم قد عجلوا بإعدامهم».

الخلاصة: آفاق المستقبل

تلك هي كوردستان،

واولئك هم الكورد،

وتلك هي قضيتهم التحررية، وكفاحهم الشاق في سبيل التحرر والانعتاق مثل سائر أمم الارض.

وتلك هي المأساة ايضاً.. مأساة تقسيم كوردستان، ذلك التقسيم الذي شكل عقبة كأداء امام تطور الشعب الكوردي اقتصادياً، اجتماعياً، سياسياً وثقافياً.

ومن جهة اخرى، فان الحكومات المقتسمة لها رأت من صالحها أن تتعاون فيما بينها ومع الدول الاستعمارية للحفاظ على مصالحها على حساب الكورد.

فقد عقدت، بعد تكوين الدولة العراقية الحديثة (بداية عشرينات القرن العشرين)، معاهدة صداقة بين العراق وتركيا وبريطانيا لمحاربة مساعي الشعب الكوردي في التحرر. وفي تموز ١٩٣٧ تم ابرام معاهدة سعد آباد بين العراق وايران وتركيا وافغانستان وكانت غايتها ضرب كل حركة تحررية كوردية في المهد. وفي عام ١٩٥٥ تم عقد حلف بغداد بين ايران وتركيا والعراق وپاكستان وانگلتره باشراف ومساندة الولايات المتحدة الامريكية ايضاً لخنق الحركة الكوردية. وفي سنة ١٩٦٣ وضع تخطيط عسكري بين العراق ودول السنتو (ايران، تركيا، بريطانيا) لأحتلال كوردستان وإبادة شعبها. وأخيراً فأن إتفاقية الجزائر في ٦ آذار ١٩٧٥ بين العراق وايران وبأمر من أمريكا كانت سبباً رئيسياً في الكارثة الكبرى التي اصابت الشعب الكوردي، والتي مازال يعاني من آثارها، في القضاء على ثورته العادلة؛ أخيراً الاتفاقيات الامنية والسياسية والعسكرية، العلنية والسرية، بين حكومتي بغداد وانقرة لمحاربة الشعب الكوردي في البلدين.

يتضح من هذا كله بأن الاستعمار هو الذي دعم سياسة الاضطهاد والتنكيل بالشعب الكوردي ولايزال مستمراً في حبك المؤامرات وبشتى الاساليب مع الحكومات التي تضطهد الشعب الكوردي، لحرمانه من حقوقه القومية المشروعة، حتى تحافظ القوى الاستعمارية على مصالحها النفطية الضخمة والاستراتيجية الحربية التي تتمتع بها كوردستان. فأحداث هامة تمر في هذه الفترة (أواخر عام ١٩٨٥ حيث حرر هذا البحث)، تشتد الهجمة الامپريالية- الرجعية على شعوب المنطقة شراسة، وتستمر الحرب العراقية-الايرانية التي ستنعكس نتائجها وآثارها على القضية الكوردية مباشرةً، مثلما ان عدم حل هذه القضية كان من الاسباب الكامنة لإندلاع الحرب.

ندخل النصف الثاني من عقد الثمانينات والقضية الكوردية باقية بدون حل، قضية أكثر من (٢٢) مليون نسمة، هذه الأمة التي سيرتفع عددها -حسب علم الاحصاء السكاني- الى حوالي ٤٠-٤٥ مليون نسمة بعد عقد من السنين (أي أواسط التسعينات)، مما يدل على الأهمية التي ستكتسبها القضية الكوردية كلما مرّ الزمن.

على الحركة التحررية الكوردية، وهي تستقبل آفاقاً أوسع، أن تعمق منْ محتواها الاجتماعي، علماً أن طابعها الاساسي كان وسيبقى لفترة أطول طابعاً قومياً، لأن

المهمات الأساسية، القومية والديمقراطية، للأمة الكوردية لازالت تنتظر الحل. على الحركة الكوردية أن تستوعب جيداً دروس الماضي، ان تكون دوماً قريبة من حركة التحرر للشعوب المتجاورة مع الشعب الكوردي وكافة شعوب العالم، وان تعتمد اساساً على الطاقات الخلاقة والامكانات الذاتية العظيمة للجماهير الكادحة الكوردية، وان تدافع من مصالح هذه الجماهير بحيث تصير هي صاحبة الفعل والارادة وتقرير مصيرها، وان تستثير أعمق كوامن النزعة التحررية في الجماهير الكوردية، وأن توحد صفوفها بأشكال ملائمة لظروفها الموضوعية والذاتية، وأن تحذر دوماً من الحكومات الشوفينية التي تضطهد الكورد وتقمع حريات شعوبها هي، واخيراً أن توحد الموقف حول الحد المشترك لعرض القضية الكوردية على الصعيد العالمي، امام الشعوب والهيئات الدولية.

فليس امام الكورد –بعد كل ذلك– خيار آخر سوى الكفاح بأشكال مختلفة، سياسية وغير سياسية، حسب الامكان، ومهما كلف من تضحيات، مع أخذ مصالح حركة التحرر لشعوب المنطقة والعالم بنظر الاعتبار.

الهموم الكوردية متراكمة، مضاعفة، وتزداد تراكماً..

ووضع الشعب الكوردي، أو وضع المنطقة الكوردية، في هذه البلدان هو أسوأ اجتماعياً– اقتصادياً وثقافياً، من وضع بقية الشعوب التي يعيش معها (نقصد الشعوب التي تتحكم بأسمها الحكومات، أو الشعوب السائدة رسمياً، مع ما للجماهير الكادحة في هذه الشعوب، الجماهير العربية والايرانية والتركية، من هموم وحرمانات وعذابات). مثلاً لم يبلغ دخل الفرد في كوردستان ايران عام ١٩٧٥ سوى ١٥٠ دولاراً بينما بلغ ١٣٤٠ دولاراً على العموم في ايران. وأن كوردستان العراق تحصل على اقل من ١٠٪ من الارصدة المخصصة للتنمية في عموم العراق، مع العلم أن نسبة الشعب الكوردي الى مجموع سكان العراق تبلغ أكثر من ٢٨٪، وقد تم تخطيط اقامة ٤ مشاريع صناعية فقط في كوردستان العراق من مجموع ١٥٠ مشروعاً صناعياً في العراق، مع العلم ان الخامات متوفرة في المناطق الكوردية بالذات ناهيك عن النفط. وفي كوردستان تركيا كان هناك عام ١٩٧٠ طبيب واحد لكل (١٠) آلاف من السكان، بينما كان هناك طبيب واحد لكل من ٣ أو ٤ آلاف من سكان تركيا على العموم. وبينما

كانت نسبة الأمية في كوردستان تركيا تزيد عن ٧٠٪ فان نسبتها في عموم تركيا هي ٣٧٪. ونسبة المشاريع الصناعية الكبيرة المقامة في المنطقة الكوردية هي اقل من ١٪ من مجموع هذه المشاريع في عموم تركيا، وفي حقل الخدمات الاجتماعية فان كوردستان تركيا تنال نسبة قليلة جداً بالنسبة الى المناطق الاخرى من تركيا. اما في كوردستان ايران فكانت هناك مناطق بكاملها يبلغ عدد سكانها ما يزيد عن ٢٠ ألف نسمة محرومة حتى من طبيب واحد. وهناك أكثر من ٥٠٪ من كل العوائل في كوردستان ايران تتزاحم في غرفة واحدة، وما ينيف على ٨٠٪ من كل البيوت عبارة عن بيوت من الطين أو مساكن تحت الارض. ثم ان سكان كوردستان ايران وكوردستان العراق، كانت حصتهم أقل بكثير من سكان المناطق الاخرى في ايران والعراق تدفق «دولارات النفط» الى هذين البلدين في السنوات العشر الاخيرة (١٩٧٣–١٩٨٣) نظراً لأرتفاع اسعار النفط عدة مرات. أما الأرقام والنسب العالية و«القياسية» التي «تتميز» بها أجزاء كوردستان.. فان كوردستان تركيا شهدت «أطول» فترات الاحكام العرفية، وسجونها تضم «أكثر» المناضلين، كما أن كوردستان العراق شهدت «أطول» حرب معلنة وغير معلنة ضد الشعب الكوردي في هذا القرن، و«أوسع» عملية تهجير للكورد خلال النصف الاخير من القرن. اما كوردستان ايران فقد ظل ابناؤها «أطول» فترة ممكنة في السجن؛ ففي عهد الشاه كان اثنان من المناضلين الكورد (عزيز اليوسفي) و(غني بلوريان) في مقدمة «أقدم السجناء السياسيين في ايران» لمدة ٢٥–٢٩ عاماً في السجن لأسباب سياسية دفاعاً عن حق شعبهم. مثلاً الشهيد عزيز اليوسفي طال به السجن بحيث تعلم اللغة الانگليزية حتى اتقنها فصار يترجم عيون الادب العالمي الى اللغة الفارسية، فأكمل ترجمة سبعة آثار أدبية وروايات ضخمة، كل ذلك وهو في السجن.

فحيثما كان ارهاب ومعاناة وعذاب، في اي من هذه البلدان، كان للكورد «النصيب الاوفى»، كانوا «أول» من يتجرع الكأس المرة. وأما حيث كانت فرص التطور والنماء والتقدم فقد كان نصيب الكورد «أقل»، وكانوا «آخر» من يتمتع بثمار الكفاح، هذا اذا وجد فرصة لذلك.

الامة الكوردية مغبونة تاريخياً؛ وانها اليوم لتدرك ذلك بوعي، وتتحسسها بعمق، فتبحث عن طريق للخلاص، وستظل تبحث حتى تجده.

إن الحل الثوري أمام الشعب الكوردي، كما قلنا، هي المشاركة الايجابية في حركة جماهير المنطقة، حركة الجماهير العربية، حركة الجماهير الايرانية، حركة الجماهير التركية، في سبيل التحرر والديمقراطية والتقدم الاجتماعي، وان تساند جماهير تلك البلدان حق الشعب الكوردي في تقرير المصير. وبذلك تتقدم العجلة الثورية الى امام حتى تقف أمم وشعوب المنطقة على قدم المساواة بعضها مع البعض الآخر، وهو مايدعو اليه القذافي حين يؤيد حق الكورد في اقامة دولة مستقلة لهم تكون حليفة وشقيقة للدول العربية وايران وتركيا؛ فالقذافي –بمعنى آخر– يؤيد حق الأمة الكوردية في تقرير المصير بما فيه الاستقلال.

ذلك هو صوت العقل والحكمة.

وقد نبه العديد من المطلعين على تاريخ المنطقة والقضية الكوردية الى ضرورة إيجاد حل لهذه القضية:«بما أن مدة طويلة مضت دون ان تحل القضية الكوردية، ولم يوجد لها حل صحيح، فان هذا الوضع ستكون له نتائجه السياسية بالنسبة للسياسة الداخلية لعموم آسيا. ان المشكلة الكوردية واضحة وسليمة، وينبغي أن تحل، وان لاتبقى أكثر مما بقت بدون حل»[٦٧].

اثبتت وقائع التاريخ القريب والبعيد بأن انكار القضية الكوردية وعدم حلها أو حلها بالقوة والبطش، لم ولن يجلب الكوارث والمآسي على الشعب الكوردي وحده بل على الشعوب المتجاورة معه ايضاً.

ان الشعب الكوردي لم ولن يريد سوى الخير والسعادة لبقية الشعوب، مثلما يريد ذلك لنفسه. ولم يطرح يوماً ما من شأنه الحاق الضرر بالمصالح الوطنية والقومية لهذه الشعوب. فهو لم ولن يطمع في أي أرض أو ثروة للشعوب الاخرى. كل ما يريده هو العيش بأمان واطمئنان وحرية في وطنه هو، في كوردستان.

الشعب الكوردي شعب مسالم ووديع، على عكس ما رسمته عنه دعايات اعدائه حتى الآن. ان مستقبل المنطقة مرهون بانتصار مباديء التحرر، انتصار العقل والحكمة، عقل وحكمة الجماهير الشعبية التواقة الى التحرر النهائي من كافة قيود الاستعمار والاضطهاد والعبودية والعسف.

هوامش ومراجع الفصل الاول من القسم الثالث:

نود التذكير بأننا، اضافةً الى ما نشير اليه في الهوامش ادناه، قد استفدنا في كتابة هذا الباب بدرجة اساسية من الكتب والمقالات التالية:

- الدكتور م.لازاريف/ مقال «الاكراد والمسألة الكوردية» المنشور في مجلة (آسيا وافريقيا اليوم) السوفيتية، عدد ١٩٦٣/١٢، مترجم الى العربية. استفدنا من الملخص المنشور في مجلة الثقافة الجديدة.
- د.شاكر خصباك/ الكورد والمسألة الكوردية، بغداد ١٩٥٩.
- د.شاكر خصباك/ العراق الشمالي، دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية، بغداد ١٩٧٣.
- علي عبدالله/تاريخ الحزب الديمقراطي الكوردستاني- العراق، الطبعة العربية، مطبعة خه بات ١٩٨٤.
- ماجد عبدالرضا/القضية الكوردية في العراق، الطبعة الثانية، بغداد ١٩٧٥.
- باڤيل بيفانوڤيتش ديمچنكه/ كوردستان العراق الملتهبة، ترجمة د.جرجيس حسن الى العربية، ١٩٨٤.
- د.عبدالرحمن قاسملو/الجوانب الاقتصادية للمسألة الكوردية، براغ ١٩٦٢.
- عصمت شريف وانلي/العالم العربي وحرب التحرر الوطني في كوردستان العراق، سويسره في ١٩٦٣/١٠/٢٨.
- شاكرو خوديڤينش/مسألة الحكم الذاتي للشعب الكوردي في الجمهورية العراقية ١٩٥٨-١٩٧٠، يريڤان ١٩٧٧. ترجمه الى العربية د.سيامند. استفدنا من المخطوطة العربية قبل الطبع بعد الاطلاع عليها في دمشق.

الهوامش:

(١) اقوال للقذافي منشورة في القسم الاول.

(٢) حول التقويم الكوردي، انظر «التقويم والعيد القومي» في هذا الباب.

(٣) «الاكراد» و«الكورد» مصطلحان يستعملان بنفس المعنى، معنى جمع الكورد. كلمة «الكورد» باللغة الكوردية تستعمل للمفرد والجمع في آن واحد. وأما في اللغة العربية فالمفرد هو «الكوردي»، ويصير الجمع «الاكراد». وقد درج معظم الادباء الكورد مؤخراً على استعمال «الكورد» كصيغة جمع بدلاً من «الاكراد». والامر سيّان حيثما ورد في هذا الكتاب.

(٤) زينفون: هو من تلاميذ سقراط. وقد ألف (اناباسيس) عام ٤٠١ ق.م وهو يقود حملة (العشرة آلاف) الاغريقية اثناء انسحابها من ايران الى اليونان قبل ما يقرب من ٢٤ قرناً. ويصف بالتفصيل الحروب التي خاضها مع الكردوخيين (الاكراد) اثناء الانسحاب.

(٥) و(٦) و(٧) و(٨) ماجد عبدالرضا/ القضية الكوردية في العراق، الطبعة الثانية.

(٩) نقلاً عن دراسة للكاتب الكوردي بهاءالدين نوري (انظر المصدر السابق). وهو من الكتاب الكورد الذين يكتبون بالعربية. له مؤلفات ادبية وسياسية عديدة.

(١٠) عن اللغة والثقافة الكوردية/انظر الباب الثاني من هذا القسم.

(١١) انظر هامش رقم (٩).

(١٢) كلمة «كوردستان» تتكون من مقطعين:«كورد» و«ستان». الاخير يعني «موطن»، فكوردستان تعني: موطن الكورد. مثل «افغانستان» التي تعني: موطن الافغان، و«عربستان» التي تعني: موطن العرب... الخ. وتقع بلاد كوردستان في الاراضي الشاسعة الواقعة في الجنوب الغربي من قارة آسيا. ورد ذكر الكورد وكوردستان في مصادر علمية كثيرة، مثلاً الانسكوبيديا الفرنسية لعام ١٧٥١ تقول:«الاكراد يمتلكون ارضاً مجاورة للاشوريين والخالديين القدماء. انهم شعب غير مستقر وغير خاضع لأية سلطة ويقومون عادةً بتغيير اماكن استقرارهم». ورد ذكر الاكراد وموطنهم كذلك في دائرة المعارف الالمانية الصادرة عام ١٨٣٨. واما العالم والرياضي والجغرافي الألماني كارسين نيبور المتولد عام ١٧٣٣م فقد زار الشرق ومنها كوردستان خلال أعوام (١٧٦١-١٧٦٩) حيث «لاحت له كوردستان كمنطقة تتمتع بخصوصية خاصة... الخ».

(١٣) يتفق معظم العلماء والباحثين على أن المساحة العامة لكوردستان الكبرى تزيد عن (٤٥٠) الف كيلومتر مربع، وبعضهم يذكرها بنحو نصف مليون كيلومتر مربع.

(١٤) كمثال.. مساحة الغابات في كوردستان العراق وحدها كانت تبلغ (١٧,٧٧٦) الف كيلومتر مربع، أي حوالي ٢٣٪ من مساحة كوردستان العراق. وتعتبر ثروة هامة، ولكن مساحات شاسعة منها قد احترقت وتلفت نتيجة الحروب العدوانية المستمرة ضد الشعب الكوردي، اضافةً الى إهمالها وعدم رعايتها..

(١٥) درجة الحرارة في كوردستان تنخفض شتاءً الى ١٥-٢٠ درجة تحت الصفر، وفي بعض الحالات تصل الى ٣٥ درجة تحت الصفر. وسجل حتى ٤٣ درجة تحت الصفر في كوردستان تركيا.

(١٦) يبلغ انتاج نفط كركوك ٦٠٪ من مجموع انتاج النفط في عموم العراق، علماً أن النفط يستخرج في مناطق كوردية اخرى مثل خانقين، فيبلغ مجموع انتاج نفط كوردستان العراق ٧٠٪ من النفط العراقي المستخرج. هذا واستخرج النفط في اول بئر في باباگرگر (منطقة كركوك في كوردستان العراق) سنة ١٩٢٧م والذي لايزال قائماً كرمز.

(١٧) حقول النفط في كوردستان ايران، مثلاً حقول كرماشان (كرمانشاه) وقصر شيرين.

(١٨) ان الدول الصناعية في اوروپا الغربية واليابان تعتمد اساساً في تزويدها بالطاقة من نفط الشرق الاوسط. وصارت امريكا تعتمد بدورها على هذا النفط لسد النقص الحاصل لديها، مثلما تعتمد معظم دول العالم الثالث على نفط الشرق الاوسط بدرجة كبيرة.

وستزداد أهمية المنطقة في السياسة النفطية العالمية كلما كشف الخبراء عن تزايد نسبة احتياطي النفط فيها. اذ بتأريخ ١ ايلول ١٩٨٥ صرح «چارلز مسترز» الجيولوجي الأمريكي المتخصص في التنقيب والكشف عن النفط، قائلاً: ان معظم منابع النفط متوفرة في الشرق الاوسط الذي يمتلك احتياطاً ضخماً. ويخمن بأنه من المحتمل أن تكون كمية النفط غير المكتشفة في الشرق الاوسط تساوي ما اخرجته امريكا الشمالية من نفط حتى الآن.

ويقول: ان احتياطي النفط المسجل في العالم حتى عام ١٩٨٢ يعادل (٦٩٠) مليارد و(٤٢٠) مليون برميل، وارتفع هذا الرقم عام ١٩٨٣ الى (٦٩٣) مليارد و(٢٦٣) مليون برميل.

ثم يضيف الجيولوجي الامريكي قائلاً: ان احتياطي النفط المسجل في الشرق الاوسط عام ١٩٨٢ يعادل (٣٨٧) مليارد و(٥) ملايين برميل، وقد ارتفع هذا المعدل عام ١٩٨٣ الى (٣٩١) مليارد و(٩٨٣) مليون برميل. وهكذا فان احتياطي النفط في الشرق الاوسط عام ١٩٨٢ كان يعادل ٥٣,٤٪ من مجموع احتياطي العالم، بينما ارتفع عام ١٩٨٣ الى ٥٦,٥٪ منه.

(١٩) قال الشاعر الكوردي «شيخ سلام» في الاربعينات:

«ذاك هو النفط الكوردي (او نفط المنبع الكوردي كما يقول نصاً) قد وصل ساحل البحر الابيض (المتوسط)، أما الشعب الكوردي فلازال يشعل فتيل القار (مصباح بالنفط الاسود)...». يشير الشاعر الى انابيب النفط التي بدأت تنقل نفط كركوك الى سواحل البحر الابيض المتوسط، بينما الكورد محرومون منه.

(٢٠) راجع الفصل الثاني حول تقسيم كوردستان بعد الحرب العالمية الاولى.

(٢١) توفي پيره ميرد عام (١٩٥٠).

(٢٢) ورد ذلك في مجموعة نثرية لي بعنوان «الكوردي مدان حتى يثبت براءته!» باللغة العربية، نشرتها جمعية الطلبة الكورد في اوروپا عام ١٩٧٩، كتبتها آنذاك بأسم مستعار (أ.پ).

(٢٣) تتميز معظم طرق ومذاهب التصوف والفرق الباطنية الكوردية بأن لها كتابات واشعاراً باللهجة الكوردية المحلية لمعتنقي هذه المذاهب والطرق. كذلك لليزيدية كتب مذهبية باللغة الكوردية.

(٢٤) يقول مثل كوردي:«لا أحد يقول عن لبنه بأنه لبن حامض».

(٢٥) كفية سوداء، أو كفية ملونة زاهية لاسيما الفتيات، كذلك في الأعراس، وبمناسبة الحديث عن الازياء الشعبية الكوردة نود الإشارة الى تطور الحرف اليدوية وصناعة الحاجات اليومية الضرورية في المجتمع الكوردي منذ أقدم الازمنة. تتحدث الحكايات الكوردية عن بطولة «كاوه» الحداد و«حبيب» النجار، وغيرهم مما يشير الى وجود هذه الحرف في كوردستان قبل الفين - الفين وخمسمئة عام وأكثر. وقد تحدث المؤرخ اليوناني زينفون (٤٠١ ق.م) عن السهام والاسلحة الكوردية التي كانت لاشك من صنع الكورد الذين لهم فنونهم وحتى رسومهم ومهارتهم الخاصة، المتميزة قومياً، في صناعة السجاجيد والافرشة المختلفة، واللباس، واللباد، والحياكة... وحتى المطاحن كانت للكورد فيها طرق مبتكرة، كما تدل مئات الآثار القديمة في وديان كوردستان عن

استخدام الكورد للطاحونة المائية منذ زمن بعيد، كذلك المجرشة، وادوات الزراعة المختلفة، للحرث والحصاد والبيدر.. الخ، كما أن لكل من هذه المواسم الزراعية أغان وملاحم ورقصات وحتى احتفالات احياناً. وتشير الكتب المذهبية للمعتقدات القديمة الى وجود طقوس مذهبية في هذه المواسم، كذلك في حالات الولادة والزواج والموت، وفي الحرب والانتصار.. الخ، كذلك للكورد طرق خاصة للبناء، ونمط للزخرفة من الطين والفخار، وحتى عهد قريب كانت ترتفع في القرى الكوردية اعمدة الدخان من محارق صنع الفخار من صنع النساء، اضافةً الى صنعهن لمختلف الحاجيات المنزلية..

ولهن طريقة صنع انواع من الجبن، والاستفادة من منتجات الالبان بعدة أساليب، وتخفيف بعضها للشتاء وتجفيف بعض الثمار وحفظها للشتاء، وصنع مأكولات شعبية من اللبن المجفف والبرغل وغيره، مما اسميه «بالمعلبات الكوردية».. وللكورد صناعتهم اليدوية لصنع اي من حاجاتهم: مشط، ملاعق، ادوات منزلية، سكاكين، ادوات زراعية يدوية، اواني خشبية وفخارية، حتى الأكياس ومخازن حفظ الحبوب تحت الارض الى عهد قريب... الخ.

اما الملابس والازياء الشعبية فهناك -لو دققنا جيداً- حوالي ١٠-١٥ نمطاً للزي الشعبي للنساء، وحوالي (١٠) انماط للرجال، وتختصر هذه الانماط في ٣-٤ ازياء اساسية؛ كذلك للكورد صناعتهم اليدوية لصنع الطاقيات، والجوارب، والاحزمة، وطرق لف الرأس، والاحذية... الخ، حتى القداحات الصوانية.

وقد تحدث السائح التركي (أولياء چلبي) في القرن السادس عشر عن ازدهار الحرف والصناعات اليدوية الكوردية (ترجم الكاتب الكوردي سعيد ناكام كتابه الى اللغة الكوردية) فوصفها بدقة معترفاً بمهارة الحرفيين الاكراد في كافة الحقول حتى في صنع الحمام وطريقة تسخينه، وبناء المدارس والمساجد، وصالونات الضيوف او الدواوين الشعبية.

ان قصدنا من هذه الاطالة هو تبيان الخصائص القومية الذاتية للامة الكوردية حتى في ادق امور الحياة العامة واليومية، مما يدل على اصالة هوية هذه الامة، ومدى حرمانها من مقومات تطورها حالياً.

(٢٦) يقصد الكاتب خاجادور أبو ڤيان صاحب أول دراسة انتوغرافية عن الكورد اصدرها في عام ١٨٤٨.

(٢٧) لايزال بعض الاكراد يعتقدون ان سبب كراهية الحكومات البريطانية للشعب الكوردي ربما يعود الى انتصارات القائد الكوردي صلاح الدين الايوبي على الصليبيين لاسيما على الملك الانكليزي المعروف بـ(قلب الاسد) وأسره ودحره مرتين في فلسطين في القرن الثاني عشر الميلادي. وبالطبع لانملك أي دليل تأريخي على صحة هذا الاعتقاد، ومن الصعب ان يقبل به العقل والمنطق. هل الاحقاد القومية قادرة على البقاء كل هذه المدة؟!

اما اذا افترضنا وجود جذور لمثل هذا التفكير فربما يكون أصح، كما يزعم البعض، لو فسرنا

الأمر بأن الأنگليز- ولمعرفتهم ببسالة وشجاعة الاكراد، متجسدة في صلاح الدين -قد خشوا ان تقوم دولة كوردية مستقلة بعد الحرب العالمية الاولى خوفاً من ان تحول هذه الدولة دون وصول الانگليز الى منابع النفط الاساسية في كوردستان، وخاصةً في حقول كركوك، هذا الزعم ايضاً لايستند الى دليل ملموس، لأن الكورد لم يشكلوا دولتهم المستقلة حتى نحكم بصحة او بطلان هذا الزعم.

عموماً اثبتت أحداث التأريخ لاسيما منذ الحرب الاولى بأن الاستعمار (وفي المقدمة الاستعمار البريطاني) هو الذي يقف وراء تقسيم كوردستان والمأساة الكوردية ومآسي كافة شعوب المنطقة. واما الهدف المباشر للأستعمار، وراء تقسيمه لكوردستان فهو الاستيلاء على منابع النفط في كوردستان العراق والموصل وعموم العراق. بتعبير آخر فان شعوب المنطقة، لاسيما الشعب الكوردي، ضحية المطامع الاستعمارية وجميع الحروب المحلية، سواء دخل هذه البلدان او بينها، والتي وقعت منذ التقسيم، انما يتحمل الاستعمار مسؤوليتها المباشرة وغير المباشرة (دون ان يعفي ذلك انظمة المنطقة عن سياساتها الخاطئة والشوفينية).

(٢٨) هذه العبارة رددها صدام حسين في الثمانينات:«كوردي وبندقية وكيس تبغ ... جالساً وراء صخرة»، هكذا وصف سايكولوجية الكورد، وكان في معرض تعرضه بالحركة الكوردية.

(٢٩) جليلي جليل/ كتاب «نهضة الاكراد الثقافية والقومية»/ ترجمتها الى العربية باڤي نازي ود.ولاتو/١٩٨٤.

(٣٠) مدينة (خوي) تقع حالياً في ايران.

(٣١) انظر «أحمدي خاني» في الباب الثاني من هذا القسم.

(٣٢) نوري شاوه يس/ من مذكراتي/ من منشورات حزب الشعب الديمقراطي الكوردستاني - ١٩٨٥.

(٣٣) «مامه ياره» بطل قومي كوردي اشتهر بالفروسية وتقاليدها وبالشجاعة والدفاع عن شعبه. نظم الشاعر (پيره ميرد) فيه ملحمة.

(٣٤) جمعية المعرفة، أسسها الشاعر (پيره ميرد) في مدينة السليمانية منذ العشرينات، كانت بمثابة مدرسة تعلم فيها اللغة الكوردية. استمرت حتى عام ١٩٣٧.

اما «ملحمة كاوه الحداد» فتتحدث الاسطورة عن تمرد «كاوه» ابن الحداد الكوردي، حيث اجتمع حوله في الجبال الشباب فنظم جيشاً هاجم به قبر الطاغية الضحاك وقتله، فأعلن الانتصار بإضرام المشعل في الاعالي والمرتفعات. يحتفظ الاكراد بهذه التقاليد باحيائها في نوروز كل عام، وقد اسيء فهم هذا التقليد من قبل خصوم الكورد. فزعموا ان الكورد «يعبدون النار». وبذلك كانوا يحاولون انكار الحق الكوردي بحجة دينية!! وكثيراً ما استخدموا الدين الاسلامي ستاراً لمحاربة الكورد المعروفين بأنهم من المتمسكين جداً بالدين وشعائره. اما الواقع فالنار محترمة لدى البشرية منذ اكتشافها، وهي ذات موقع خاص لدى اناس يقطنون مناطق باردة مثل

كوردستان. فاضرام المشاعل مساء نوروز (٢١ آذار) هو اعلان عن رحيل الشتاء. ويبدو ايضاً ان الكورد استخدموا المشاعل واضرامها في الاعالي والقمم كوسيلة اتصال (اشارات ضوئية)، مثل بقية الشعوب، لإيصال الانباء، وحتى اليوم يستخدم الناس إشارات ضوئية للإتصال في شتى انحاء العالم: مصابيح السيارات، منارات المرافيء، اضواء المطارات والطيارات، اشارات مرور السيارات والقطاعات.. الخ. تحجج الشوفينيون، لفترة ما، بعض بلدان المنطقة بهذا الزعم (كون الكورد «عبدة نار») للأساءة الى الشخصية القومية الكوردية وانكار حقها في التحرر والتطور. ان الشمس الذهبية التي تتوسط العلم الكوردي ترمز الى النور والضياء. وليس هناك ابداً ما يُعير أن يتخذ شعب النار رمزاً وشعاراً، فهناك من الشعوب على الارض (ورموزها جميعاً محترمة طالما انها اختارتها تعبيراً عن ثقافتها وحضارتها) من يتخذ شتى مكونات الحياة والارض شعارات ورموزاً: غصن شجرة، شجرة ارز، بوم، حصان، سيف، نجمة، هلال، اسد، دب... الخ. فلما اتخاذ الشمس او النسر شعاراً يعتبر عيباً او نقصاً؟!!

(٣٥) يقول المؤرخون ان المدينة الكوردية (اربيل) الموجودة حالياً في كوردستان العراق، تعتبر احدى أقدم مدينة في العالم مأهولة بالسكان منذ تأسيسها حتى الآن، لاسيما قسم القلعة القديمة فيها. كانت تسمى قديماً (اربيللا)، (اردبيللا)، (اردبيل). يسميها الاكراد اليوم بأسم (هولير) بفتح الهاء. اسمها الاداري بالعربية (اربيل). وبذلك فان مدينتين تأريخيتين في العالم، اربيل وهمدان، ترتبطان بتاريخ الأمة الكوردية، مما يدل على عراقة حضارة هذه الامة. يضاف الى المدن الكوردية التاريخية المعروفة اسم كركوك وآمد (دياربكر) وغيرهما ايضاً.

(٣٦) و(٣٧) انظر هامش (٢٩)/ص٩٣.

(٣٨) في المحادثات بين الحكومة العراقية وقيادة الحركة الكوردية حول صيغة الحكم الذاتي لكوردستان العراق في عام ١٩٧٣، جاء في مشروع الحركة الكوردية بأن العلم رمز الدولة، ويجب ان ينطوي على ما يشير الى تآخي قومياتها، كما ان لكل دولة شعارها الخاص ويجب ان يستنبط هذا الشعار من تاريخ الدولة وكفاح شعوبها. لذا اقترح المشروع الكوردي ان يجري تعديل قانون العلم العراقي وقانون الشعار العراقي بحيث يتضمن التأكيد على وجود قوميتين رئيسيتين في العراق هما القومية العربية والقومية الكوردية واقليات قومية متآخية. (انظر الفقرة ١-١، وللفقرة الثالثة من المادة الاولى من مشروع ح.د.ك/العراق المقدم الى الحكومة العراقية عام ١٩٧٣)، ولكن الحكومة لم تأخذ بذلك حتى الآن.

(٣٩) الترجمة من قبل المؤلف.

(٤٠) سبق الحديث عن المؤرخ اليوناني «زينفون». وأما «أنابازيس» فهي عبارة يونانية قديمة تعني (رسالة رحلة الحرب). كتب زينفون هذا الكتاب في سنوات (٣٩٠-٣٨٠ ق.م) باللغة اليونانية القديمة. يبلغ عدد صفحاتها ٣٨٠ صفحة. يعتبر الكتاب دليلاً تأريخياً قديماً جداً يتحدث عن الشعب الكوردي واصالته وبسالته في الدفاع عن وطنه كوردستان. وهو يسمى الاكراد

بالكاردوخيين. هذا وقد ترجمت اجزاء من الكتاب في السبعينات من قبل صلاح سعدالله، بعنوان «مسيرة العشرة آلاف» التي تشير الى المسلحين اليونانيين الـ(١٠) الآف الذين عانوا من مقاومة الكاردوخيين (الاكراد) لهم ما لم يكابدوه في كل معاركهم خلال عودتهم الى اليونان، مروراً بمنطقة زاخو في كوردستان العراق حالياً، عبر كوردستان الشمالية في تركيا حالياً.

(٤١) الاسم الاصلي هو (شاره زور) وليس (شهرزور). الكلمة من مقطعين: (شار) و(زور). شار في الكوردية تعني المدينة. أما (زور) فيقال أنه اسم للشخص الذي بنى المدينة، ويقال أنه نجل أحد ملوك «ميديا». كانت المدينة عامرة وذات مركز هام وقد اندثرت في مرحلتين: الاولى نتيجة الحروب والغزوات، والثانية نتيجة زلزال مدمر. وقد تحدث المؤرخون عن الرخاء الشامل للسكان الذين كانوا يعيشون في سهل شاره زور، الذي يعتبر ثاني اخصب سهل في العالم. لكن سياسة الاضطهاد القومي قد اهملته. اما لفظة (شهرزور) فهي فارسية (وهكذا ايضاً تستعمل في الجغرافيا العربية). كلمة (شهر) في اللغة الفارسية تعني (المدينة). و(زور) كما قلنا، اسم شخص، أي: مدينة زور. كما ان الشراب الذي كان الزردشتيون يستخرجونه من نبات جبلي معين لتقديمه، في ايام الطقوس الدينية، الى معابدهم، كان يسمى (زور). فهل هذا هو مصدر الكلمة؟!

(٤٢) انظر الفصل الثاني- نبذة تأريخية.

(٤٣) ماجد عبدالرضا/ القضية الكوردية في العراق.

(٤٤) الشاعر الكوردي احمد خاني دعا الى اتحاد الكورد وايقاظ وعيهم القومي وإلهاب كفاحهم، في القرن السابع عشر.

(٤٥) انظر القسم الثاني، حول تقسيم كوردستان بعد الحرب العالمية الثانية.

(٤٦) الحديث للمستشرق السوفيتي م.لازاريف (انظر بداية المراجع في هذا الباب).

(٤٧) البروفيسور اليوغسلافي في كتابه «كوردستان والمسألة الكوردية» المترجَم الى العربية من قبل «برو» عام ١٩٨٠، يقول:«ان فشل الانتفاضات الكوردية يقودنا الى استنتاج ان على الاكراد ان يستغلوا، الى جانب كفاحهم المسلح، الامكانات الدبلوماسية والسياسية الاخرى.. حيث انهم لم ينهجوا هذا السبيل لمدة طويلة منذ بداية الحرب العالمية الاولى حتى نهايتها..».

(٤٨) م.لازاريف/ انظر هامش رقم (٤٦).

(٤٩) اصدرت الحكومة العراقية قانون الحكم الذاتي لمنطقة كوردستان بتأريخ ١١ آذار ١٩٧٤. ولكن بموجب هذا القانون دخلت فقط حوالي ٥١٪ من مساحة كوردستان العراق ضمن حدود «منطقة الحكم الذاتي». اما بقية المناطق الكوردية (حوالي ٤٩٪) فقد انكرت الحكومة طابعها القومي الكوردي، اضافةً الى الصلاحيات المحدودة جداً الممنوحة -بموجب ذلك القانون- لهيئات الحكم الذاتي، وغيرها من النواقص البارزة، مما كان مثار خلاف شديد بين الحكومة والحركة الكوردية، والتي رأت ان القانون الحكومي يفرض «حكماً ذاتياً ناقصاً ومبتوراً».

(٥٠) المؤرخ والفولكلور الكوردي جليلي جليل قد تحدث عن الحقوق التي حصل عليها الأكراد في الاتحاد السوفياتي، ويمكن تلخيص حديثه بما يلي:

لدى الاكراد هناك جريدة كوردية، «ريا تازه/الطريق الجديد»، تصدر منذ عام ١٩٣٠م، توجد في يريڤان اذاعة كوردية تبث برامجها يومياً، وقسم كوردي في معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوڤيتية في جمهورية ارمينيا، وتنشر في الاتحاد السوڤيتي نتاجات الشعراء والادباء، بانتظام، كما توجد في القرى الكوردية مدارس تعلم باللغة الكوردية، يحتفل الاكراد بعيد نوروز، العيد القومي للكورد، كل عام. وفي جورجيا اذاعة كوردية اخرى، ويوجد قسم كوردي في كل من معهدي موسكو ولينينغراد، وقسم للدراسات الكوردية في موسكو يعمل فيه عدة باحثين متخصصين في دراسة التأريخ الكوردي.. الخ. (انظر جريده گه ل/الشعب- اوائل ايلول ١٩٨٥).

(٥١) د.كمال مظهر/كتاب «كوردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى»/الطبعة الكوردية.

(٥٢) مجلة «الفصول الاربعة»، طرابلس -الجماهيرية العربية الليبية، السنة السابعة العدد ٢٧/ديسمبر ١٩٨٤.

(٥٣) نفس المصدر السابق.

(٥٤) د.كمال مظهر/ «كوردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى»/الطبعة العربية، بغداد ١٩٨٤.

(٥٥) اسماعيل بيشيكچي- عالم اجتماعي تركي/ رسالة معنونة الى منظمة اليونسكو كتبها عام ١٩٨١، الترجمة العربية، انظر جريدة گه ل/الشعب، آيار-حزيران ١٩٨٥.

(٥٦) نفس المصدر السابق.

(٥٧) خلال عام ١٩٦١-١٩٦٣، في عهد عبدالكريم قاسم، تحولت حوالي (١٥٠) قرية كوردية الى خرائب وانقاض، وفقد المأوى ومورد الرزق أكثر من (١٠٠) مائة ألف من السكان الاكراد المسالمين.

(انظر كتاب «تأريخ الاقطار العربية المعاصر»- موسكو ١٩٧٥، اصدار اكاديمية العلوم في الاتحاد السوڤيتي، معهد الاستشراق).

(٥٨) كتاب: حول انتهاكات النظام لحقوق الانسان في العراق- دراسة قانونية موثقة-، اصدار: المنظمات الشعبية العراقية، المكتب المركزي، لجنة الثقافة والاعلام المركزي، عام ١٩٨٤.

(٥٩) استفدنا من المعلومات الواردة في تقرير (مع الوثائق) قدمته قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني-العراق عام ١٩٨٣ الى هيئة الأمم المتحدة والمنظمات والهيئات الديمقراطية والانسانية الدولية، والى الاحزاب والقوى والدول التحررية في المنطقة والعالم. للمزيد من الاطلاع يمكن للقاريء العربي ان يراجع ايضاً ادبيات واصدارات بقية الاحزاب والمنظمات الكوردية في العراق وسورية ولبنان.

(٦٠) كراس/خندق واحد أم خندقان/ من منشورات دار الثورة، بغداد ١٩٧٧/ ص٣٤ -٣٥.

(٦١) جليلي جليل/ راجع هامش رقم (٢٩).

(٦٢) نفس المصدر السابق.

(٦٣) ملخصة عن كتاب (انتفاضة الاكراد لعام ١٩٢٥) لمؤلفه أ.حسرتيان، ترجمه الى العربية الكاتب الكوردي باقي نازي ود.ولاتو، ١٩٨٤.

(٦٤) نفس المصدر السابق.

(٦٥) و(٦٦) نوري شاوه يس/ من مذكراتي، هوامش ص٤٩.

(٦٧) باسيلي نيكيتين، ١٩٥٩/ انظر «تأريخ الحزب الديمقراطي الكوردستاني-العراق» تأليف علي عبدالله، ١٩٦٨ باللغة الكوردية، المترجم الى العربية، الطبعة الجديدة، ١٩٨٤.

يقول (باسيلي نيكيتين)، في الصفحات ١٢٠١-١٢٠٤ من المجلد الأول من قاموسه السياسي:«ينبغي ان لانشك في أن هناك مشكلة تدعى المشكلة الكوردية وان لهذه المشكلة أهمية تامة في حياة العالم السياسية، لأنها من المشاكل الهامة المعقدة في الشرقين الادنى والاوسط، ولها أهمية فائقة. بعد ان ظهرت في صفوف الشعب الكوردي فئة مثقفة ذكية واعية مشبعة بأفكار الديمقراطية. ولهذه الفئة دور هام في التخطيط للخط الصحيح للحركة التحررية الكوردية».

الفصل الثاني

نظرة على الثقافة الكوردية

«الأكراد ينبغي ان يعودوا كلهم الى أرض كوردستان».

«هناك أمة كوردستانية، موزعة الآن بين أمم مختلفة، مغلوبة على أمرها..».

(القذافي/في مداخلة في ندوة جامعة مدريد المستقلة في ١-٤ ديسمبر عام ١٩٨٠)

«ان موقفي الشخصي الى جانب الأمة الكوردية ليس لأسباب جغرافية أو سياسية أو تاريخية، يعني من الممكن أن باعثنا الاصلي ان الآلام التي جَسَّدها تاريخ الأمة العربية الذي درسته، والمعاناة المرة التي نعيشها الآن جعلتني اتعاطف تلقائياً مع أمة مثلنا ممزقة مستعمرة مهانة مضطهدة، والا أخون نفسي وأخون كل القيم الخالدة التي أؤمن بها..».

(القذافي/في الكلمة الختامية لإعلان القيادة القومية للقوات الثورية في الوطن العربي- اواخر آذار ١٩٨٥)

«الشعوب لاتنسجم إلاّ مع فنونها وتراثها».

(الكتاب الأخضر)

نظرة على الثقافة الكوردية:

تأييد القذافي للقضية الكوردية، انطلاقاً من موقف ايديولوجي ازاء الأمة والأقلية، ينسجم مع الحقيقة الموضوعية للأمة الكوردية، فهي أمة تاريخاً وأرضاً وثقافةً وشعوراً قومياً مشتركاً بين ابنائها. «الأمة.. تعيش على رقعة واحدة من الارض.. وتصنع تاريخاً واحداً.. ويتكون لها تراث واحد.. وتصبح تواجه مصيراً واحداً.. فالأمة بغض النظر عن وحدة الدم هي في النهاية إنتماء ومصير...»[١].

وتأكيداً على صحة تعبير الأخ معمر القذافي عن اعتبار الاكراد «أمة» متميزة، نتناول في هذا المقال جانباً آخر من المقومات القومية للأمة الكوردية، وهو «التراث»، الثقافة واللغة. آملين أن يفيد ذلك في الاطلاع على بعض شؤون الأمة الكوردية الشقيقة للأمة العربية، في الشرق الاوسط.

الاكراد يُكَونون وحدة عرقية من الناحيتين اللغوية والجغرافية. فلديهم لغتهم الخاصة بهم، وهي اللغة الكوردية. يقول الباحث الكوردي عصمت شريف وانلي[٢]:

«يشكل الشعب الكوردي امة تتميز بكافة المقومات العلمية لهذا التعبير، بإعتبارها مجموعة بشرية ثابتة لها خصائصها، من لغة واحدة (هندية-اوربية من الفصيلة الآرية او الايرانية، مستقلة عن الفارسية، استقلال الفرنسية من الايطالية مثلاً في فصيلة اللغات اللاتينية) وأرض واحدة (كوردستان) وتكوين تاريخي مشترك، وعلاقات اقتصادية داخلية متشابكة وثقافية وطنية تعبر عن نفسية هذا الشعب ووحدة شعوره الوطني الكوردي».

وعن اللغة الكوردية ايضاً يكتب أحد المستشرقين السوفيت:

«ان اللغة الكوردية لغة متطورة ولها تأريخها القديم، وبها نما وتطور أدب من أغنى الآداب، ومن خواصها تعدد اللهجات التي يتكلم بها الأكراد، وهي تنحصر في مجموعتين اساسيتين: المجموعة الاولى في الشمال الغربي (أو الشمال) والمجموعة الثانية في الجنوب الشرقي (أو الجنوب او الوسط) من كوردستان. الاولى تسمى: كورمانجية، والثانية تسمى: سورانية[٣]. وبهاتين المجموعتين بالذات تتطور اللغة الكوردية الأدبية الحديثة.

وتستعمل الكورمانجية الحروف الابجدية اللاتينية التي كيفتها لنفسها على نحو

خاص، وتستعمل السورانية الحروف الابجدية العربية، ويستعمل الاكراد القاطنون في الاتحاد السوفياتي الحروف الابجدية الروسية (كيريلية)».

ويضيف المستشرق قائلاً:

«على الرغم من وجود اشكال ادبية ولهجات واحرف ابجدية متباينة فان اللغة الكوردية اصبحت، لمئات عديدة من السنين، الاساس المادي لتطور الحياة والثقافة القومية الكوردية الموحدة التي اعطت نماذج رائعة وابداعات شعبية وفنية، وقدمت هذه الثقافة مساهمة مهمة في حضارة الشعوب القاطنة في جنوب غربي آسيا».

اللغة المقاومة:

قد يصح هذا التعبير تماماً بالنسبة للغة الكوردية التي قاومت طويلاً الانصهار او النسيان، فرغم الحرمان الطويل للأمة الكوردية من حقوقها وكيانها فان لغتها القومية حافظت على نقائها واصالتها، او الاصح أن ابناءها حافظوا على لغتهم رغم انه لم يتيسر لهم سوى لفترات قليلة أن يكتبوا ويتعلموا بها. لذا فهي لغة –مقاومة، ولغة مقاومة ايضاً، بمعنى أنها كانت بحد ذاتها تعبيراً عن احتفاظ الامة الكوردية بهويتها من جهة، كما كانت سلاحاً لأيقاظ الوعي القومي حيثما نضجت الظروف من جهة اخرى. قليلة هي لغات العالم التي استطاعت الصمود والبقاء قروناً طويلة رغم عدم استعمالها «الرسمي» في الحياة الاجتماعية والتعليمية والادارية..، ورغم القهر ومنعها من التداول ومنع تداول النصوص الادبية الكوردية، اضافةً الى أن الحرمان القومي جردها من امتلاك الطبع والنشر والتوزيع. فيجمع الباحثون على أن اللغة الكوردية كانت واحدة من أهم المقومات القومية التي جعلت الامة الكوردية متماسكة وجدانياً وقومياً، وباقية على مر الزمن، رغم الغزوات وحملات الابادة والتهجير مما يصدق عليها تماماً تعبير القذافي اذ يقول بأنَّها «أمة ممزقة مستعمرة مهانة مضطهدة» تعاني «نفس المعاناة المريرة التي عانتها الأمة العربية ولازالت تعاني منها»[٤].

ورغم ذلك... تراث غني:

رغم كل ذلك القهر فان هذه الامة «الممزقة المعذبة»[٥] اعطت ابداعات شعبية وفنية رائعة، وتمتلك تراثاً فولكلورياً غنياً. يقول احد الباحثين العراقيين:

«يتفق جميع الباحثين في القضية الكوردية على ان الفولكلور الكوردي من

الفولكلورات الغنية. فالأمية السائدة بين الشعب الكوردي ادت به الى الاحتفاظ بالقصائد والاغاني التي غالباً ما تروي تأريخ المعارك المجيدة أو القصص الغرامية شفوياً متنقلة بهذا الشكل من جيل الى جيل، فحتى اليوم مثلاً يمكن سماع الاغاني[٧] التي تستمر بعض الاحيان أكثر من ساعة تروي الاعمال البطولية للشعب الكوردي ضد المحتلين الاجانب، فالأغنية المعروفة عن النضال الذي خاضه الاكراد في القلعة التأريخية[٨] (دم دم) ضد قوات الشاه عباس في مطلع القرن السابع عشر تغنى في كل اجزاء كوردستان».

«والأدب الكوردي مليء بالملاحم ومازالت توجد من القرن السابع الميلادي القصائد التي تروي المقاومة التي ابداها الاكراد ضد المحتلين. ومن الطريف ان هذه القصائد المكتوبة بالكوردية آنذاك سهلة الفهم الآن ايضاً. ولقد ظهر الكثير من الشعراء والادباء الاكراد في العصور المختلفة».

الفولكلور الكوردي غني بأشكاله التعبيرية الشعبية؛ فالرقص والغناء الكوردي متطور غني الألوان والاشكال، اخذت منها القوميات المجاورة ونسبت بعضها لنفسها. ويزخر الفولكلور الكوردي ايضاً بالحكايات والقصص والاساطير والملاحم والامثال والحكم الشعبية، والعاب الكبار والصغار وغيرها. جمع بعضها من قبل الباحثين الاكراد والمستشرقين، إلاّ أن ماجمع هو جزء يسير جداً من الثروة الفولكلورية الهائلة لاسيما بعدة لهجات ومتنوعة للغاية، مما يضع على عاتق المثقفين الكورد الاهتمام بها وانقاذها من النسيان قبل فوات الاوان. من الكتاب الكورد الذين اهتموا بجمع قسم منها: اسماعيل حقي شاوه يس عام ١٩٣٣، معروف جياووك عام ١٩٣٨، الشيخ محمد الخال ١٩٥٧ (هؤلاء من كوردستان العراق)، وجگر خوين ١٩٥٧، وجميل كنه ١٩٥٧ (من سورية)، علماً ان التواريخ المذكورة تشير الى عام اصدار الكتب المعنية بالموضوع، كذلك جمعها او بحث فيها د.عزالدين مصطفى رسول وغيره (العراق)، د.حاجي جندي، عرب شمو، قناتي كوردو، والفولكلور الكوردي المعروف جليلي جليل (من اكراد الاتحاد السوڤيتي)، وكان الشاعر پيره ميرد قد جمع بعض الامثال الشعبية ونظمها شعراً واصدرها في ديوان، كما نشط عدد آخر من الكتاب في كوردستان ايران والعراق يواصلون نفس العمل حالياً.

كتعريف لبعض الأوجه الثقافة الكوردية، ندرج ادناه معلومات عامة في حقول التاريخ، الشعر، البحث الادبي، القصة، الرواية، والصحافة. علماً أن الكتاب والشعراء الذين يرد ذكرهم ينتمون الى مختلف اجزاء كوردستان، وليست هذه الاسماء القائمة الكاملة لكافة المبدعين الاكراد، بل هناك آخرون، فاكتفينا بالأسماء، اللامعة منها خاصةً، على سبيل المثال لا الحصر. ان ذكر او عموم ذكر اسم أي كاتب لايعني موقفاً سياسياً، ان كان لبعضهم انتماء ايديولوجي او حزبي. فقد اعتمدنا على الجانب الابداعي في نشاطهم.

في التاريخ الكوردي: كتب المستشرقون كثيراً عن الشعب الكوردي، تاريخه وثقافته وعاداته وحضارته، بلغات روسية، انگليزية، المانية، فرنسية وغيرها. كما كتب الكثير باللغة العربية او ترجم اليها من الكوردية او اللغات الاجنبية.

ليس جميع ماكتب قد انصف الامة الكوردية. كتب البعض لدوافع سياسية، وتنكر البعض لوجود الكورد اصلاً. الا ان جميع ما كتب بحد ذاته دليل على وجود هذه الامة. ويوجد بين المستشرقين والكتاب العرب والترك وغيرهم من انصفوها بعدالة ونظروا اليها بعين العلم والحقيقة. كتابات د.شاكر خصباك في العراق منذ عام ١٩٥٩ وعزيز شريف ١٩٥٢، نموذج لهذا الانصاف، كذلك موقف العالم الاجتماعي التركي اسماعيل بيشكچي.

موضوع بحثنا هو نشاط الكتاب الكورد انفسهم في حقل تاريخ شعبهم، فقد اهتموا هم ايضاً بذلك، ومنذ قرون، وأهم المؤرخين الكورد:

– شرف خان البدليسي حاكم امارة بدليس الكوردي، الف عام ١٥٩٦ كتابه المعروف (الشرفنامه) باللغة الفارسية، ترجم الى العربية من قبل محمد علي عوني وطبع في القاهرة. آخر طبعة له صدرت عام ١٩٦٢ في القاهرة ايضاً بتقديم ومراجعة يحيى الخشاب. يعتبر الكتاب، وهو في جزءين، من أهم المصادر التأريخية عن الكورد في كافة جامعات العالم المهتمة بالشؤون الكوردية. مترجم الى لغات اجنبية عديدة. اعاد الشاعر الكوردي هژار موكرياني عام ١٩٧١ ترجمته، لأول مرة، الى اللغة الكوردية (اللهجة الكرمانجية الجنوبية).

– محمد أمين زكي (١٨٨٠–١٩٤٨) اصدر أكثر من ٢٥ كتاباً وأثراً تاريخياً وادبياً

باللغتين العربية والكوردية، أهمها: كتاب (خلاصة تأريخ الكورد وكوردستان) ألفه بالكوردية عام ١٩٣١، ترجمه الى العربية محمد علي عوني. طبع في القاهرة عام ١٩٣٦.

وكتاب (تأريخ الدول والامارات الكوردية) ألفه بالكوردية عام ١٩٣٧ ترجمه الى العربية ايضاً محمد علي عوني، طبع في القاهرة عام ١٩٤٥. عموماً تعتبر آثار المؤرخ الكبير محمد أمين زكي، ايضاً، مصدراً هاماً للباحثين في التاريخ الكوردي.

– حسين حزني موكرياني الذي اصدر بحوثاً كثيرة عن التاريخ الكوردي، وهو ايضاً مؤسس اول مطبعة كوردية في حلب عام ١٩١٥ وواضع الابجدية الكوردية بالحروف العربية.

– د.كمال مظهر، مؤرخ معاصر، يمتاز بمكانة علمية بارزة لدى المطلعين على التأريخ الكوردي في مختلف جامعات العالم. من أهم كتبه الاخيرة: كوردستان خلال سنوات الحرب العالمية الاولى، الطبعة الكوردية بغداد عام ١٩٧٥، ثم الطبعة العربية بغداد عام ١٩٨٤. وفي اوائل الثمانينات اصدر كتاباً قيماً بالكوردية بعنوان (ميژوو) أي: التأريخ، وتأريخ الكورد. الميزة الاساسية في الكتاب، اضافةً الى النهج العلمي للتأريخ، هي القائمة الكاملة بكافة الكتب والبحوث والمقالات الصادرة عن تأريخ الكورد بمختلف لغات العالم حتى تأريخ صدور الكتاب.

هناك باحثون أكراد آخرون (منهم د.شاكرو خدويي) اصدروا كتباً ورسائل ماجستير ودكتوراه عن الشؤون الكوردية، كذلك صدرت كتب اخرى منذ صدور الكتاب الاخير (التأريخ). ونكتفي بهذا (على سبيل المثال)، فالمجال لايتسع لدرج كافة آثار الباحثين الاكراد عن تاريخهم والتي تزداد كل عام.

في الشعر:

احدى وظائف الشعر.. (اضافةً الى مجالها الروحي والفكري الرحب) المحافظة على اللغة وتنقيتها وتطويرها.

ادى الشعر الكوردي هذه الوظيفة للغة الكوردية أحسن اداء. ونظراً للحرمان الطويل من الحقوق الثقافية، ولسيادة العلاقات الاجتماعية الاقطاعية وما قبل الاقطاعية، فلم يتطور النثر الكوردي الذي بدأ بالتطور في العراق منذ الاربعينات. واما بداياته فكانت

مع صدور الصحف الكوردية منذ اواخر القرن التاسع عشر. كان لصدور اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ في العراق حول منح الحكم الذاتي لكوردستان العراق، وما وفرته من اجواء لممارسة الحقوق الثقافية نسبياً، أثر كبير في تطور النثر الكوردي في ذلك الجزء من كوردستان. فالأدب الكوردي لازال الى حد كبير ادب شعر. القصة القصيرة والالوان الادبية الاخرى ظهرت مؤخراً (منذ اربعينات القرن).

اما الشعر الكوردي فغزير وغني يعبر عن غنى الثقافة الكوردية.وقد ظل الشعر بمثابة كتاب ومجلة وصحيفة يومية وتأريخ... الخ، اضافةً الى دوره التعليمي والتربوي.

ابرز الشعراء الكورد هو احمدي خاني الذي دعا منذ القرن السابع عشر الميلادي الى اليقظة القومية، تلاه في هذا المسار الشاعر حاجي قادر كويي في القرن التاسع عشر. واما القرن العشرون فقد لمعت فيه اسماء بارزة في الشعر القومي والوطني الكوردي امثال: فائق بيكه س، گوران، پيره ميرد، جگه ر خوين، هژار موكرياني، هيمن، شيخ سلام، وغيرهم.

فيما يلي قائمة(٨) بأسماء أهم الكتاب والشعراء القدامى الكوردي الذين برزوا في مجال الشعر أو المجالات الاخرى حتى المنتصف الثاني لهذا القرن:

– بابا طاهر همداني (٩٣٥–١٠١٠م) معروف برباعياته المشحونة بتأمل فلسفي، ونقد مر للحياة الاجتماعية في عصره، يعتبر شعره بداية تدوين النص الكوردي.

– علي الحريري (١٠١٠–١٠٧٧) من اهالي حرير/محافظة اربيل حالياً. له ديوان قديم، اشعاره غرامية وفي غاية الرقة.

– علي ترموكي: اول من وضع قواعد الصرف والنحو للغة العربية له قصائد رائعة. عاش في القرن الرابع الهجري.

– فقي تيران (بفتح التاء) (١٣٠٧–١٩٧٥) شاعر كبير، نظم حكاية الشيخ صنعان بالكوردية، وله أشعار معروفة بعنوان (قول الحصان الاسود).

– ملا جزيري (١٤٠٧–١٤٨١) شاعر كبير وفيسلوف، في الغزل والتصوف.

– ملاباطي/ عاش في القرن الخامس عشر الميلادي. شاعر.

– شريف خان (١٦٩٣–١٧٤٨) شاعر.

– احمدي خاني (١٦٥٠–١٧٠٦) رائد الشعر السياسي القومي الكوردي. ابرز

الشعراء الكورد، وفيلسوف. اعتبره بعض الباحثين «هيگل» الشعب الكوردي، نسبةً الى الفيلسوف الالماني هيگل، لأن احمدي خاني قد قال ايضاً بالديالكتيك. هو صاحب الملحمة الشهيرة (مم وزين) نظمها في (٢٦٦١) بيتاً من (٢٥) فصلاً، ملحمة حب بين الفتى (مم) والفتاة (زين) تتحدث عن التضحية ومقاومة الدسائس والفتن، مشحونة بالروح القومية الوثابة والنظرة الفلسفية العميقة الى الحياة.

نشر الكاتب الكوردي د.عزالدين مصطفى رسول بحثاً باللغة العربية عن فلسفة احمد خاني في ملحمته.

وضع الشاعر الملحمة عام ١٥٩١م، ترجمت فيما بعد الى لغات عديدة، ترجمها (بتصرف) الى العربية العلامة الكبير محمد سعيد رمضان البوطي الاستاذ في جامعة دمشق. استلهم منها الشاعر العربي السوري احمد سليمان الاحمد قصة شعرية بعنوان (مم وزين). اهتم بها المستشرقون. ترجمتها م.ب رودتيكو الى الروسية، طبعت في موسكو عام ١٩٦٢. ترجمها الى الفرنسية الاديب الفرنسي روجيه لسكو عام ١٩٤٢. وكتب عنها المستشرقون: ايسو سان عام ١٨٩٠، فونلوكوك عام ١٩٠٣، اسكارمان عام ١٩٠٦، هوكرماكاس عام ١٩٢٦ وغيرهم.

اول طبعة كوردية للملحمة (التي كانت مخطوطة سابقاً) ظهرت في الاستانة عام ١٩١٩م واعيد طبعها عام ١٩٤٧. اعيد طبع بعض اقسامها عام ١٩٣٦ في يريڤان السوڤيتية. وطبع باللغة الكوردية عدة مرات.

كما قلنا يعتبر شعر احمد خاني بداية انبعاث الوعي القومي الكوردي، فقد خصص قسماً من مقدمة الملحمة لبث روح اليقظة والوعي.

نعود الى قائمة الشعراء والكتاب القدامى:

– مراد خان البايزيدي (١١٥٠–١١٩٠ هجري).

– شاه پرتو حكاري، أكمل اشعاره عام ١٨٠٦م.

– الشيخ معروف نودي (١٧٥٣–١٨٣٨) له أكثر من ٢٠ مؤلفاً في الادب والشعر والمسائل الدينية.

– مولانا خالد النقشبندي (١٧٨٣–١٨٢٦)، مجدد الطريقة النقشبندية وعالم بارز، اضافةً الى تضلعه بالأمور الدينية، له شعر باللغة الكوردية (اللهجة الهورامية)، كذلك

بالعربية والفارسية. صدر مؤخراً كتاب (تذكرة الصالحين/يادي مردان) جمعه واعده العالم الكوردي ملا عبدالكريم المدرس، يضم مجموعة من قصائد النقشبندي ورسائل وقصائد خلفائه (في طريقته الدينية).

– حاجي قادر كويي (١٨١٥–١٨٩٢) شاعر كبير، رائد الشعر الوطني الكوردي بعد احمدي خاني. اشتهر ايضاً بنقده الاجتماعي اللاذع لعصره.

– نالي (١٧٩٧–١٨٥٥) يعتبر من كبار شعراء الغزل في الادب الكوردي، وهو يقابل (حافظ) في الادب الفارسي.

– سالم (١٨٠٠–١٨٦٦) معروف بشعره القومي عن معارك امارة بابان الكوردية ضد العثمانيين.

– مولوي (١٨١٥–١٨٩٢) شاعر فيلسوف، له غزل رقيق في التصوف. عرف عنه ايضاً شعره الخالد في زوجته (عنبر خاتون) بعد وفاتها. نظم فيها أكثر من ١٥٠ بيتاً، يرقى الى ما قاله –فيما بعد– الشاعر الفرنسي لويس اراغون في زوجته (الزا)، وكان اراغون قد استعار روح التصوف الشرقي في عيون الزا، ومجنون الزا.. ولن نغالي ان قلنا بأن شعر مولوي اعذب وارق من شعر اراغون وأكثر شفافية.

– وفايي (١٨٣٨–١٨٩٩) نظم شعراً عاطفياً رقيقاً. يغني الفنانون بعض قصائده، كان معاصراً وكاتباً للقائد التحرري الشيخ عبيدالله النهري.

– حريق (١٨٥١–١٩٠٧) له شعر صوفي وغزل.

– أدب (١٨٥٩–١٩١٢) اغلب شعره نظمه في زوجته (نصرت خان) التي افترق عنها بسبب مرضه. اشتهر ايضاً بكونه فناناً في الرسم والموسيقى والتصوير.

– محوي (١٨٣٦–١٩٠٦).

– شيخ رضا الطالباني (المتوفي عام ١٩١٠) أكبر الشعراء الكورد في الهجاء.

– جميل صدقي الزهاوي (توفي عام ١٩٣٥). كتب شعرا بالعربية. له قصائد هجائية بالكوردية، كان يطارح شيخ رضا في الشعر، معروف الرصافي ايضاً من اصل كوردي.

– أمين فيضي بگ، توفي عام ١٩٢٨. كان عسكرياً، ويهتم بالشعر والادب.

– پيره ميرد (١٨٦٧–١٩٥٠) شاعر كبير ومن رواد الصحافة الكوردية. اصدر بنفسه جريدة ژيان/الحياة عام ١٩٣٩، واصلت الصدور بعد وفاته. كان يحرر ويطبع ويوزع الجريده بنفسه. له ايضاً شعر غزير وملاحم. من اشهر قصائده القومية «نوروز» التي لحنها الفنانون فصارت نشيداً قومياً يؤديه الكورد في الاحتفال بعيد نوروز القومي (٢١ آذار من كل عام).

– زيوه ر (١٨٧٥–١٩٤٨) له شعر وطني، وغزل.

– شيخ سلام (عاش في المنتصف الاول من هذا القرن) له شعر وطني، ترجم رباعيات الخيام من الفارسية الى الكوردية.

– احمد مختار (١٨٩٧–١٩٣٥) عرف بقصائده الحماسية.

– طاهر بگ (توفي عام ١٩١٧) له شعر رقيق سلس الالفاظ.

– حمدي (١٨٧٦–١٩٣٦) امتاز شعره بالسبك اللفظي الرقيق. اشترك في ثورة الشيخ محمود الحفيد عام ١٩٢٢ وفي تشكيل الحكومة الكوردية التي كانت السليمانية عاصمة لها.

– فائق بيكه س (١٩–٥–١٩٤٨) عرف بشعره الوطني الحماسي ونقده الاجتماعي لعصره.

– قانع (عاش في النصف الاول من القرن حتى الستينات) عرف بشعره الشعبي ونقده الاجتماعي العنيف. دافع عن حقوق العمال والفلاحين بحماس.

– عثمان صبري (ولد عام ١٩٠٦) لازال حياً حتى كتابة هذا القسم. له شعر حماسي قومي، وغزل رقيق سلس الالفاظ والتعابير. ناضل في صفوف شعبه الكوردي فنفي وشرد مرات بسبب ذلك، تعرض للموت مراراً.

– قدري جان (١٩١٦–١٩٧٢) شاعر رقيق المبنى والمعنى، يفيض حماساً ووطنية، كان يكتب للصحافة الكوردية ايضاً. يعتبره بعض الباحثين رائد التجديد في الشعر الكورد المعاصر (قبل عبدالله گورن).

– عبدالله گوران (توفي عام ١٩٦٢) رائد التجديد في الشعر الكوردي (بعد قدري جان)، رائد المدرسة الواقعية في الشعر الكوردي. شعره مترجم الى العربية والروسية والانگليزية وغيرها. كما ان له كتابات نثرية وبحوثاً ادبية. يعتبر من كبار الادباء على

المستوى العالمي، يرقى شعره الى مستوى شعر ناظم حكمت، وبابلو نيرودا، والجواهري.

– هژار موكرياني: شاعر حماسي رقيق. ناضل في صفوف الحركة القومية التحررية الكوردية منذ أكثر من اربعين عاماً، من المولعين بشخصية مصطفى البارزاني، لازمه حتى وفاته، وقال فيه شعراً غزيراً. شعره مشحون بروح قومية جياشة. له ترجمات عديدة الى الكوردية، وتحقيقات ادبية، وقاموس ضخم بالكوردية. اعظم كتبه النثرية هي اعادة وصياغة كتاب (الشرفنامه) باللهجة الكرمانجية الجنوبية وتحقيق ديوان الجزيري وديوان احمد خاني. ترجم بعض رباعيات الخيام، وهو من مهاباد/كوردستان ايران.

– جگه ر خوين (١٩٠٥–١٩٨٤) شاعر من سوريا. ترك وراءه ٧ دواوين شعرية اضافةً الى كتب في قواعد اللغة الكوردية وحكم وأمثال وقاموس كوردي، وترجمات من العربية والفارسية، عرف بشعره الوطني الذي صار مادة للأغنية الثورية الكوردية المعاصرة لاسيما من تلحين واداء الفنان المعروف (شڤان).

– يونس دلدار (النصف الاول من هذا القرن) رائد الرومانسية في الشعر الكوردي، صاحب قصيدة (ئه ي ره قيب/ايها الرقيب) التي صارت نشيداً قومياً للشعب الكوردي منذ قيام جمهورية كوردستان الديمقراطية عام ١٩٤٦، له ديوان شعر، ولد في مدينة كويسنجق.

– هناك شعراء آخرون بارزون منهم: هيمن المعروف بشعره الوطني، والغزلي الرقيق، ومائي، ودلزار، وغيرهم. بعض هؤلاء الذين لازالوا يعيشون هم من المخضرمين، كما يقال. جاء بعدهم جيل جديد من الشعراء اغنوا الادب الكوردي بنتاجات رائعة. ارتأينا التوقف عند شعراء الجيل الاول ومن قبلهم. وفي الجيل الجديد اسماء لامعة. ان التطرق الى الجيل الجديد يحتاج ايضاً مقدمة عن التجديد الشعري واتجاهات الشعر الكوردي الحديث ورواد، مما لامجال له الآن.

في البحث الادبي:

من بين المعاصرين الذين كتبوا في تأريخ الادب الكوردي هو الكاتب الراحل علاء الدين سجادي (توفي قبل عام)، قدم عدة كتب ادبية هامة منها (تأريخ الادب الكوردي) و(عقد اللؤلؤ) في عدة اجزاء، وغيرها. ويعتبر من رواد مؤرخي الادب الكوردي.

ثمة كتاب آخرين واصلوا البحث في مختلف شؤون الادب والثقافة الكوردية من كافة الاجزاء، بعضهم رحلوا وبعضهم لازالوا يواصلون، منهم:

توفيق وهبي، رفيق حلمي، جمال نه به ز، ابراهيم احمد، ملاجميل روژبياني، شكور مصطفى، صادق بهاءالدين، شاكر فتاح، كريم حسامي، سعيد ناكام، مسعود ملا محمد، جليلي جليل، قناتي كوردو، د.كمال مظهر، د.احسان فؤاد، د.معروف خزنه دار، د. جمال رشيد، محمد الملا عبدالكريم، عثمان صبري، عصمت شريف، كندال، جگه ر خوين، هژار، هيمن وغيرهم من مختلف اجزاء كوردستان. هناك باحثون آخرون مع الجيل الاول ومن الجيل الجديد لايتسع المجال لأستعراض اسماء الجميع. وان عدم ذكرهم لايعني، بأي حال، التقليل من مساهماتهم في النهضة الثقافية والاجتماعية لشعبهم، فان هذا الكتاب هو استعراض سريع، وليس بحثاً ادبياً.

ومن بين الكتاب الكورد الذين قدموا بحوثاً ثقافية كوردية باللغة العربية او ترجموا اليها من الكوردية: د.عزالدين مصطفى رسول، مسعود ملا محمد، محمد الملا عبدالكريم، د.كمال مظهر، عصمت شريف، روشن بدرخان، د.محمد سعيد البوطي، عبدالمجيد لطفي، محي الدين زه نگه نه وغيرهم. عموماً لم يجر تعريف الادب الكوردي للقارىء العربي كما ينبغي، يرجع ذلك ايضاً الى الاضطهاد الثقافي والحرمان، والسياسة الشوفينية للحكام.

في القصة القصيرة:

دخلت القصة القصيرة الادب الكوردي متأخراً، فالنثر الكوردي كما قلنا، تأخر ظهوره لأسباب اجتماعية–سياسية (الاضطهاد القومي والتخلف الاجتماعي... الخ)، وثقافية: الحرمان من الصحافة، وحرية التعبير والنشر، والتخلف المفروض اساساً على كوردستان.

بدأت القصة الكوردية القصيرة بشكل محدد الملامح في الاربعينات ساهمت مجلة گلاويژ (١٩٣٩–١٩٤٩) في اشاعتها بشكل رئيسي. بعض الباحثين الكورد يقولون ان بداية القصة الكوردية تعود الى العشرينات، وما قبلها ايضاً.

ازدهرت القصة القصيرة، بشكل خاص، في كوردستان العراق، حيث صحافة كوردية احياناً، وحرية نسبية للتعبير والنشر في الاربعينات، ثم بعد ثورة ١٤ تموز

١٩٥٨، ومابعد آذار ١٩٧٠.

شهدت القصة القصيرة تطوراً ملحوظاً في الخمسينات، ثم ازدهرت منذ السبعينات. هناك جيلان واضحان من كتاب القصة الكوردية. الجيل الاول كان انجازه الأساسي هو إدخال هذا الشكل الادبي الى الأدب الكوردي. أما الجيل الجديد الذي يواصل الآن نشاطه فقد تقدم به نحو مستوى اعلى، مستفيداً من الخبرة المتراكمة، وحاول التجديد فيها شكلاً ومضموناً، وظهرت مدارس الواقعية والرمزية وتيار الوعي، وتيارات اخرى تحت تأثير آداب الشعوب المتجاورة للشعب الكوردي.

ابرز كتاب القصة القصيرة من الجيل الاول: حسن قزلجي (كوردستان ايران)، عرب شمو (الاتحاد السوفيتي)، وابراهيم احمد، محرم محمدأمين، مصطفى صالح كريم، د.كاوس قفطان، حسين عارف وغيرهم (من كوردستان العراق). بعضهم لازالوا يواصلون.

اما الجيل الجديد فقد قدم هو الآخر مساهمات قيمة، ونترك استعراض الاسماء البارزة فيه لفرصة اخرى، علماً ان كتاباً جيدين ظهروا مؤخراً.

مما يجدر ذكره انه سواء في الشعر او القصة الكوردية، سواء في الجيل القديم او الجديد، يلاحظ نَسَغ قوي من ادب المقاومة يستحق بحثاً خاصاً به.

في الرواية:

لكل الاسباب الاجتماعية -السياسية المذكورة، ولسيادة العلاقات الاقطاعية في المجتمع الكوردي، فقد ظهرت الرواية الكوردية متأخراً عن بقية الاشكال الادبية بكثير. قد لايصح القول بأن هناك رواية كوردية كمدرسة أدبية قائمة، بل هناك روايات ومحاولات روائية متفرقة يمكن تعدادها بسهولة. ويمكن ان يضاف الى الاسباب، ايضاً كون الرواية في الادب الكوردي، مثل آداب بقية شعوب المنطقة، شكل حديث تماماً على هذه الشعوب، فكيف بشعب لم يمارس حقوقه الثقافية والاجتماعية حتى الآن؟[٩].

من الروايات الكوردية الصادرة حتى الآن:

- پيشمه رگه/ النصير او الفدائي، للدكتور رحيم القاضي (كوردستان ايران)، طبعت عام ١٩٤٦.

- المخاض، تأليف ابراهيم احمد، طبع عام ١٩٧٢.

- الراعي، كتبها عرب شمو (من اكراد الاتحاد السوڤيتي)، ربما هي اولى رواية كوردية، يعود صدورها الى العشرينات.

- القتال في الجبال، اصدرها علي عبدالرحمن عام ١٩٨٣ (من الاتحاد السوڤيتي) يلاحظ ان الطابع الغالب على محتوى هذه الروايات هو كفاح الشعب الكوردي ومعاناته.

روايات بلغة اخرى:

الحرمان الثقافي من اللغة القومية جعل بعض المبدعين الاكراد يؤلفون روايات وقصصاً بلغات اخرى، اللغات السائدة في بلدانهم، بالعربية أو التركية أو الفارسية. نذكر منهم على سبيل المثال:

- الروائي الكبير يشار كمال (من اصل كوردي، في تركيا)، المعروف على مستوى الرواية العالمية، صدرت له أكثر من ١٥ رواية باللغة التركية ترجمت معظمها الى الفرنسية والانگليزية والفارسية والكوردية وغيرها.

- منصور ياقوتي من اصل كوردي في ايران، يكتب باللغة الفارسية، اصدر حتى الآن ٧ روايات معظمها عن المناطق الكوردية.

- عزيز اليوسفي من كوردستان ايران ايضاً، ترجم ٦ روايات عالمية الى اللغة الفارسية. وهناك آخرون يكتبون قصصاً وروايات بالفارسية.

- في العراق كتاب أَلَّفوا ويؤلفون قصصاً وروايات ومسرحيات باللغة العربية، منهم: عبدالمجيد لطفي، زهدي الداودي، محي الدين زنگنه كامل حسن البصير وغيرهم.

- في سورية، الكاتب الكوردي سليم بركات، كذلك (باقي نازي) الذي اصدر بالعربية رواية (الجبال المروية بالدم) تدور احداثها عن نضال الشعب الكوردي. ذكرنا هذه الاسماء كنماذج (على سبيل المثال فقط)، فهناك كتاب آخرون يعبرون مثل هؤلاء، عن هموم المجتمع الكوردي ومشاكله بلغات غير الكوردية. وهذه هي السمة الطاغية على كتابات كافة هؤلاء. وكثيرون من الشعراء من أصول كوردية نظموا الشعر بلغات اخرى فقط. مثلاً نذكر بعض من نظم الشعر او كتب انواعاً ادبية اخرى بالعربية: محمود تيمور، عائشة تيمور، احمد شوقي، عباس العقاد، معروف الرصافي، الزهاوي، بلند

الحيدري، حسين مردان وغيرهم.

نتوقف هنا عند ملاحظتين:

الاولى، اننا لانريد ان نجـزىء إبداع هؤلاء الكتـاب عن إبداع تلك الشـعـوب التي يكتبون بلغاتها، بل نعتبر مساهمتهم خدمة للثقافة والحضارة البشرية، وادبهم رسول صداقة واخاء بين الكورد وتلك الشعوب، دون ان يعني ذلك انكار أهمية التعبير باللغة القومية. أي اننا لانزكي الحرمان من استعمال لغة الام في الكتابة والتعبير، بل ان ذلك الواقع بحد ذاته يدين الحرمان والاضطهاد. فالأجدر والاصح هو ان يتاح للأديب كامل الحرية للتعبير عن نفسه بلغته القومية.

الثانية: ثمة جدل قائم بين الكتاب الكورد فيما اذا كان ادب هؤلاء (المعبرين باللغات غير الكوردية) يعتبر أدباً كوردياً أم لا. بعضهم يضربون المثل بآداب بقية الشعوب، منها الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، فيعتبر ما كتبه ويكتبه الاكراد (مجبرين) بلغات اخرى، جزءاً من الادب الكوردي، لاسيما حين يدور حول المجتمع الكوردي، البعض الآخر يشترط في الادب الكوردي أن يبدع باللغة الكوردية، وبالتالي لايعتبرون ادباً كوردياً ما يكتبه ادباء كورد بلغات اخرى ولو كانت مواضيعهم عن المسائل الكوردية.

احد الاساتذة العرب (د.عمر الطالب) في العراق قدم عام ١٩٧١ اطروحة لنيل الدكتوراه في الرواية العراقية، في القاهرة. وافرد صفحات كثيرة من رسالته للكتاب الاكراد الذين كتبوا روايات باللغة العربية. وبذلك انصفهم الباحث العربي واعطى ادبهم هوية كوردية. ولعل تحليله هو أصح من اولئك الناقدين الكورد.

على اي حال، يدل هذا الواقع على جانب آخر من الغبن الذي تعاني منه الثقافة الكوردية. ان حرمان المثقفين الكورد من إستعمال لغتهم القومية كأداة أدبية-فنية، يشكل عائقاً كبيراً واساسياً امام تطور مواهبهم وابداعاتهم من جهة، وأمام تقدم اللغة الكوردية عموماً من جهة اخرى. فليس بمقدور كل إنسان ان يبدع بلغة اخرى غير لغة الأم، لذا يموت الكثير من المواهب قبل ان ترى النور.

في الصحافة: (هنا أتحدث البدايات حتى عام ١٩٨٥):

اولاً: الصحافة المرئية (التلفزيون): يفتقر اليها الشعب الكوردي، مع أن التلفزيون صار جهازاً اعلامياً وثقافياً هاماً للغاية لأيصال الثقافة المطلوبة الى اوسع جمهور ممكن. هذا يعني ان الاغلبية الساحقة من المشاهدين الكورد يتشبعون يومياً بثقافات اخرى غير ثقافتهم القومية. هناك برامج كوردية محدودة في محطات الصحافة المرئية لبعض الدول مثل العراق وايران، لكنها ضحلة ولا تهتم جدياً بالثقافة الكوردية، كما انها خاضعة اساساً للسياسة الرسمية للدول، وليست كافية لأستيعاب الطاقات الفنية الكوردية، اضافةً الى ضآلة الوقت المخصص لها. او الفزيون باللغة الكردية أفتتحت الحكومة العراقية عام ١٩٦٧ في العراق. وبعد أنتفاضة آذار ١٩٩١ تغير الحال تماماً، فقد ظهرت قنوات فضائية عديدة بالكردية.

ثانياً: الصحافة المسموعة (الاذاعة) تتوفر نسبياً، لكنها نوعان: ما تمتلكه الحكومات (غير الكوردية طبعاً)، وما تمتلكه الاحزاب الكوردية التي تخوض الكفاح المسلح.

١- عن الاذاعات الكوردية للحكومات، هناك بالطبع اختلاف بينها بحسب سياسة الحكومات المعنية. اضافةً الى اذاعة كوردية في يريڤان في الاتحاد السوڤيتي، هناك اذاعات كوردية في العراق وايران. في العراق بدأت منذ عام ١٩٣٩ وفي ايران منذ اواخر الخمسينات. لم تشهد تركيا اية اذاعة كوردية. وجود الاذاعات الكوردية، رغم كل شيء، كان موضوعياً في خدمة تطوير الغناء والموسيقى وجوانب الثقافة الاخرى واغنائها ولو بشكل محدود.

بالمناسبة، افتتح الحلفاء في الحرب العالمية الثانية اذاعتين كورديتين: احداهما في بيروت، والثانية اذاعة الشرق الادنى في (يافا) عمل فيها الشاعر گوران والفنان رفيق چالاك ورمزي قزاز وغيرهم. كانت موجهة اساساً ضد النازية. يقول هژار موكرياني في مقال له بمناسبة رحيل علاء الدين سجادي ان گوران اضطر تحت ضغط الفاقة والحاجة الى العمل كمذيع في اذاعة الشرق الادنى.

اما الاذاعة الكوردية التي افتتحت في القاهرة بتوجيه من عبدالناصر عام ١٩٥٧، فقد استمرت حتى أواسط الستينات، وكان لها دور تحرري في تلك الفترة، مثلما جرى الحديث عنها سابقاً.

٢- الاذاعة الكوردية السرية أو إذاعة الاحزاب والمنظمات الكوردية التي فكرت بإنشائها منذ اوائل الاربعينات. قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ اشترى الحزب الديمقراطي الكوردستاني-العراق اذاعة، متهياً لتشغيلها في الوقت المناسب.

اما اذاعة (صوت كوردستان العراق) فهي اولى اذاعة سرية كوردية افتتحت في المناطق المحررة من كوردستان العراق، في صيف ١٩٦٣ وذلك من قبل الحزب الديمقراطي الكوردستاني-العراق الذي كان يخوض كفاحاً مسلحاً ضد استبداد ومظالم حكومة بغداد. نصبها في الاراضي الواقعة تحت سيطرة الثورة الكوردية. كانت صغيرة ذات مدى محدود. ثم تطورت حتى صارت ذات أهمية إعلامية كبيرة، وهي الاذاعة التي استمرت حتى اليوم، مع انقطاعات مؤقتة بسبب ظروف سياسية (ومثل فترات مفاوضات مع الحكومة العراقية أو النكسة عام ١٩٧٥). تسمع برامجها اليوم في كافة اجزاء كوردستان. وقد ظلت هذه الاذاعة في فترات حياتها الحافلة، داخل الاراضي المحررة في كوردستان العراق، تناوب على تحرير برامجها وادارتها سياسياً وفنياً مناضلون مبدعون، كانت هذه الاذاعة ولاتزال مصدراً هاماً للأنصات الدولي الذي تنظمه اذاعة (بي بي سي) البريطانية، حيث تلتقط اخبار وتعليقات وبيانات هذه الاذاعة الكوردية السرية وتترجمها الى الانكليزية، وتوزعها على الدبلوماسيين ورؤوساء تحرير الصحف في مختلف أنحاء العالم.

مع اوائل الثمانينات ظهرت ٥-٦ إذاعات كوردية اخرى تبث من داخل الاراضي الكوردية المحررة، كلها تعمل بموجات قصيرة الا نادراً، تبث هذه المحطات (السرية) اخبار ونشاطات وبرامج الاحزاب الكوردية (وغير الكوردية) التي تديرها. فهناك احزاب غير كوردية تبث برامج كوردية ضمن برامجها العامة (من كوردستان العراق وايران).

ان مايمكن قوله عن اذاعات الاحزاب الكوردية وغيرها، هو انها -موضوعياً- تنشر الوعي القومي والاجتماعي من خلال الدعاية لبرامجها حول القضية الكوردية وشؤونها المختلفة. ليس هناك، بالطبع، تنسيق بينها، او برنامج عام يوجهها جميعاً نظراً للأختلافات السياسية والآيديولوجية.

ثالثاً: الصحافة المقروءة (الصحف والمجلات):

نظراً للحرمان الطويل والاضطهاد القومي، وما يتطلبه اصدار صحيفة يومية من امكانيات فنية وحرية تعبير ونشر وايصال للسوق... الخ، فليست هناك حتى الآن (١٩٨٥) صحيفة يومية كوردية في أي مكان، مع أن الأمة الكوردية تزيد عن ٢٢ مليون نسمة ونحن على أعتاب القرن الواحد والعشرين.

في الاتحاد السوفيتي تصدر صحيفة «ريا تازه-الطريق الجديد» مرتين كل اسبوع. وفي العراق تصدر صحيفة «هاوكاري/التضامن» اسبوعياً وهي خاضعة للإعلام الرسمي الحكومي. ماعدا ذلك فما يصدر لايتعدى صحفاً دورية ومجلات فصلية.

الصحافة المقروءة، مثل الصحافة المسموعة، نوعان: ماتصدره حكومات، وما تصدره المنظمات والأحزاب الكوردية.

١- ما تصدره الحكومات أو مؤسسات حكومية، مع الاختلاف في طبيعة الصحف تبعاً لطبيعة الدول المعنية، نقول:

منذ عام ١٩٣٠ تصدر في يريڤان بالأتحاد السوفيتي صحيفة «رى تازه/الطريق الجديد»،مرتين في الاسبوع حالياً، وهي صحيفة حزبية وليست حكومية بالمعنى الصحيح.

في العراق تصدر منذ عام ١٩٦٩ صحيفة هاوكاري/التضامن الكوردية اسبوعياً، مع انقطاعات احياناً، ومجلة شهرية انقطعت فترات، وصارت اشبة بمجلة فصلية، وهي مجلة «بيان»، ثم المجلة الفصلية (كاروان/القافلة)، يشرف عليها الاعلام الرسمي الحكومي.

في ايران اسست وزارة الارشاد الايرانية عام ١٩٨٥ داراً للنشر الكوردي باسم (دار نشرصلاح الدين)، في مدينة ارومية (رضائية سابقاً)، تصدر مجلة كوردية فصلية باسم «سروة/نسمة»، صدر منها عددان حتى كتابة هذا الفصل. تصدر الدار ايضاً كتباً ادبية وتراثية كوردية.

٢- الصحافة المشردة او المهاجرة الصادرة خارج كوردستان، وهي الصحافة الكوردية التي يصدرها مثقفون كورد أو أحزاب ومنظمات وجمعيات كوردية. اول صحيفة كوردية هي خير نموذج لتشرد الصحافة الكوردية.

«كردستان» هو اسم اول صحيفة كوردية، على الاطلاق، صدرت في القاهرة في ٢٢ نيسان ١٨٩٨م، ولذلك صار يوم ٢٢ نيسان من كل عام عيداً للصحافة الكوردية. اصدرها مقداد مدحت بدرخان ثم تولى مسؤوليتها من بعده اخوه عبدالرحمن بدرخان. استمرت ٤ سنوات، آخر عدد منها صدر في ١٤ نيسان ١٩٠٢، لعبت دوراً كبيراً في تأجيج الوعي القومي لدى الاكراد. صدر منها ٣١ عدداً فقط وفي الاماكن التالية:

من العدد ١–٥ صدرت في القاهرة.

من العدد ٦–١٩ صدرت في جنيف.

من العدد ٢٠–٢٣ صدرت في القاهرة مرة اخرى.

العدد ٢٤ صدر في لندن.

من العدد ٢٥–٢٩ صدرت في فولكستون.

العددان (٣٠–٣١) صدرا في جنيف مرة ثانية.

أليست أول صحيفة كوردية «كردستان»، نموذجاً للصحافة المهاجرة، أو المشردة حتى خارج وطنها كوردستان؟

قد يصح اطلاق هذه التسمية، حتى اليوم، على صحافة الاحزاب والمنظمات والجمعيات الكوردية، فهي عموماً لاتصدر علناً في اوطانها، فتصدر سراً بطباعة متواضعة جداً وورق اقل ما يقال عنه انه ليس جيداً، بأحجام وكميات محدودة، او انها تصدر في «المنفى». وقد جاءت ظروف مناسبة احياناً لصدور صحافة قومية علناً، لكنها عموماً ظروف مؤقتة وقصيرة سرعان ما كانت تزول بنجاح المحاولات المعادية لطموح الاكراد.

فيما يلي استعراض سريع لأهم الصحف التي صدرت بعد صحيفة «كردستان» فنتوقف فيما بعد عند بعضها:

* ژين (١٩١٨–١٩١٩).
* خلال عام ١٩٠٨–١٩٢٥ صدرت صحف روژ كورد/نهار الكورد، هه تاوى كورد/شمس الكورد عام ١٩١٣، صحيفة بأسم «كوردستان» ايضاً في اورمية، و«هيڤى/الامل»، بانگى كوردستان/صدى كوردستان، پيشكه وتن/التقدم.

* روژى كوردستان/شمس كوردستان عام ١٩٢٢، ژيان/الحياة ١٩٣٩، هاوار/الصرخة ١٩٣٢، كوردستان في مهاباد ١٩٤٥، آزادي/الحرية عام ١٩٤٤، روژانو/اليوم الجديد، صدر العدد (٤٥) منها في آب ١٩٤٥ باشراف كامران بدرخان؛ ثم رزگاري ١٩٤٥، شورش ١٩٤٥، گه لاويژ ١٩٣٩، هيوا/الامل، روناهى/النور، روژى نوى/اليوم الجديد ١٩٥٩، خه بات/النضال ١٩٥٩، برايه تي/التآخي ١٩٦٧، روژى كوردستان/شمس كوردستان ١٩٧٠، نووسه رى كورد/الكاتب الكوردي ١٩٧٠ وغيرها.

نتوقف عند هذه الصحف نظراً لأهميتها التأريخية:

* روژى كوردستان/شمس كوردستان اصدرتها حكومة الشيخ محمود الحفيد، العدد الاول صدر في ١٥ تشرين الثاني ١٩٢٢، صدر منها ١٥ عدداً فقط. عمل فيها كتاب اكفاء مثل رفيق حلمي والشيخ نوري الشيخ صالح.
* ژيان/الحياة، اصدرها الشاعر پيره ميرد منذ ١٩٣٩/١٢/٢٦، واصلت الصدور بعد وفاته عام ١٩٥٠، واستمرت الصدور حتى عهد قريب. كانت السلطة توقفها باستمرار. استبدل اسمها بـ(ژين/ايضاً الحياة). لعبت دوراً جيداً في بعث التراث والوعي والحث على التعليم وتطوير اللغة الكوردية، وتعلم فيها كتاب عديدون. كانت تصدر في السليمانية.
* كوردستان، لسان حال جمهورية كوردستان الديمقراطية، مهاباد، صدر العدد الاول في كانون الثاني ١٩٤٦. صدرت حتى كانون الاول ١٩٤٦، صدر منها ١١٣ عدداً، كانت توزع على نطاق واسع في كوردستان ايران وكوردستان العراق. كانت تصدر مرة كل يومين، صارت سلاحاً للعمل والنضال الايديولوجي، وخدمت الحركة الكوردية. بعد ذلك واصلت الصدور سراً وحتى اليوم وبنفس الأسم.
* گه لاويژ/ مجلة ادبية ثقافية اجتماعية هامة، عددها الاول صدر في ١٩٣٩/١٢/١، توقفت عن الصدور في ١٩٤٩/٨/١. كانت تصدر في بغداد. قدمت خدمة كبيرة لّلغة والثقافة الكوردية، وتطور على صفحاتها نثر كوردي جديد، تصقلت فيها مواهب العديد من الشعراء والادباء الكورد. ساهم فيها جميعهم من العراق وايران.
* هاوار/صرخة، مجلة سياسية ادبية اجتماعية. العدد الاول صدر في ١٥ نيسان

١٩٣٢، في دمشق. توقفت عن الصدور في ١٨/٨/١٩٣٥، صدر منها ٢٦ عدداً (توقفت لأسباب سياسية). في ١٥/٤/١٩٤١ صدر العدد ٢٧ منها وواصلت الصدور حتى ١٥ آب ١٩٤٣ فصدر منها ٥٧ عدداً. كان صاحبها ورئيس تحريرها جلادت بدرخان.

* آزادي/الحرية، صحيفة كوردية صدرت عام ١٩٤٤ في العراق.
* رزگاري/الخلاص، صدرت سراً في كوردسان العراق اوائل الاربعينات عن حزب رزگاري كورد/الخلاص الكوردي، ثم صارت في ١٦ آب ١٩٤٦ لسان حال الحزب الديمقراطي الكوردستاني-العراق. كان لها دور جيد في بث الوعي القومي والديمقراطي. عام ١٩٥٣ استبدل اسمها بـ«خه بات/النضال»، صدرت سراً، ثم علناً في بغداد عام ١٩٥٩-١٩٦١، ثم سراً وهكذا لازالت تصدر بالكوردية والعربية.

حتى تتكون صحافة كوردية مستقرة مزدهرة، صحافة تعبر حقاً عن حاجات المجتمع الكوردي وآلامه وهمومه وتطلعاته نحو التحرر والمستقبل الوضاء، لايتحقق ذلك إلاّ بانتصار الشعب الكوردي وتحرره في جزء واحد من كوردستان او في سائر الاجزاء. والى ان يتحقق ذلك فان الصحافة الموجودة على ضعفها والمصاعب والموانع امامها، تظل سلاحاً في المعركة حتى تحقيق اماني الكورد.

بعضها تصدر داخل كوردستان، وبعضها في المنفى سواء في بلدان الشرق الاوسط أو في اوروپا وغيرها. تصدر هذه الصحف باللغة الكوردية (بحروف العربية أو اللاتينية) او بلغات القوميات السائدة: العربية والتركية والفارسية، بعض الصحف تصدر في نفس الوقت بلغتين: اللغة الكوردية واحدى تلك اللغات، اسباب ذلك كثيرة منها: ايصال صوت الشعب الكوردي الى تلك الشعوب. او -اساساً- حرمان الجماهير الكوردية وجهلها القراءة بلغتها الأم. لاتصدر كافة هذه الصحف بصورة منتظمة، معظمها شهرية وبعضها دورية. نشير فيما يلي الى اسماء بعض صحف الاحزاب والمنظمات السياسية الكوردية من مختلف اجزاء كوردستان، علماً ان ذكر اي صحيفة لايعني موقفاً سياسياً منها؛ ونركز على الصحف التي تصدر منذ فترة وبشبه انتظام على الاقل:

خه بات/النضال، ريگاي كوردستان/طريق كوردستان، يه كيتي/الاتحاد، كوردستان، ريا ئازادي/طريق الحرية، سرخوبون/الاستقلال، ده نگي كورد/صوت

الاكراد، گه ل/الشعب، پيشه نگ/الطليعة، بيري نوى/الفكر الجديد، ريگاي ئازادي/طريق الحرية (تختلف عن جريدة اخرى بنفس المعنى)، صدى كوردستان وغيرها.

كما تصدر مجلات ثقافية دورية من الهيئات المساندة للثقافة الكوردية (مثل معهد پاريس) أو المثقفين الاكراد المغتربين، كذلك من الادباء داخل كوردستان (في الاراضي المحررة) نذكر منها:

مجلة (الأديب الكردي)، وهيوا/الامل، روشنبيري پيشمه رگه/ثقافة الانصار (يصدرها كتاب ديمقراطيون عرب وكورد)، هه له ت/الوثبة (مثل ثقافة الانصار)، نووسه ري كوردستان/اديب كوردستان، هه لويست/الموقف، به ربانگ/آذان الفجر وغيرها..

عموماً تتوفر الآن كوادر صحفية كوردية وقابليات اعلامية احسن وأكثر بكثير مما كان عليه الأمر في السبعينات او قبلها. كما يلاحظ ان مثقفي كوردستان تركيا (في المنفى) يهتمون جيداً بصحافتهم ويصدرونها بشكل متطور نسبياً احسن من مثقفي بقية الاجزاء، علماً أن كوردستان تركيا ظلت أكثر من نصف قرن محرومة من أية صحيفة كوردية.

ان النهوض الثقافي الذي يرافق نهوض الكفاح التحرري الكوردي امر يبشر بالخير، لكنه ما يزال دون المستوى المطلوب بكثير. فهناك مسائل هامة تنتظر من المثقفين حلها، ولازالت امامهم صعوبات شاقة في الطريق، وطريق طويلة ينبغي اجتيازها.

* خه بات/النضال، لسان حال الحزب الديمقراطي الكوردستاني-العراق، صدرت سراً، كما قلنا، منذ ١٩٥٣، خرجت الى العلن بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. العدد الاول العلني صدر عام ١٩٥٩، اوقفتها السلطة عن الصدور في ٢٨/٣/١٩٦١. كان دورها هاماً في الدفاع عن الحريات الديمقراطية في العراق وحقوق الشعب الكوردي.
* التآخي (بالعربية وملحق اسبوعي كوردي بنفس الاسم بالكوردية)[1]: صدرت في

(١) بعد سقوط نظام صدام حسين في نيسان ٢٠٠٣ ورفع الحجز عن الجريدة، تم تأسيسها واصدرها من جديد من قبل فلك الدين كاكئي ومجموعة من الشباب، واصبح الأخير صاحب امتياز للتآخي وأول رئيس تحرير منذ آيار ٢٠٠٣ (وقد صدرت في بغداد).

بغداد من ٢٩ نيسان ١٩٦٧ حتى ١١/آذار/١٩٧٤، ترأس تحريرها على التوالي: صالح اليوسفي، علي عبدالله، دارا توفيق. كانت لسان الحال العلني للحزب الديمقراطي الكوردستاني–العراق، لعبت دوراً بارزاً في الصحافة العراقية والكوردية، مدافعة ثابتة عن الديمقراطية في العراق والدعوة لحل المسألة الكوردية سلمياً وديمقراطياً والتعريف بالثقافة الكوردية. كانت تصدر يومياً في بغداد.

* اول صحيفة يومية كوردية: الملحق الكوردي لجريدة (التآخي) كان يصدر اسبوعياً، تقرر صدورها يومية وصدرت فعلاً خلال (١/١/١٩٧٤ –٨/٢/١٩٧٤) ثم اغلقتها السلطة العراقية بحجة عدم حصولها على امتياز ذلك. إلاّ ان هذه المحاولة الجريئة بصدور اول جريدة يومية بالكوردية خلال عدة اسابيع قد اثبت أهمية وجدارة الصحافة اليومية الكوردية وتضحية وابداع مجموعة من الصحفيين الشباب، فكان اول صحيفة يومية كوردية. كان بمقدورها البقاء والاستمرار والازدهار لولا ان السلطة اغلقتها. أهميتها التأريخية هي انها اولى جريدة يومية باللغة الكوردية.

* هناك عشرات الصحف والمجلات الاخرى التي صدرت باعداد قليلة وفي فترات مختلفة، كما ان المستعمرين ايضاً حاولوا اصدار صحف كوردية للتأثير من خلالها على آراء وافكار المجتمع الكوردي باتجاه مصالحهم. ابرزها صحيفة (تيگه يشتني راستي/فهم الحقيقة) التي اصدرها الانگليز في بغداد في كانون الثاني عام ١٩١٨، واصلت الصدور حتى ٢٨ تشرين الاول ١٩١٨، صدر منها (٥٢) عدداً. تقول الدراسات عنها بأنها أثرت في بعض الشرائح الاجتماعية الكوردية.

اما الامريكان، فقد اصدروا اواسط الخمسينات مجلة كوردية في كركوك بأسم «په يام/الرسالة». كانت توزع مجاناً على الشخصيات والوجوه الاجتماعية الكوردية حتى في القرى بقصد التأثير على اتجاهاتهم لصالح السياسة الامريكية والاستعمارية عامة. توقفت عن الصدور بقيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

فالمستعمرون استغلوا فقدان وغياب الصحافة الكوردية(١١) وتحريمها من قبل حكومات المنطقة فعملوا من خلال تلك الصحف (التي كان لها قراء بسبب انعدام صحف كوردية اخرى) على التأثير في بعض الاوساط الكوردية.

* اليوم توجد صحف ونشريات دورية، سرية وشبه سرية، تصدرها المنظمات

والاحزاب والجمعيات الوطنية الكوردية في جميع اجزاء كوردستان.

ختاماً...

هناك، الى جانب ما ذكرنا، ابداعات للفنانين الاكراد في مجال الاغنية الثورية(١٢)، والموسيقى، والمسرح، والرسم، والسينما (يلماز گوناي(١٣) من كوردستان تركيا الذي سجل بداية رائعة للسينما الكوردية) والانشطة الثقافية الاخرى.

وفي المهجر محاولات ثقافية(١٤) من قبل الجالية الكوردية (حوالي ٦٥٠٫٠٠٠ الف فقط في اوروبا الغربية(١٥) بينهم آلاف الطلبة والفنانين والكتاب).

الفن الكوردي عموماً هو فن المقاومة، فكما قلنا بصدد الشعر والقصة القصيرة، كذلك بصدد الرواية والسينما (على القلة العددية للإبداع فيها) والاغنية الثورية وغيرها فان روح التصدي والمقاومة طاغية بشكل ملحوظ. لابد ان يكون كذلك لأنه فن أمة ناهضة مغبونة غبناً تاريخياً، عميقة الآلام والجروح، معذبة ممزقة، تتطلع عبر تضحياتها الغالية نحو التحرر النهائي والإنعتاق من الأسر والعسف والاضطهاد وبناء غد سعيد لأبنائها كسائر أمم الارض.

هوامش ومراجع الفصل الثاني:

(١) معمر القذافي/ الكتاب الأخضر.

(٢) عصمت شريف وانلي (العالم العربي وحرب التحرر الوطني في كوردستان العراق).

(٣) حول تسمية اللهجتين الاساسيتين في اللغة الكوردية يكاد الباحثون الاكراد يجمعون على تسميتهما (باللهجة الكرمانجية الشمالية) و(اللهجة الكرمانجية الجنوبية) وليس (السورانية). وأما كلمة (كرمانجية) فهي مرادفة لكلمة (الكوردية).

(٤) معمر القذافي/ الكلمة الختامية/ طرابلس ٣٠ آذار ١٩٨٥ (اعلان القيادة القومية للقوات الثورية في الوطن العربي).

(٦) بعضها مترجم الى اللغة العربية. صدرت في دمشق عام ١٩٨٥ ترجمة عربية لملحمة (زمبيل فروش/بائع السلال) الكوردية، ترجمها الدكتور النجاري.

(٧) آثار القلعة تقع في كوردستان ايران.

(٨) استفدنا من كتاب خلاصة تأريخ الكوردستان/روشن بدرخان (اديبة كوردية)/ كتابها «صفحات

من الادب الكوردي»، بيروت ١٩٥٤ ومصادر اخرى.

(٩) لنفس الاسباب لم يترجم حتى الآن سوى عدد محدود من الروايات العالمية الى اللغة الكوردية.. ربما نتاج واحد أو اثنين لكل من شكسبير (مسرحية العاصفة)، غوركي (رواية الام)، شولوخوف (مصير انسان) و(الحقد)، جنگيز ايتماتوف، موليير، يشار كمال (وهو كوردي الاصل يكتب بالتركية)، وعدة كتاب آخرين.

(١٠) يحتاج الشعب الكوردي الى طباعة خاصة، عصرية، ودار واسعة للطبع والنشر والتوزيع ومكتبات كوردية، ان لم يكن ذلك ممكناً في داخل كوردستان، فليحاول المثقفون والاثرياء الكورد التعاون معاً لإنشاء مثل هذه المؤسسات الضرورية في خارج كوردستان حيث تتوفر لهم حرية العمل الثقافي، وردت هذه الدعوات على صفحات العديد من صحف الاحزاب الكوردستانية.

(١١) ازدهرت الاغنية الثورية الكوردية نتيجة تطور الحركة الكوردية في اواخر الخمسينات، ثم في السبعينات، ازدهرت خاصةً باللهجة الكرمانجية الجنوبية في كوردستان العراق. وبعد ١٩٧٥ ولأسباب سياسية أهمها نكسة الحركة الكوردية أثر اتفاقية الجزائر المشؤومة بين العراق وايران (٦ آذار ١٩٧٥) فقد توقف تقدم الاغنية الثورية في العراق، ثم تفجرت في الاجزاء الاخرى، لاسيما في كوردستان تركيا على يد الفنان المبدع (شڤان) الذي احدث ثورة فنية في الاغنية الكوردية ونقلها الى المستوى العالمي فصارت الاغنية الثورية الكوردية علامة بارزة للحركة التحررية الكوردية تعرفها بها بقية حركات التحرر في العالم. وفاز «شڤان» بعدة جوائز ذهبية في المهرجانات العالمية للأغنية الثورية. ولمعت اسماء اخرى، الفنانة الكوردية «گلستان» رفيقة «شڤان» وفنانون آخرون من اكراد تركيا وسوريا. اما «شڤان» فكان ولايزال بوحده ظاهرة فنية فريدة في الاغنية الكوردية. وأما كوردستان العراق فان تأريخ الاغنية الثورية فيها يعود الى الثلاثينات والاربعينات حيث تم تأليف واداء الاناشيد القومية الكوردية المعروفة (أيها الرقيب) و(نوروز) وغيرها. وانطلقت منذ ثورة ١١ ايلول ١٩٦١ اغان ثورية جديدة تحيي الصمود والكفاح والفداء ومجموعة الحان وأغان جديدة، وتألفت عدة فرق فنية.

(١٢) يلماز غوناي/ توفي عام ١٩٨٤ عن «٤٧ سنة». مخرج سينمائي كبير من كوردستان تركيا. اعلن اعتزازه بقوميته الكوردية. اعتبره النقاد السينمائيون من عمالقة السينما في العالم الثالث، بل اعتبروا لقطة وفاة الزوجة في فلمه المعروف (يول/الطريق) من ابرع لقطات السينما المعاصرة. كان قد فاز بالجائزة الاولى في مهرجان (كان) عن هذا الفلم الذي تدور احداثه عن

الحياة الاجتماعية القاسية للشعب الكوردي. وله افلام اخرى، (القطيع) مثلاً، الذي هو الآخر عن شقاء واستغلال الكادحين الكورد من قبل البرجوازية التركية، معظم افلامه عن كوردستان، فقد حول السينما الى اداة نضال. اعتبره ناقد عربي بأنه عبقري السينما (التركية)، لأن اللغة الدارجة في افلامه هي اللغة التركية، فهكذا يظنه كثير من النقاد رغم اعلان الفنان عن هويته القومية ومحتوى افلامه، إلاّ ان معظمهم متفقون على عبقريته وموهبته. عرضت افلامه في معظم بلدان اوروپا وامريكا، ولم نسمع حتى الآن -مع الاسف- عن عرضها في الاقطار العربية. هذا وللفنان مؤلفات ادبية وروايات ونتاجات فنية اخرى. مما يعرف عن حبه لفنه انه كان يوجه اخراج بعض افلامه وهو في السجن.

الجدير بالذكر ان المخرج (شريف غورن) الذي كان مساعداً ومنفذاً لأعمال (يلماز غوناي) قد فاز بالجائزة الاولى (السعفة الذهبية) في مهرجان دمشق السينمائي اواسط تشرين الثاني ١٩٨٥ وذلك عن فلمه (الدواء -القابلة)، تدور احداثه في كوردستان تركيا، عن بؤس وشقاء الفلاحين فيها.

يعتبر (يلماز) رائد السينما الكوردية وأول بارقة عبقرية فيها. بإستثناء ذلك لم تسمح ظروف الاضطهاد القومي والحرمان، والتخلف الاجتماعي من جراء الحرمان، بظهور سينما كوردية في كوردستان. هناك فنانون كورد اشتركوا ويشتركون بنشاط في السينما التركية، والايرانية، والعربية.مثلاً ان اول فلم ايراني باللغة الفارسية اخرجه عام ١٩٣٤ في بومباي فنان كوردي من ايران هو (عبدالحسين سپند)، وكان الفلم باسم (دختر لور/فتاة اللور)، وموضوع الفلم عن منطقة كوردية في ايران.

(١٣) تصدر الجاليات الكوردية في السويد، بريطانيا (فيها الآن مركز ثقافي كوردي ايضاً)، المانيا الاتحادية، امريكا وكندا، وغيرها كتباً كوردية ومجلات كوردية دورية، فقد تشكلت جمعيات ثقافية عديدة، كما تنشط في هذه البلدان جمعيات الشباب والطلبة التابعة لمختلف الاحزاب والمنظمات السياسية الكوردية وتساهم في النشاط الثقافي. إلاّ ان تبعثر هذه النشاطات وتشتتها يضعفها كثيراً. فيدعو المثقفون الواعون الى جمع شمل اوسع الامكانيات الثقافية والفنية لهذه الجاليات في مركز قومي واحد يجتمع حول القضايا الأساسية للأمة الكوردية ولو في جانبها الثقافي بغية مزاولة نشاط ثقافي-اعلامي موحد خدمةً للثقافة والقضية الكوردية وتعريفها بالعالم.

توضيحاً لوضع الجاليات الكوردية في اوروپا الغربية وموقف حكوماتها من الثقافة الكوردية، نذكر أنه

قد عقد في ميلان، ايطاليا، من ٢٧-٢٩ تموز ١٩٨٤ المؤتمر العاشر للجمعية العالمية للدفاع عن اللغات والحضارات المهددة، اعتبر الثقافة الكوردية «مهددة في كوردستان» فاتخذ قراراً خاصاً بالهوية الثقافية للجالية الكوردية في اوروپا جاء فيه:

«بالنظر الى ان سياسة الاضطهاد القومي والمحو الثقافي والاستغلال الاقتصادي التي تمارس ضد الشعب الكوردي في مختلف اجزاء كوردستان، قد ادت الى نمو جالية كوردية في اوروپا الغربية».

«ونظراً الى أن هذه الجالية في ازدياد مستمر (اذ يوجد حالياً ٦٥٠ الف كوردي في اوروپا الغربية بضمنهم (٦٠٠) ألف كوردي من كوردستان تركيا، اغلبهم من العمال المهاجرين مع عوائلهم)، اضافةً الى وجود آلاف الطلبة والفنانين والكتاب...». ثم يذكر القرار توزيع الجاليات الكوردية على دول اوروپا، فيقول:«وبما ان هذه الجالية الكبيرة والتي تبحث في اوروپا عن الوسائل والحريات التي تسمح لها بالحفاظ على ثقافتها القومية، وان يبقوا كورداً، غير معترف بها لسوء الحظ من قبل سلطات الدول المضيفة (ألاّ في حالات نادرة وخجولة) كمجموعة قومية وثقافية خصوصية الطابع، كما هو الحال بالنسبة لبقية الجاليات الاجنبية في اوروپا، اذ انهم مصنفون حسب الهويات التي يحملونها، والصادرة من الدول المتقاسمة لكوردستان» و«باعتبار كون الثقافة الكوردية المهددة في كوردستان تشكل جزءاً مكملاً واصيلاً للتراث الثقافي للبشرية، وبهذا تستحق الاحترام والحماية أسوةً ببقية الحضارات».

«واستناداً الى الاتفاقية الاوروپية المتعلقة بحقوق الانسان والى الاعلان الصادر عن اليونسكو بتأريخ ١٩٧٨/١١/٢٢ حول العراق والتمييز العنصري».

«يدعو المؤتمر جميع الحكومات الاوروپية المهتمة، وبالأخص تلك التي تستضيف لديها جاليات كوردية الى:

أ- أن تعرف بالهوية الثقافية الخاصة بجالياتها الكوردية، وان لايدخلوها ضمن جاليات الدول المتقاسمة لكوردستان.

ب- ان تزودها بالسبل القانونية والوسائل المالية المناسبة للحفاظ على هذه الحضارة وتنميتها.

ج- ان تمهد لها سبل التزود بالدراسة والتعليم باللغة الكوردية، أي للأطفال والبالغين من النساء والرجال».

هذا وعبر القرار عن رضاه التام عن الحكومات التالية:

أ- الحكومة الفرنسية لأنها سمحت وسهلت افتتاح المعهد الكوردي في پاريس في شباط ١٩٨٣ (يصدر المعهد مطبوعات كوردية، ومجلة (هيوا) بالكوردية ومجلة دراسات كوردية).

ب- حكومة المانيا الاتحادية لأنها سمحت وسهلت افتتاح فرع للمعهد الكوردي في مدينة بون عام ١٩٨٣.

ج- الحكومة السويدية لأنها قررت في ١٩٨٤/٥/٢٩ افتتاح فرع كوردي في المدرسة العليا في ستوكهولم، اعتباراً من خريف ١٩٨٤، وذلك لتهيئة معلمين باللغة الكوردية».

وفي الختام رجا المؤتمر السلطات المناسبة في المجلس الاوروپي والسوق الاوروپية المشتركة ان تتخذ كل الاجراءات الاخرى اللازمة من أجل الاعتراف بالهوية الثقافية الخاصة بالجالية الكوردية في اوروپا الغربية، والحفاظ على ثقافتها القومية.

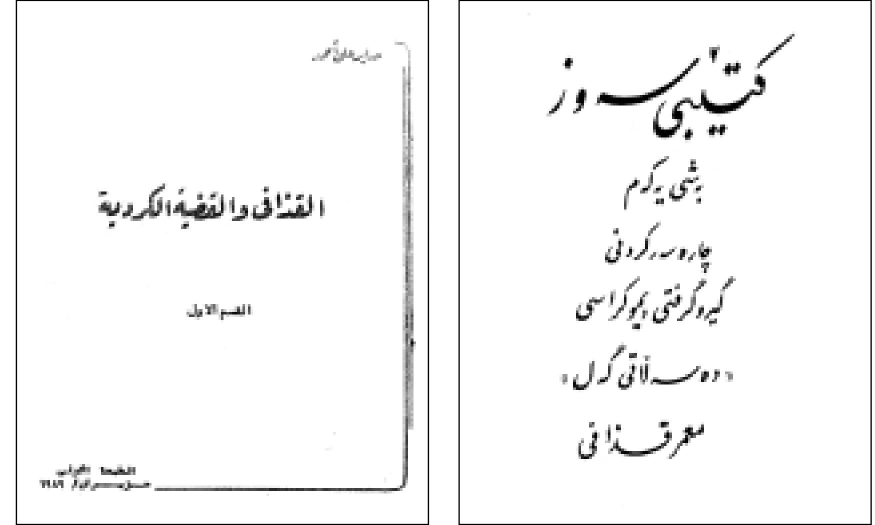
ملاحظة:

لكتابة هذا الموضوع (نظرة على الثقافة الكوردية) استفدنا من صحف واصدارات الاحزاب والمنظمات الكوردية المختلفة.

القسم الأخير

الملاحق

ملحق ١



غلاف الترجمة الكُردية للكتاب الأخضر

ملحق ٢

وخرج الأكراد من المولد بلا حمص!![(١)] _ ٢٠٠٣/١٢/١٧

بقلم: الرئيس معمر القذافي

هكذا يقال في مصر عندما يخسر أحدهم الصفقة.

هكذا خسر الأكراد الصفقة.... وخرجوا من المولد بلا حمص !

ماذا كسب الأكراد من صفقة العراق...لاشيء. إلا معانقة جنود قوات الاحتلال.. والقبلات على الخدود مع الحكام المحتلين الجدد والاتهام بالخيانة العظمى وموالاة الاحتلال.

أما وضع الأكراد فلم يتغير.. بل ازداد سوءاً، على الأقل من الناحية الأدبية، والمظهرية، كذلك.

كنا نتوقع أنه في ساعة من ساعات التاريخ الدرامية.. مثل هذه، أن تكون فرصة تاريخية للأكراد. ينتهزونها ـ كما انتهز اليهود ساعة سقوط برلين.. وهزيمة المحور.. وانتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ـ وذلك بإعلان الدولة الكُردية الأمل التاريخي للأمة الكُردية المضطهدة، والممزقة.. لاشيء..أكراد رعايا فى الدول التي يوجدون فيها..! ماهو الجديد؟ ماهي المكاسب؟ لاشيء.. الكُردي هو الكُردي مواطن من الدرجة الثانية و الثالثة فى كل بلدان الشرق الأدنى.

لايخدعوكم بتولي الأخ هوشيار زيباري وزارة الخارجية في وضع العراق الآن، لقد كان الفريق نورالدين محمود رئيساً لوزراء العراق، وكذلك أحمد بابان، وهما كرديان. كما كان وزراء الأشغال والمواصلات و الداخلية والعدل والمالية، والدفاع أكراداً. وتولى رئاسة أركان الجيش العراقي أكرادٌ مثل الفريق بكر صدقي والفريق حسين فوزي.. والفريق أمين زكي. بل وصلت نسبة الأكراد بين موظفي الدولة العراقية ٢٥٪، و٩٧٪

(١) كلمة منشورة بقلم الرئيس القذافي ينتقد فيها القادة الكُرد ويتألم لتفويتهم الفرصة التأريخية أثناء سقوط نظام صدام حسين في نيسان٢٠٠٣ولايفوتني ذكر ان الرئيس معمر القذافي قال ذلك لقادة كُرد وجهاً لوجه، وذلك بعد زوال النظام المذكور مباشرة.–الهامش من فلك الدين كاكه يي–

في المناطق الكُردية. وقد كان للأكراد في مناطقهم في العراق مجالس قروية.. ومجالس نَواحٍ.. ومجالس قضاء.. ومجالس ألوية.. ومجالس محافظات.

كانت اللغتان الكُردية والعربية رسميتين في بعض المحافظات مثل السليمانية، ولغة التدريس في المراحل التعليمية الابتدائية والمتوسطة هي الكُردية في المناطق الكُردية. والعربية لغة ثانية كان هذا في العراق في الستينيات الماضية.

كان المتوقع أنه في ظل الحدث الخطير في المنطقة أن تظهر تحت دخان هذا الانفجار الهائل الدولة الكُردية لتكون المنقذ والمظلة الواقية للأكراد من الاضطهاد والتنكيل والتقتيل الذي يتعرضون له طيلة تاريخهم المأساوي.

إذا بنا نعود إلى ترديد العبارة المؤلمة.. وهي أن حظ الأكراد هو حظ الحسرات، والفرص التاريخية الضائعة رغم الثورات والتضحيات والانتفاضات.

ماهو الجديد.. الأكراد مواطنون عراقيون وهذا هو الحال الذي كانوا فيه من قبل. إذن ماذا استفاد الأكراد من المشاركة في حفلة المولد التي دمرت العراق بكامله، ثم هل الأكراد هم الذين في العراق؟ إن أكثرهم خارج العراق، وأقلهم في العراق، لماذا يتم تجاهل مصير الأكثرية الكُردية خارج العراق، ويجري التركيز على الأقلية الموجودة في العراق ؟

ياترى من يتاجر بالقضية الكُردية المقدسة ؟ من يشرب دم آلاف آلاف الشهداء الأكراد.. وماذا يقبض البائع والشاري؟!

هذه هي النتيجة بعد الدماء الكُردية الزكية التي أريقت في ثورات وانتفاضات عبيدالله النهري[١]..بدر خان..بوتان...النقشبندى..شهاب الدين..الشيخ سعيد..

(١) هنا يذكر القذافي أسماء الأنتفاضات والثورات الكُردية في كافة أجزاء كُردستان منذ ثورة الشيخ عبيدالله نهري ١٨٨٠ حتى آخر وأطول ثورة كُردية متواصلة قادها مصطفى البارزاني منذ ١٩٦١ حتى ١٩٧٥، وهي الثورة التي أعقبت أنتكاستها عام ١٩٧٥ مقاومة كُردية واسعة بتضحيات كبيرة حتى أنتصار أنتفاضة آذار ١٩٩١ التي جاءت كثمرة لكل الثورات السابقة منذ إنتفاضة البدرخانيين في القرن الثامن عشر الميلادي. ان شرح تأريخ هؤلاء القادة وتضحياتهم يتطلب عشرات الصفحات. وإن دقة الرئيس القذافي في ذكر هؤلاء القادة حسب تسلسل تأريخي صحيح تؤكد غزارة معلوماته وعمق إهتمامه بالشعب الكُردي وتاريخيه وقضيته. _الهامش من المؤلف كاكه يي-.

شكاك... الحفيد.. إحسان نوري...أحمد البرزاني...رضا.. ومصطفى البرزاني.

إذا كنا أمام لحظة تحول تاريخية.. وادعاء بتحرير الشعوب من مضطهديها وقاهريها فليس هناك شعب مضطهد أكثر من الشعب الكُردي في كل مكان.. وليس هناك أمة مقهورة أكثر من الأمة الكُردية، فلماذا الكيل بمكيالين في قضايا مصيرية.. ولماذا لايتم الوقوف كذلك إلى جانب الأمة الكُردية، ويعلن استقلالها ووحدتها.. و تنزع السيوف المسلطة عليها، وتأخذ مكانها كجارة وشقيقة للأمة العربية، والفارسية و التركية ؟!

من خدع الأكراد.. من ساوم بقضيتهم المقدسة.. من باعهم ؟

ملحق ٣

الأكراد في ليبيا

قامت الدولة العثمانية عام ١٨٨٦ بتهجير الآلاف من ابناء قبيلة كردية كبيرة معروفة هي (هماوند) الى ليبيا واسكنتهم في (بنغازي)، كما يذكر افراد هذه القبيلة ابا عن جد، ويسردون القصص والوقائع عن ذلك: كيف عاشوا وماذا عملوا هناك؟ هذه القبيلة كانت حتى اواخر القرن الثامن عشر الميلادي تنتقل وتترحل في المناطق الكُردية شرقا وغربا، من ألاطراف كرماشان (كرمانشاه) حتى اطراف كركوك، حيث يسكنون الآن في قضاء جمجمال المتاخم لمدينة كركوك. اشترك ابناء القبيلة في دعم مختلف انتفاضات وادارات إمارة بابان الكُردية ضد تسلط الدولة العثمانية في القرنين السابع عشر والثامن عشر، لذلك اصطدمت بقوات الدولة العثمانية التي كانت تواجه الفشل في قمع القبيلة، حتى ان قائد احدى الحملات العسكرية العثمانية على الهمونديين، وهو أدهم باشا قد وقع في اسرهم عام ١٨٧٨ بعد ان تكبدت قواته خسائر كبيرة. ولما كانت القبيلة تتنقل في مناطق تعتبرها الدولتان العثمانية والايرانية ضمن حدودهما فانهما (اي الدولتين) اتفقتا مرارا للعمل المشترك ضد هذه الشريحة الكُردية. وفي عام ١٨٨٠، بحجة اعلان العفو عنهم القت السلطات العثمانية التركية القبض على الاف الرجال شبابا وشيوخا من الهمونديين وقامت بابعادهم ونفي معظمهم الى ليبيا، وبنغازي بالذات، كما تذكر المراجع، ونفي البعض الاخر الى (ادنه) داخل تركيا حاليا. وقيل ايضا ان الكثير من الرجال كانوا يصطحبون معهم النساء والاطفال. والمعروف ان مئات الرجال وخاصة الشباب من هؤلاء الكورد المبعدين الى (بنغازي) قد عادوا سرا، مشيا على الاقدام، الى مناطقهم الاصلية في (قضاء جمجمال حاليا).(١)

(١) يكتب سرتيب محمد أمين، في كتابه بالكُردية، بعنوان (الهموند في عهد الدولة العثمانية)، الصادر من قبل وزارة الثقافة في كُردستان عام ٢٠٠٨، عن كيفية عودة المهجرين المبعدين الهمونديين من ليبيا الى كُردستان العراق ويقول أنهم أبعدوا حوالي ٣٥٠٠ كم من موطنهم في جمجمال قرب كركوك الى بنغازي في ليبيا، وان معظم رجالهم، عادوا سرّاً عبر هذه المسافة الطويلة، وكانوا يتبعون تعاليم خبير بعلم النجوم من بينهم، كان يهتدي بالنجوم لتشخيص الإتجاه نحو الوطن عبر الصحاري والأنهار وفي الليالي الحالكة.

ويذكر ايضاً، أنهم كانوا يختفون نهاراً ويمشون ليلاً، وقد أبتكروا حيلاً وأساليب عديدة في التمويه والتنكر حتى لايعرفهم العثمانيون، ومن ضمن هذه الأساليب أنهم أستبدلوا ملابسهم الكُردية بالأزياء العربية، وباعوا كل ما لديهم من دواب ومواشي وأشتروا بها أحصنة عربية، وتحملوا صعوبات شتى في الطريق، وأستغرقت عودتهم عدة أشهر، حتى وصلوا إلى بازيان في منطقة جمجمال/ كركوك حيث موطنهم الأصلي.

ويقال انهم عادوا على هدي نجوم السماء حيث كان بينهم من كان يتقن معرفة ذلك، وإلاّ كان يتعذر عليهم الاهتداء الى موطنهم عبر عدة بلدان وصحاري ومدن في وقت لاتوجد سيارات او قطارات او طائرات... وبعد فترة عاد مئات الرجال سرا من (ادنة)، ايضا فاجتمعوا واعادوا تنظيم حولي خمسمئة مسلح من افراد القبيلة، وأعادوا خوض المقاومة ضد سلطات واجهزة الدولة العثمانية. ولايسع المجال لشرح أساليب الحرب التي كانوا يخوضونها واسرار هذا الاصرار على محاربة العثمانيين عامة والايرانيين احيانا فان جهادهم حلقة في المقاومة الكُردية ضد الاستبداد. لازال الهمونديون في كردستان العراق يتحدثون عن نفي ذويهم واقربائهم الى ليبيا آنذاك، واجروا إتصالات مع أحفادهم، وتعيش عائلات عديدة في طرابلس الليبية مازالت تحمل لقب الكُردي، بينهم استاذ جامعي، كما سمعنا هناك.(٢)

والشي ء بالشي ء يذكر، كما يقال، فان الجماهيرية الليبية هي الدولة العربية الوحيدة التي اصدرت منذ الثمانينات، كتبا لطلاب المدارس، تدرس موادها، تتضمن شرحا لتأريخ الكورد وجغرافيتهم و ثقافتهم. تحية مودة واعتزاز الى الشعب الليبي الشقيق.

(٢) مازال هناك الآن حي في بنغازي باسم (حي الأكراد)، وقد قدم سكان الحي مؤخراً رسالة إلى السيد سيف الاسلام القذافي يطالبون بدعمهم وإنقاذهم وتحسين حياتهم. وقد نشر هذا الخبر في موقع القذافي على الانترنيت. من جانب آخر يذكر الباحثون أن بعض الهمونديين أستقروا في لبنان، ويتحدثون عن إن بعض رؤساء الهمونديين أقاموا في (طاريا والهرمل) في بعلبك في لبنان، حسبما يكتب أحمد تاج الدين في كتابه الصادر في القاهرة عام ٢٠٠٢ بعنوان (الأكراد تاريخ شعب وقضية وطن.



جوامير آغا الهموندي ومقاتلوه – وكان جوامير آغا قد اغتيل غدراً من قبل قائد عسكري ايراني بإشارة من الشاه الايراني آنذاك.



سكان حي الأكراد في مدينة بنغازي – ليبيا

ملحق ٤

مؤتمر عربي في رحاب كُردي

بمناسبة إنعقاد مؤتمر اتحاد البرلمانيين العرب
في أربيل يوم ٢٠٠٨/٣/١١

أربيل: محطة لمؤتمر عربي رسمي مهم

أنعقد في العاصمة الاقليمية أربيل إجتماع عربي رسمي على هذا المستوى الكبير لرؤوساء وممثلي البرلمانيين في الاقطار العربية.

شهدت بغداد خلال العقود الماضية مؤتمرات عديدة، رسمية وشعبية، لممثلي البلدان العربية.

أما اقليم كردستان فسيحظى، للمرة الاولى في تأريخه، بإنعقاد هذا المؤتمر العربي، وسيتسنى للضيوف العرب الكرام الاطلاع عن كثب على حياة وثقافة الشعب الكُردي والثقافات السريانية والتركمانية والتكوينات الاخرى.

فأربيل المعروفة بقلعتها التأريخية التي يعود تأريخها الى ماقبل سبعة آلاف عام ومنارتها ومعالمها الجميلة، ومصايف كردستان وربوعها، تستعد لإستقبال الوفود العربية والمئات من الاعلاميين الذين سيأتون وغيرهم من الضيوف من بغداد.

أنتهزت الاوساط البرلمانية والثقافية والسياسية الكُردستانية هذه المناسبة لتعزيز العلاقات التضامنية العربية–الكُردية، والبحث في سبل فعالة للحوار العربي الكُردي في المستقبل.

أما عن العلاقات بين الشعبين العربي والكُردي فقد ظلت، طوال القرون الماضية، مستقرة، الى حد كبير، على أساس التعايش والتفاهم والتواصل الثقافي والاجتماعي، بإستثناء فترات معينة كما حصل منذ تأسيس الدولة العراقية خاصة في عهد النظام السابق. فالكُرد أفادوا واغنوا الثقافة العربية عن طريق إغناء الثقافة الاسلامية، واستفادوا منها ايضا.

ففي كتاب بعنوان (تأريخ مشاهير الكُرد: العلماء والمتصوفة، الأدباء، الشعراء) تأليف

العلامة الكُردي بابامردوخ روحاني من اهالي سنندج بكردستان ايران، باللغة الفارسية، طبع طهران عام ١٣٦٤ هجرى شمسي، نقرأ فهرستا طويلا بأسماء وشروح عن حياة حوالي (٦٧٠)شخصية دينية وثقافية كردية حتى نهاية القرن (١٣) الهجري، معظمهم عملوا في الشرح والتأليف باللغة العربية، لأن ذلك كان متاحا اكثر من غيره طوال ١٤ قرنا، وقد ألفوا كتبا ودراسات في مختلف شؤون الدين الإسلامي والتاريخ والنحو والقواعد واللغة العربية والبحث الادبي.

أما أول نص كردي معترف به في الاوساط الاكاديمية فهو شعر باباطاهر الهمداني، حوالى (١٠٠٠) عام قبل الآن، وضع شعره التصوفي الوجداني الجميل باللهجة اللورية (الفيلية) الممزوجة باللهجة الهورامية القديمة، ويعتبر شاعرا متمردا على عصره وأقرب إلى عمر الخيام، بينما هناك من يعتقد (وأنا من بينهم) ان تأريخ اول نص كردي عثر عليه قبل سنوات يعود إلى ماقبل ١٣٠٠ عام، أي بعد مجئ الاسلام بفترة قصيره، ظهر في لغة شعرية وجدانية دينية تصوفية من قبل الشعراء الكُرد في منطقة لرستان (عيلام/او ايلام حاليا).

وتضم فهارس البحوث عن الشعر الكُردي منذ باباطاهر الهمداني حوالي ٣١٥ شاعرا نظموا الشعر باللهجات الكُردية المختلفة: اللرية، الفيلية، الهورامانية، الكرمانجية الشمالية (البهدينانية) والسورانية.

فاللغة الكُردية غنية، والشعر الكلاسيكي الكُردي (المستمر حتى اواسط القرن العشرين) شعر معبر جميل يرقى إلى مصاف الشعر الكلاسيكي العربي والفارسي والتركي، فقد اغتنى العلماء والفقهاء والشعراء الكُرد بالثقافة الاسلامية وثقافات الشعوب المجاورة، اضافة إلى التراث الشفهي والمكتوب الكُردي، وهو تراث كبير وواسع مازال الباحثون والمثقفون الكُرد يحاولون جمعه وتنظيمه دون أن ينتهوا من ذلك رغم انهم بدأوا به منذ ٧٠-٨٠ عاما، وأما سبب عجزهم عن جمع كل التراث فيعود اولا إلى سعة وغزارة هذا التراث ثم حرمانهم من حرية التعبير والبحث والتأليف والامكانيات المادية في اكثر من نصف كردستان الكبرى (باستثناء العراق، وايران إلى حد ما).

أما الكُرد الذين وضعوا مؤلفاتهم وابداعاتهم باللغة العربية فهم بالمئات كما قلنا،

بينهم من تذكرهم كتب التاريخ، وكبار الكتاب يعرفون من ألقابهم وأنسابهم قبل كل شئ مثل: الشهرزوري، الدينوري، الهكاري، الاربيلي، السنجاري، ولقب (الكُردي) يتكرر عشرات المرات يرد ذكره حتى في مصر وسوريا والاردن وليبيا فضلا عن العراق.

فمن خلال هذا الموجز أريد القول أن التواصل والتبادل الثقافي الكُردي العربي واسع ومستمر منذ مجئ الاسلام.

الصحابي الكُردي (جابان = جاوان):

يذكر بابامردوخ روحاني (في المصدر اعلاه)، كما يرد ذلك في مصادر كردية اخرى بأن الكُرد التقطوا منذ البداية اشارات ظهورا الاسلام والرسول الكريم محمد (ص)، واتصلوا به، واول صحابي كردي للرسول هو المعروف ب(جابان) او (جاوان)، وبالكُردية كاوان/ بالكاف الفارسية/وتعنى لفظيا (الراعي أو راعي البقر)، بينما تبين فيما بعد أنه كان ينتمي إلى قبيلة كردية بنفس الأسم، مازالت موجودة وضع عنها العلامة العراقي مصطفى جواد كتابا نقله الى الكُردية الشاعر والعلامة الكُردي عبدالرحمن شرفكندي، وهو من أعاظم الشعراء والكتاب، وهو اول من ترجم كتاب (قانون الطب) للفيلسوف ابن سينا من العربية الى الفارسية بداية ثمانينات القرن العشرين (حاز جائزة كتاب العام في ايران لقاء هذه الترجمة).

تذكر المصادر أن الصحابي الجليل جابان (جاوان) رضي الله عنه كان راويا لأحاديث النبي (ص)، ويذكر حافظ بن حجر عسقلاني في كتاب (الإصابة في أسماء الصحابة) وكذلك الالوسي البغدادي المفسر المعروف في (التفسير روح المعاني) ذكر بأن بعض الاكراد كان لهم شرف مصاحبة النبى (ص)، بينهم (جابان والد ميمون)، واورد نص حديث رواه ولده ميمون عن والده الذي سمعه مباشرة من النبى (ص) ويشير كتاب (تفسير روح المعاني) أن ميمون كان يلقب بـ"أبو نصير" وأنه كانا راويا للأحاديث عن والده عن النبي الكريم. يلاحظ أن كنية "أبو نصير" تدل أيضا على أن الصحابي (جابان) كان يعرف اسم (الانصار)، وأنه ربما نقل هذا اللقب "نصير" من المدينة المنورة إلى أهله في كردستان الحالية. وإلاّ كان اسم نصير غير معروف بين الاكراد قبل ذلك. يذكر ان الصحابة من غير العرب كانوا قليلين جدا منهم:

بلال الحبشي من الحبشة، وسلمان الفارسي من بلاد فارس (ايران)، وجابان من بلاد الجبال (كردستان الحالية).

الديانات التوحيدية في كردستان قبل الاسلام:

سنبحث الآن في الجذور الثقافية التي جعلت الكُرد يسارعون الى زيارة المدينة في ايامها الاولى بعد الاسلام.

رغم ان لفظ (كردستان) دخل التراث العربي الاسلامي بعد عدة قرون من مجئ الاسلام، فإن البلاد الحالية التي نسميها كردستان (اي: موطن الكُرد) كانت موطنا لهم لقرون طويلة قبل ذلك، ربما ماقبل ٢٥٠٠-٣٠٠٠عام، ويعيده بعضهم الى تأريخ أقدم.

ان سكان هذه البلاد (بلاد الجبال، كردستان) كانوا موحدين، تنتشر بينهم (٤)ديانات توحيدية معروفة، وهي الديانات التي تقر بوجود خالق واحد للكون والبشر هوالله سبحانه تعالى. بمعنى ان فكرة وعقيدة التوحيد كانت معروفة لدى سكان كردستان التي كانت تضم الديانات التوحيدية: الصابئة المندائية، الزردشتية، اليهودية والمسيحية.

كان المنتمون اليها يعيشون في وئام واستقرار، وكانوا منتشرين في مناطق مختلفة من كردستان، فاليهود مثلا جاؤوا بمرحلتين على الاقل: المرحلة الاولى منذ ظهور هذه الديانة، والمرحلة الثانية هي أسر وتهجير اليهود من قبل البابليين، من فلسطين الى بابل، حيث وصلت بعض القبائل والعوائل اليهودية الى كركوك والموصل وشهرزور وعقرة وغيرها. وكان اليهود قد بقوا في أسر بابل حتى مجيء الامبراطور الايراني، الزردشتي العقيدة، كوروش، فاحتل بابل وحرر جميع سكانها وأعاد الاسرى اليهود إلى موطنهم في فلسطين الحالية. أما الصابئة المندائيون فقد أنتقلوا مرارا من مواطنهم جنوب العراق حاليا نحو كردستان للاحتماء بها هربا من اضطهاد الاخرين لهم. أما المسيحية فقد أنتقلت الى كردستان منذ أيامها الاولى. ويذكر الانجيل أن ثلاثة رهبان مجوس (زردشتيين) حضروا الى بيت لحم فور ولادة السيد المسيح (ع) وقدموا له ثلاث هدايا (ذهب، وبخور، والمر) وبشروا السيدة مريم العذراء بأن طفلها مبعوث إلهي سيصير نبيا. ويعتقد بأن الرهبان الزردشتيين الثلاثة هم اكراد ذهبوا الى بيت لحم من كردستان الحالية، وكانوا منذ سنوات طويلة يتنبأون بولادة نبي جديد هو المسيح (ع).

وأما الديانة الزردشتية فهي معروفة بتراثها الغني، تمتد اليها جذور اللغة والثقافة الكُردية، وتشير أحدث الدراسات بأن كتاب زردشت المسمى (أفيستا) جاء بلغة كردية قديمة معروفة هي لغة (ميديا). ويقارنون بين نصوصها الاولية واللهجات الكُردية المتداولة حاليا فيجدونها متقاربة متشابهة الى حد كبير.

يذكر ان الزردشتية تؤمن بإله واحد، خالق واحد للكون، هو الله، يسمى بـ"يزدان" حسب اللغة الزردشتية-الكُردية الدارجة.

وقد ورد في القرآن الكريم نص بإحترام اتباع هذه الديانات، وتنص الآية على ذكر الديانات الاربع باليهود، والنصارى، والمجوس، والصابئة.

وأما كلمة (المجوس) فهي تحوير بالعربية لكلمة (مكوش/مغوش/مغ) وهي دلالة على أمرين: اولهما أن (مكوش/ مغوش) هو أسم عشيرة النبي زردشت الذي ولد في شرق بحيرة ارومية في كردستان ايران حاليا حوالي ٥٨٠ قبل الميلاد حسب اكثر الدراسات. والأمر الثاني هو ان (مغوش/مغ) هو اسم قديم للراهب في هذه المنطقة، ويعني ما يطلق اليوم على آية الله، او الشيخ والسيد، أو البطريارك أو كبير الرهبان.

وقد أسيء فهم كلمة (المجوس) في التراث العربي، السياسي والأدبي، وصارت تطلق على كل ايراني او غير مسلم والخطأ الشائع هو أنه قد يعنون بها (الكافر)، في حين انها تعنى (الزردشتي) المؤمن بكتاب (أفستا) الذي أوصى احد الخلفاء الراشدين بمعاملة اتباعه معاملة ودية كأهل الكتاب. أما في الواقع الراهن فلم يبق في ايران سوى حوالي (٥٠) ألف زردشتي متمسكين بطقوس ومراسم هذه الديانة، واكبر عدد منهم يعيشون في الهند (حوالي ٢٥٠ ألف نسمة).

يذكر ان الجمهورية الاسلامية الايرانية تعترف وتعتبر الزردشتية ديانة توحيدية رسمية، وخصصت لهم مقعدا خاصا في مجلس الشورى الاسلامي (البرلمان الايراني) ينتخبه الزردشتيون فيما بينهم بأنفسهم وخصصت لطائفة الأرمن مقعدين والآشوريين مقعدا واحد، كذلك لليهود مقعدا، ينتخبهم أتباعهم بأنفسهم دون تدخل من الناخبين المسلمين.

ما معناه ان فكرة وعقيدة التوحيد والايمان بخالق واحد كانت معروفة في كردستان قبل مجئ الاسلام، لذلك كان طبيعيا أن يسعى الكُرد في وقت مبكرا جدا إلى السفر

إلى المدينة المنورة للّقاء بالرسول (ص) والانضمام إليه. كذلك كان سلمان الفارسي زردشتيا قبل اعتناقه الاسلام، ونقل الى المدينة الكثير عن هذه الثقافة وعن الحضارة في الشرق، ومنها فكرة حفر الخندق أثناء هجوم كفارقريش.

ماذا يفيد التذكير بالتاريخ؟

التذكير بحوادث التاريخ والعلاقات القديمة مهما كانت عميقة ومتينة قد لايفيد في حل أي من المشكلات الراهنة، ألاّ إذا كانت تفيد العلاقات وجدانيا وعاطفيا، ولايمكن وضع السياسة والعلاقات على اساس علاقات قديمة، وإلا تغيّر وجه التاريخ (سنعود الى ذلك لاحقا). وسأتطرق على وجه السرعة إلى العلاقات التركية-الكُردية. فلو كانت تركيا تضع سياستها ازاء الشعب الكُردي على أساس تجارب الماضي لكانت عليها أن تشمله بكامل الرعاية والدعم والحقوق ولما وصلت الامور الى الحد المتردي الحالي. ففي القرن الخامس عشر الميلادي وقف الكُرد إلى جانب الاتراك في معركة فاصلة مع الامبراطورية الايرانية الصفوية، وانتهت المعركة لصالح الاتراك بسبب موقف الكُرد، اذ لولاه لخسرت الدولة العثمانية الفتية هذه الحرب ولتغير وجه الشرق الاوسط. إلاّ ان الاتراك "كافأوا" الكُرد بالتنكيل والترحيل والابادة بغية اسقاط الامارات الكُردية التي كانت موجودة (في تركيا حاليا) حتى ماقبل تأسيس الدولة العثمانية. ومنذ حوالي خمسة-ستة قرون مازال الشعب الكُردي يتعذب ويعاني مرارة شديدة على ايدي الادارات و الحكومات التركية... حتى اليوم حيث تشن هجمات عسكرية على اقليم كردستان أيضا، فضلا عن الضغط الشديد على الكُرد داخل تركيا.

قلنا في نهاية الحلقة السابقة من المقال أن التذكير بالماضي قد يكون مثمرا من الناحية العاطفية والأخلاقية، إلا أنه لايعالج اية مشكلة سياسية راهنة ولايرمم العلاقات التي تكون قد تهدمت عبر السنين.

وإلاّ كان ينبغي للأمة العربية، حكومات وشعوبا، أن تحيط أبناء الأمة الكُردية بكل ما يمكن من الرعاية والتعاون والدعم.

صلاح الدين الأيوبي:

فالدولة الأيوبية العظيمة (التي يحلو للبعض تسميتها بالامبراطورية الأيوبية)، اسستها وتقدمت بها اسرة كردية عريقة بجهود جيش كبير معظم قادته وجنوده وكوادره الادارية وعلمائه وقضاته من أكراد دياربكر (امد) وسنجار والموصل وأربيل والعمادية والجزيرة وبوتان وغيرها من المناطق والاقاليم الكُردية المعروفة عبر التاريخ.

ولاحاجة الى اعادة ذكر ما قدمه صلاح الدين الايوبي واخوته وأهله وقواته بمساندة كافة المسلمين في الشرق الاوسط من خدمة جليلة بالدفاع عن الشعوب المسلمة العربية والكُردية والتركية وحتى عن المسيحيين المحليين في القدس ومدن فلسطين ازاء هجمات قوات الدول المسحية الاوروبية (التي عرفت بالحملات الصليبية) التي كانت تريد إحتلال الشرق الاسلامي خاصة بيت المقدس، قبل حوالي ٨٠٠ عام.

يكفي ان صلاح الدين الأيوبي محرر بيت المقدس هو-بعد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رض)- ثاني شخصية مسلمة، يكتب اسمه بالذهب داخل سقف قبة الصخرة باعتباره (اي صلاح الدين) قد حرر القدس وأعاد بناءها وصانها.

وكان صلاح الدين والقادة والكبار من اخوته وجيشه قد دافع مرارا عن مصر وبلاد الشام وحلب ومنع احتلالها من قبل الصليبيين. وعرف عهده خاصة في مصر ببناء المدارس والتكايا والقلاع والمستشفيات (التي عرفت بالبيمارستانات/ وهي لفظة كردية فارسية).

وعرفت التكايا بالخانكات (وهي لفظة كردية مأخوذه من خانقاه) وغير ذلك.

وبعد حوالي ٨٠٠عام تأتي مجلات امريكية وبريطانية مرموقة عام ٢٠٠٠م لتضع اسم صلاح الدين في مقدمة عظماء التاريخ في السياسة والتسامح والعبقرية العسكرية خلال الالفية الثانية (١٠٠٠م-٢٠٠٠م)، رغم ان صلاح الدين قاوم وهزم، بالاساس، جيوش الدول المسيحيية في أوروبا. ما معناه أن خصوم صلاح الدين اعترفوا بعبقريته ونبوغه قبل شعوب الشرق وحكوماته. فالكتاب والباحثون الاوروبيون منذ معارك الصليبيين قبل ثمانمئة عام وهم يكتبون عن شجاعة وفروسية ونبل شخصية صلاح الدين وروح التسامح والتواضع فيه، اكثر بكثير جدا مما كتبه مؤرخو الشرق وحتى الكورد انفسهم مقصرون تماما عن هذا.

صلاح الدين المسيحي!

صلاح الدين كان مسلما متواضعا زاهدا وعالما كبيرا وقاضيا، فضلا عن ادارته للدولة والعمليات الحربية، وكان يميل الى التصوف والعرفان لذلك بنى التكايا لهم في مصر وغيرها.

إلا ان المسيحيين تصوروا له شخصية مسيحية. فيكتب المؤرخ (ب.هـ. نيوباي) في كتابه (صلاح الدين وعصره)، ترجمة ممدوح عدوان الى العربية صادر عن دار الجندى، دمشق، سوريا عام ١٩٩٣، أن قادة وجنود الجيوش المسيحية الاوروبية حاروا ولم يجدوا التفسير للشخصية الاستثنائية لصلاح الدين سوى "كونه مسيحيا". وكانوا يعرفون بأنه مسلم لذلك وصفوا أخلاقه وصفاته بأنها "مسيحية"، اي ان صلاح الدين استفاد من المسيحية. بل انهم ذهبوا إلى أنه ربما ولد من والدة مسيحية. وهنا اختلف الفرنسيون والانكليز. فالفرنسيون قالوا انه مسيحي وأمه فرنسية. بينما الانكليز قالوا ان أمه انكليزية (انظر: ص١٣ من المصدر المذكور).

وأخيرا أعطوا لصلاح الدين (فيما بينهم طبعا) لقب "المسيحي الفخري"–ص١٤ من نفس المصدر.

بمعنى ان المسيحيين تمنوا ان يكون مثل هذا الرجل العبقري الفاضل والفارس الشجاع مسيحيا!

أيتام العالم الاسلامي:

بعد ثمانمئة عام من ملاحم صلاح الدين وجد أحفاده أنفسهم في حالة رثة مزرية بأيدي حكومات حكمت باسم العرب والعروبة والاسلام والخلافة الاسلامية واذاقت الاكراد في العراق المرارة والويلات، ماجعل كاتبا مصريا يشفق عليهم في تسعينات القرن العشرين الميلادي فيسميهم بـ"أيتام العالم الاسلامي". وقد ذكر الكاتب بانصاف ما قدمه الاكراد للحضارة العربية والاسلامية وحضارات المنطقة وثقافاتها، وعبر عن أساه وألمه بسبب مايعانونه اليوم من قسوة بأيدي حكومات المنطقة وهي مسلمة، من بلدان اسلامية.

واكتفى بوصف القسوة والمعاناة دون ان استفيض في تفاصيل الابادة الجماعية في

حملات الانفال والقصف الكيمياوي والاساليب القاسية الاخرى.

اما "الأيتام" فأولى بالرعاية والرفق والشفقة على الأقل، إلا ان الكُرد محرومون حتى الان من الاخلاقيات الاسلامية في رعاية الأيتام!

فلو كان التذكير بالماضي مفيدا لكان على الشعوب الاسلامية وخاصة العربية مكافأة الشعب الكُردي على ما قدمه اولا، ثم تعويضه عما عاناه. إلا اننا قلما سمعنا من البعض، حتى كلمة ادانة للكثير من جرائم الابادة الجماعية والجرائم بحق الانسانية، التي ارتكبت بحقنا.

نبرة عتاب واحساس بالمرارة:

ارجو ان يتفهم أبناء الأمة العربية، والأمة الاسلامية عامة، مدى ما يشعربه الكُرد من غبن واهمال ومرارة. لا اود الاستطراد في ذلك.إلاّ أن الوقت أمامنا مايزال طويلا، ومازالت فرص كبيرة تنتظرنا لتعويض مافات، وإلتئام الجروح، وترميم ماتهدم من علاقات، وبناء علاقات انسانية وتعاون أفضل. فأنا من المعتقدين حتى بإمكانية إقامة كونفدرالية (اتحادية واسعة كبيرة) لدول شعوب المنطقة على اساس الديمقراطية واحترام التعددية الثقافية واللغوية والدينية والمذهبية ووضع برنامج علمي للتكامل الاقتصادي والتقدم التكنلوجي والعلمي، وبالطبع بعد ان ننجح في التخلص من رواسب العهود الاستبدادية ونقيم سلاما شاملا مستقرا.

فليسامحني القارئ العزيز على نبرة العتاب الصارخة التي عبرت عنها قبل قليل، فانني–رغم كل ماحصل– معتقد بأننا قادرون على إعادة ترتيب أوضاع شعوبنا وعلاقاتها نحو الأحسن والاكثر جدوى، لما نملك جميعا من إمكانيات عقلية فكرية وخبرات، وثروات مادية هائلة. انا لست يائسا من المستقبل. بل اتطلع اليه بثقة وأمل.

لماذا يندفع الكُرد؟!

لم أفهم حتى الان أسرار هذا الاندفاع الكُردي والمبادرة للدفاع عن الاخرين أيضا، دون ان يدعوهم أحد؟ هل هو تراث صلاح الدين الايوبي؟ ام ان صلاح الدين الايوبي نفسه استقاه من أسلافه؟

فمن هم؟ ولماذا؟

لنعد الى أوائل القرن العشرين الميلادي. فالكُرد في تركيا ساندوا مصطفى كمال اتاتورك في اقامة دولته التركية القومية الفتية. فماذا كان جزاء الكُرد؟! انظروا احوالهم منذ عام ١٩٢٥ حتى الأن.

والكُرد في العراق أنتفضوا وتصدوا للإستعمار البريطاني في السليمانية وزاخو والعمادية وغيرها وذلك قبل اندلاع ثورة العشرين لبقية العراقيين جنوب العراق. وشارك الكُرد بفعالية وتضحيات كبيرة في كافة انتفاضات الشعب العراقي ضد العهد الملكي البريطاني وساندوا ثورة وجمهورية ١٤ تموز١٩٥٨، ودافعوا عن وحدة العراق ثم ساهموا في جميع أشكال المعارضة ضد الأنظمة الاستبدادية وساندوا رجال المعارضة العراقية وشاركوهم في الجبال والمدن والمنافي... وأما ماحصلوا عليه بعد تضحيات اسطورية فهو ضئيل نسبيا وهو- مع الأسف- ليس مكسبا ثابتا بل مهدد باسم الدستور أحيانا، علما ان هذا الدستور هو أهم مكسب للكورد في العراق منذ تكوين الدولة العراقية الحديثة.

وفي سوريا، بعد الاحتلال الفرنسي عام ١٩١٨ كان الشباب في حي الاكراد في دمشق هم اول من تصدى لقوات الاستعمار الفرنسي في قلب المدينة وعائلة (هنانو) الكُردية معروفة ببسالتها في هذه المقاومة. وأما في الجزيرة والقامشلي شمال غربي سوريا فإن الكُرد هم أول من انتفض ولأول مرة بعد الاحتلال رفعوا في الجزيرة الراية الوطنية السورية تحديا للفرنسيين فما هو ثوابهم؟!

وفي ايران، فحدث ولاحرج... فقد كان الكُرد دوما في التشكيلات القيادية الامامية للاحزاب والقوى المعارضة للأستبداد فيها. والذي عاش في المعتقلات السياسية في عهد الشاه أطول فترة هم الكورد, فماذا حصلوا؟!(١)

فلا تستغربوا اذا سمعتم بعد الآن أصوات مغايرة من بين الأجيال الكُردية الجديدة، تفكر باستقلالية وحرية وطموح اكبر.

مهما كان، "فالأيتام" كان يجب التعامل معهم، على الاقل، حسب مقاييس واخلاقيات المجتمع الاسلامي نحو أيتامه. شكرا للكاتب المصري الذي اطلق علينا هذا الوصف (اظن أنه الاستاذ فهمي هويدى، إن لم تخني الذاكرة)...

فهو على الاقل قد وضع لنا "اطارا" في العلاقات والمواقع داخل هذا المجتمع في كافة

بلدانه. فماذا كنا نعمل لو حسبنا بقية المسلمين شريحة زائدة غير مرغوب فيها في مجتمعاتهم، وطردونا من بينهم ولفظونا لفظ النواة؟!!

الخير والبركة في الثقافة:

فاذا كان الكُرد محرومين مهمشين في ادارة بلدهم وادارة الامور للبلدان التي يعيشون فيها، وقوبلوا بنكران الجميل والعقاب بدل الثواب على ما قدموا لحضارات وثقافات العرب والفرس والترك وغيرهم واذا ماكان الاخرون يحاولون دوما اقصاءهم وإنكار وجودهم ودورهم بل وإمحاءهم، حسب تعبير الكُرد في تركيا، فما الذي ساعدهم على البقاء والاستمرار طوال هذه القرون العجاف منذ اكثر من الفي عام؟ ماهي المقومات السرية المجهولة لوجودهم رغم حرمانهم من اي كيان سياسي؟ وأي إعتراف بهم؟

هذه المقومات واضحة، أثبتت فعاليتها حتى الان، وفتحت افاقا واسعة للمستقبل، إلاّ أن الاخرين يجهلونها او يتجاهلونها، مع أنهم عمليا طالما حاربوها وحاولوا حرمان الكُرد منها، من حيث ادركوا ذلك او لم يدركوا.

هذه المقومات، بكلمة واحدة، هي الثقافة، سواء كانت دينية او لغوية او ادبية او علمية. فالكورد حافظوا على وجودهم لغتهم وتراثهم وتقاليدهم وأعيادهم (نه وروز) وفولكلورهم الغني.

اذ لكل شعب خصائصه الروحية وسماته الثقافية وتقاليده، تشكّلت عبر تجربة الحياة ومقاومة الظروف الصعبة فيها.

وحيث تنعدم الوسائل الاخرى من دولة وجيش وادارة واقتصاد ومستقبل فإن الثقافة ثروة روحية فكرية تعمل بعيدا عن رقابة الاخرين ورغباتهم وارادتهم. فالثقافة هي الوجدان الداخلي اللصيق بذات الانسان لايمكن انتزاعه منه، بل حتى الموت قد يقضي على بعض الافراد او مجموعة كبيرة منهم دفعة واحدة إلاّ ان الافراد الباقين مهما كانوا قليلي العدد يكفيهم أنهم يحملون نفس العقلية والثروة الثقافية التي هي أشبه "بالجينات" التي تنتقل بالوراثة.

هذه الحقيقة البسيطة كان يجهلها حكام هذه البلدان طوال الوقت، ولازالوا يجهلونها.

وقد ورث الكُرد ثقافة متميزة بهم، كما هو شأن خصوصية أي شعب آخر. ومن سمات الثقافة الكُردية، منذ ماقبل الميلاد بعدة قرون، أن الفرد الكُردي يحب العلم والمعرفة حيثما توفر له ذلك حتى لو كان بلغة اخرى غير لغته القومية، ويحاول ان يبدع ويتقدم خاصة على المستوى الفردي. وهو ينزع نحو فهم الحكمة والتأمل. لذلك كثرت في المجتمع الكُردى فرق وجماعات وطرق التصوف والعرفان والتكايا الخاصة بذلك.

ولايزال البعض يتعبدون، على الطريقة الاسلامية، لكن بأساليب وأشكال قديمة جدا من تأمل وخلوة واستغراق في التفكير، أشبه بما كان عليه رهبان الزردشتية قبل اكثر من ٢٥٠٠عام.

بعبارة موجزة فإن الثقافة الكُردية نابعة من ذلك التراث الزردشتي القديم، الذي يحث على طلب الحكمة والعلم وتعلم أوسع مايمكن وتأمل الحياة بعقلية حرة واسعة. قلما انتبه الكُرد انفسهم إلى سر هذه العقلية التي تميّزهم عن غيرهم، لايشابهها سوى عقلية بعض النخبة الهندية والايرانية والألمانية، وهي العقلية الآرية المتمردة على الخضوع للقيود. هذا التمرد الذهني كثيرا ما يقودهم الى المشكلات والاصطدام بأطرافهم.

الدين هو الوجدان

ان زردشت كان يحث على تحرير الوجدان، ويعتبر نقاء الضمير هو الاساس في تجسيد ثلاثيته المعروفة:

- "الفكر الخيّر، القول الخيّر، والعمل الخيّر". فاذا كان الوجدان او الضمير نقيا نظيفا سليما فإن النية تكون سليمة نظيفة، وبالتالي يأتي التفكير خيّرا وسليما، كذلك القول والعمل. اعتبر زردشت ان الدين هو الوجدان والوجدان هو الدين. وان اقصر طريق لعبادة الله ومعرفته هو تحرير الوجدان وصيرورته نقيا نظيفا حرا من أية قيود وأوهام وخرافات. وأما سبيل التوصل الى كل ذلك فهو التزود بالعلم والحكمة. وعلى كل زردشتي ان يتعلم من الاخرين أيضا ويستفيد من ثمار معرفة اي حقل مفيد، سواء في الهندسة والزراعة والادارة والطب او في العلوم الطبيعية والفنون وكل ما ينير حياة المجتمع...

مدارس ومعاهد قديمة:

زردشت نفسه كان متعلما كبيرا ومثقفا مستنيرا في اطار ظروف عصره، وَعلَّم بناته وأبناءه وكل من يحيط به. كان يحثهم دوما على ان المعرفة وحدها تفيد وتثمر وليس جمع المال واكتناز الثروة. فهو لم يكن يملك شيئا يذكر.

وبرز زردشت في علم الطب وعلم الفلك في زمانه. كان ضليعا في الطب الطبيعي بالاعشاب والموارد الطبيعية الاخرى، ودقيقا في الحسابات الفلكية، وهو أول من أسس مايمكن تسميته بمعهد للمعالجة الجسدية والروحية، وأول من أسس مرصدا فلكيا حسب إمكانات عصره. ويذكر المؤرخ اليوناني (بلوتارك) نقلا عن قائد عسكري يوناني وصل مدينة اكباتان (همدان حاليا) وشاهد جامعة او مدرسة كبيرة فيها تسمى (مدرسة–بفتح السين والدال– سده) لتعليم الفلسفة والطب وعلم الفلك والجغرافيا وعلوم اخرى، وذلك في القرن السادس قبل الميلاد. ويكتب أن طلاب وخريجي هذه المدرسة هم الذين علموا الفيلسوف المعروف فيثاغورس. يذكر ان فيثاغورس كتب عن التراث الزردشتي، مثلما فعل سقراط، افلاطون، ارسطو وغيرهم في سالف الازمان، كما فعل معظم فلاسفة القرون الوسطى والقرون الاخيرة مثل هيغل ونيتشة.... الخ!

واستفاد محي الدين ابن عربي والسهروردي شيخ الاشراق وفلاسفة مسلمون اخرون من تراث زردشت:

هذه الروح التعليمية والتربوية صارت فيما بعد جزءا هاما من خصال الكُرد والفرس والهنود وغيرهم ممن كانوا زردشتين او تأثروا به عن كثب.

مالم يفهم القارئ العزيز هذه البدايات الثقافية سيصعب عليه فهم ما سأقوله الان.

ظلَّ الكُرد، مع غيرهم من حملة التراث الزردشتي، يلتزمون بأخلاقيات التعلم والتعليم. فقد برز بينهم أطباء شعبيون بالفطرة، ومعماريون وفلكيون دقيقون في الحسابات وخبراء فطريون في الفنون المختلفة والمهن والحرف اليدوية.

لامجال لاستعراض الأسماء هنا.

لم يكن ذلك يأتي صدفة بل كان نابعا من عقلية معينة تراثيا منذ البداية.

ابجدية خاصة ولغة متميزة:

كان للكرد قبل ميلاد المسيح خط للكتابة أقرب إلى الآرامية، وكانت لهم لغة متميزة للتعبير والكتابة. بمعنى ان الكتابة كانت معروفة بينهم. ولماجاء الاسلام بالخط العربي، الذي شاع كثيرا تحت تأثير القرآن الكريم، فإن الكُرد سرعان ماحاولوا تعلم اللغة العربية والخط العربي. وأول كاتب او اديب كردي باللغة العربية هو (ابو سليمان يونس كاتب) الذي كان والده قد سافر الى المدينة المنورة (توفي ابو سليمان عام ١٣٥ هـ.ق). وقد عرف بأكبر فناني الموسيقي في عصره وشاعرا... يذكر ابو الفرج الاصفهانى، صاحب كتاب الاغاني، الكثير عن براعة هذا الكاتب الفنان، وكتب أن حديثه عن فن الموسيقى هو محل ثقة وإعتماد. فقد كان الكُرد منذ القدم متمرسين في فن الموسيقى والغناء.

بمعنى ان الكورد بدأوا بالكتابة والنظم بالعربية في وقت مبكر جدا.

وبرزت أول إمرأة كردية في العلم والمعرفة هي (ستة لبابه كردى) من عائلة كردية حاكمة في الموصل انذاك، كانت تعيش في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة. كذلك جاءت (حفصة كردية) في النصف الثاني للهجرة تعلمت وتقدمت في التصوف والعرفان وعرفت بالتقوى والزهد (كما يذكر كتاب نفحات الانس، جامى ص٦١٨)، حسب العالم الكُردي بابا مردوخ روحاني في (مشاهير الكُرد)ص٥ .

فبدأ الكُرد منذ القرنين الثاني والثالث بالتعلم العميق حتى صاروا يؤلفون الكتب والرسائل العلمية والدينية باللغة العربية. ان سرعة التعلم عندهم لم تكن غريبة او استثنائية، كما قلنا، بل جاءت امتدادا للتراث الكُردي القديم.

فإذا ما كان الكُرد، آنذاك، محرومين من إمكانية الكتابة والتأليف بالخط القديم واللغة الكُردية (على الاقل بسبب عدم توفر وسائل ذلك) فإن الاستفادة من اللغة والخط العربي جاء متاحا وممكنا.

واننا اذا ماجمعنا جميع ماكتبه العلماء والكتاب الكُرد باللغة العربية حتى أواخر القرن الثالث عشر للهجرة، فإن الاف الكتب والدراسات التي وضعوها يمكن ان تحتاج إلى مكتبة واسعة بعدة آلاف متر مربع.

كما قلنا في الفقرات السابقة فان الكُرد عادوا إلى التعبير باللغة الكُردية منذ القرن

الثاني او الثالث الهجري وذلك قبل الفرس بفترة طويلة.

ثم جاء باباطاهر الهمداني قبل عشرة قرون وتلاه مئات الشعراء والكتاب بالكُردية.

إن الظروف والعوامل التي حرمت الكُرد من استعمال لغتهم الأم لم تمنعهم من التعلم والتقدم بأية لغة اخرى متاحة لهم. وهكذا برز مئات الكتاب والمبدعين باللغات العربية والفارسية والتركية وغيرها، إلّا أن الكُرد رغم الحرمان والكبت حافظوا على لغتهم وتراثهم وفنونهم وتقاليدهم واليوم فإن الكثير من الكتّاب والمثقفين الكُرد يجيدون هذه اللغات، كلها او بعضها الى جانب الكُردية، واستفادوا من ذلك وأفادوا. فبرز كتاب كبار في التركية، مثل يشاركمال ويلماز غوناي ومحمداوزون و بوز ارسلان وغيرهم. وبرز كتاب روائيون ومسرحيون وشعراء كبار في الفارسية، كذلك في فنون السينما والموسيقى. والأسماء كثيرة منهم: محمد القاضي، علي درويشيان، صادقي.

أما في اللغة العربية فقد برز شعراء وروائيون معروفون، منهم: احمد شوقي، العقاد، ال تيمور، البدرخانيون، وغيرهم في مصر، ومعروف الرصافي، جميل صدقى الزهاوى، بلند الحيدري، محي الدين زه نكنة (مسرحي)، كاوس قفطان (سينمائي) في العراق والرشو؟ شو، مخرج سينمائى معروف (سورية)، عبدالمجيد لطفي عبدالعزيز خانقاه، د.زهدى الداودي من العراق، سليم بركات (سورية) وغيرهم كثيرون. ووضع كبار الكتاب بحوثهم الأدبية والتأريخية. باللغة العربية مثل: مسعود محمد، د.عزالدين مصطفى رسول، محمد الملاعبدالكريم، د.كمال مظهر، أسف لضيق المجال وعدم ذكر أسماء الجميع. إنما ذكرت اولئك السادة على سبيل المثال.

الرجاء أيضا.... في الثقافة:

النشاط الثقافي الكُردي باللغة العربية أوسع وأغزر جدا من نشاطه بأية لغة اخرى غير كردية، فهو بالفارسية والتركية ليس بمستوى ما هو عليه بالعربية.

ربما يعود سبب ذلك الى مايلي:

١- رأى الكُرد في المجتمعات العربية تسامحا وانفتاحا اكبر أمامهم مما هو في مجتمعات اخرى، ولعل انخراط الكُرد في النشاط بالعربية جعل الوسط العربي يقبل بهم بسرعة اكبر. اذ باستثناء فترات خانقة كارثية كما حصل في عهد النظام العراقي السابق فإن الكُرد كانوا يجدون صدرا رحبا في معظم المجتمعات العربية

خاصة في مصر ولبنان والعراق وسورية.

٢- طموح الكُرد في التعلم والمعرفة بحكم تراثهم القديم جعلهم يستفيدون من أية فرصة متاحة، كما وجدوها في اللغة العربية وتراثها الواسع.

سيكون مفيدا لو اطلع القارئ الكريم على الجانب الآخر من المعادلة، اذ رغم معاناة وآلام الكُرد طوال هذه القرون فإنهم كانوا يجدون العزاء والسلوى من تضامن وتعاطف اوساط عربية، خاصة بين العلماء والمثقفين الكبار وبعض السياسيين المتحررين. ففي عام ١٩٤٣ صدر عن عبدالرحمن عزام الشخصية العربية المعروفة تصريح تضامني مهم جدا بالنسبة لتلك الظروف اعرب فيه عن تعاطفه ومساندته لكفاح الشعب الكُردي وقضيته ودعا الشعب العربي الى التضامن معه. فهو بذلك وضع لبنة مهمة في طريق التضامن العربي-الكُردي في القرن العشرين، حتى اليوم. ثم جاءت مواقف تضامنية قوية مشهودة من الزعيم الراحل جمال عبدالناصر ورفاقه منذ عام ١٩٥٢ ومن العقيد معمر القذافي منذ عام ١٩٧٩، وبن بيلا وشخصيات سياسية اخرى.

وأعرب مئات المثقفين والكتاب العرب الكبار من مصر والجزائر وتونس ولبنان والسودان والخليج وغيرها عن التضامن مع الشعب الكُردي في العراق اعوام ١٩٦٣ و ١٩٦٥ وعام ١٩٨٨، وأدانوا حملات الإبادة الجماعية في الانفال والقصف الكيمياوي لسكان كردستان. وتكررت هذه المواقف التضامنية الى جانب عشرات المنظمات والنقابات العربية وحركات التحرر، مما كان عزاء كبيرا للكرد. فهم اذا كانوا معرضين الى القمع والابادة على ايدي حكام يدعون انهم يعملون ذلك من أجل العرب وباسمهم، فإن الشخصيات الثقافية والنقابية والسياسية العربية كانت تعيد التوازن الى حد كبير فتقول للكرد ان الذين يؤذونهم ويلاحقونهم ليسوا ممثلين للشعب العربي وضميره، بل ان الضمير العربي يأبى الظلم والضيم بحق الشعوب الأخرى. كنا ننشر رسائل ومذكرات زملائنا العرب بين الجماهير الكُردية من أجل المستقبل أيضا وتتبين اليوم أهمية تلك المواقف التضامنية العربية التي مازالت مطلوبة، وستظل مطلوبة لفترة طويلة لأن القضية الكُردية الاساسية ماتزال دون حل عادل ومازال الظلم على الكُرد مستمرا في أماكن عديدة من الشرق. اما في العراق حيث تعيش نسبة كبيرة من الكُرد (اكبر نسبة في المجتمعات العربية)، فإن شخصيات مثل كامل الجادرجي وعزيز شريف

وعبدالخالق السامرائي وشاكر خصباك وفؤاد الركابي وغيرهم ظلوا رسل العلاقات العربية-الكُردية المتآخية.

وكان عزيز شريف قد اصدر عام ١٩٥٢ كتابا يدعو الى الحل الفدرالي الاتحادي للقضية الكُردية وقد سبق الاكراد في ذلك، وكتب بالتحديد ان هذه القضية يستحيل حلها بدون الفدرالية.

وظهر علماء دين كبار أجلاّء مثل آية الله الامام محسن الحكيم والشهيد محمد باقر الصدر اتخذوا مواقف تضامنية جريئة فبنوا جسور علاقات قوية بين الشعب العربي والكُردي.

ودخل الشعر عاملا أخر لترسيخ التضامن العربي مع الكُرد وقضيتهم، فالشعراء المعروفون الجواهري والسياب وكاظم السماوي في العراق مثلا، كذلك سميح القاسم ومحمود درويش (في فلسطين-عام ١٩٦٥) وغيرهم عبَّروا عن التضامن بلغة شعرية جميلة معبرة. لذلك فإن أكبر حديقة في اربيل ماتزال تحتضن تمثال شاعر وحيد هو محمد مهدي الجواهري، تعبيرا عن إمتنان الكُرد لموقفه التضامني.

بعد جيل الجادرجي وعزيز شريف ظهر جيل عراقي ديمقراطي أوسع عددا وقاعدة مايزال يعبر يوميا عن التضامن مع القضية الكُردية، وهم اكاديميون، صحفيون، كتاب، شعراء، سياسيون، وقضاة كبار استميحهم عذرا فالمجال ضيق لايسع لذكر اسماء الجميع، وهم مثقفون كبار يستحقون كل تقدير واحترام، وهم الذين يرسمون معنا مستقبل تعايشنا الأخوي السلمي.

ان تضامن هؤلاء الاخوة العرب حيثما كانوا هو الذي قدم للكرد الكثير من العزاء والثقة والأمل. ومن هنا قولي أن الثقافة أقوى، وهي الأساس المتين لجسور الصداقة والتضامن والتآخي بين شعوبنا.

هامش:

(١) يذكر التاريخ ان الكورد، بحكم تشابه اللغة والثقافة مع الفرس، كانوا عاملا اساسيا لصيانة الثقافة الايرانية. كبار المثقفين الايرانيين يعترفون بذلك.
وساهم العلماء والسياسيون والعسكريون والاداريون الكُرد في إدارة واستمرار الادارات الايرانية في العهود المختلفة، فأبومسلم الخراساني الذي قاد اول حركة احتجاجية ايرانية بعد الاسلام كان كرديا، قتله الخليفة العباسي بتهمة غريبة، (أي كونه كرديا) متهما اياه بانه "سيغدر"

بالخليفة دون وجه حق. واشترك الكُرد في ايران في مختلف الحركات الاجتماعية خلال القرون التالية لسقوط الدولة الأموية.

وأهم فترة حكم فيها الكُرد دولة ايران (بعد الميديين والساسانيين الذين كانوا أكراد)، هي فترة حكم سلاطين (الزند). والزند قبيلة كردية كبيرة معروفة مركزها شيراز في ايران، موجودة في العراق أيضا.

وهي تنتمي إلى طائفة (اللك واللر) الكُردية المعروفة التي تسكن معظم مناطق إقليم عيلام (ايلام) وبعض مناطق كرمانشاه (كرمانشان) وشيراز، تعود اليهم جذور الكُرد الفيليين. وبرز بين القبيلة رجل شجاع عادل هو (كريم خان زند) خلال القرن الثاني عشر للهجرة، تسلط على جميع ولايات واقاليم إيران باستثناء خراسان، واتخذ شيراز عاصمة لدولته. وقد عرف بالعدل والاستقامة والصداقة في معاملة المجرمين والمخلين بأمن وممتلكات الناس. فساد السلام والامان في عهده. وقدم انجازات عديدة وحارب الدولة العثمانية والهولنديين والبريطانيين في جزر الخليج. والعجيب هو ان كريم خان زند خرج على تقاليد جميع حكام ايران فلم يسم نفسه شاها (ملكا) بل (وكيل الرعايا) على أساس أنه مهتم بشؤون الشعب. وكان كذلك. بمعنى ان كريم خان كان الوحيد بين جميع شاهات ايران رفض هذا اللقب، خلال حوالي ٢٥٠٠عاما من ظهور الشاهنشاهية الايرانية.

ولما جاء الامام الخميني عام ١٩٧٩، وكان معروفا بعدائه الشديد لطريقة حكم جميع الشاهات الايرانيين فإن الحاكم الايراني الوحيد الذي كان محل احترام لدى الخميني هو كريم خان زند (المتوفي عام ١١٩٣ للهجرة). كان يذكره بالخير ويحترم ذكراه وأوصى بالحفاظ على مثواه.

كريم خان زند، هذا الحاكم الشعبي الكُردي، مايزال التراث الايراني يذكر فضائله وعدالته وحرصه على مصالح الناس البسطاء، وقد نسجوا حوله أساطير وحكايات جميلة تعبيرا عن حبهم له. فقد جاء كريم خان في وقت صعب في ايران فأنقذها من الكوارث والانهيار واقام دولة بمؤسسات قوية راسخة. وهو نموذج تأريخي عما قدمه مئات العلماء والسياسيون والعسكريون الكُرد من خدمات جليلة، فضلا عما يقدمونه الآن. يذكر ان شخصيات من قبيلة اللر، قبيلة كريم خان، تحتل دائما مواقع هامة في الحكومات الايرانية لكفاءتهم وليس على اساس انتمائهم القومي. وكان الرئيس السابق للبرلمان الايراني (مجلس الشورى الاسلامي)، مهدي كروبي، أيضا من اكراد اللر.

ملاحظة: هذا المقال جزء من كتاب نشر في حينه بمناسبة إنعقاد مؤتمر إتحاد البرلمانيين العرب في أربيل.

الكاتب في سطور



– فلك الدين كاكه يي ولد في محافظة كركوك عام ١٩٤٣ .
– عام ١٩٥٧ انضم الى الحركة الطلابية الكردستانية في كركوك.
– ١٩٥٩ إنضم الى الحركة الشبابية.
– ١٩٦٥ تطوع في الحركة السياسية عن طريق الحزب الديمقراطي الكردستاني– العراق، وحتى اليوم.
– ١٩٦٢ بداية كتابة القصة القصيرة باللغة الكردية.
– ١٩٦٤ بداية الكتابة للصحافة باللغة العربية.
– ١٩٦٧ نشر رواية باللغة العربية. وانتمى الى اسرة تحرير جريدة (التآخي) اليومية بالعربية في بغداد، اصدرتها قيادة الحركة الكردية في نيسان ١٩٦٧.
– ١٩٧٣ عين سكرتيرا لجريدة التآخي.
– ١٩٧٤ عين مديرا للاعلام في الأمانة العامة للإعلام والثقافة والشباب التي تشكلت كأول وزارة ثقافة كردية في الجبال بالمناطق المحررة خارج سلطة ونفوذ النظام العراقي.
– ١٩٧٩ انتخب للجنة المركزية والمكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني ومسؤولاً للثقافة والاعلام المركزي في الجبال اثناء المقاومة حتى عام ١٩٩٤.
– طوال اعوام ١٩٦٥– حتى اليوم عاش في جميع مراحل الكفاح السري والعلني والمقاومة وتعرض كغيره من الرفاق الى الملاحقة والقمع ومحاولات الاغتيال سواء في السلم او في الأيام الصعبة للحروب، فضلا عن حياة المنافي.
–١٩٩٢ انتخب عضوا في الدورة الاولى للبرلمان الكردستاني في (المجلس الوطني الكردستاني) بقي فيه حتى عام ٢٠٠٥.
– ١٩٩٦ وزيراً للثقافة في إقليم كردستان، ثم وزيرا للإقليم، ومرة أخرى وزيراً للثقافة عام ٢٠٠٦.
– في مايس ٢٠٠٣ أعاد تأسيس واصدار جريدة التآخي في بغداد الصادرة منذ ١٩٦٧، وأصبح رئيسا للتحرير وصاحب الإمتياز لها.
– أصدر عدّة كتب في الجبل اثناء المقاومة، وفي المدن، معظمها بحوث أدبية وثقافية متنوعة باللغتين الكردية والعربية.

الفهرست